

للشيخ

عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر

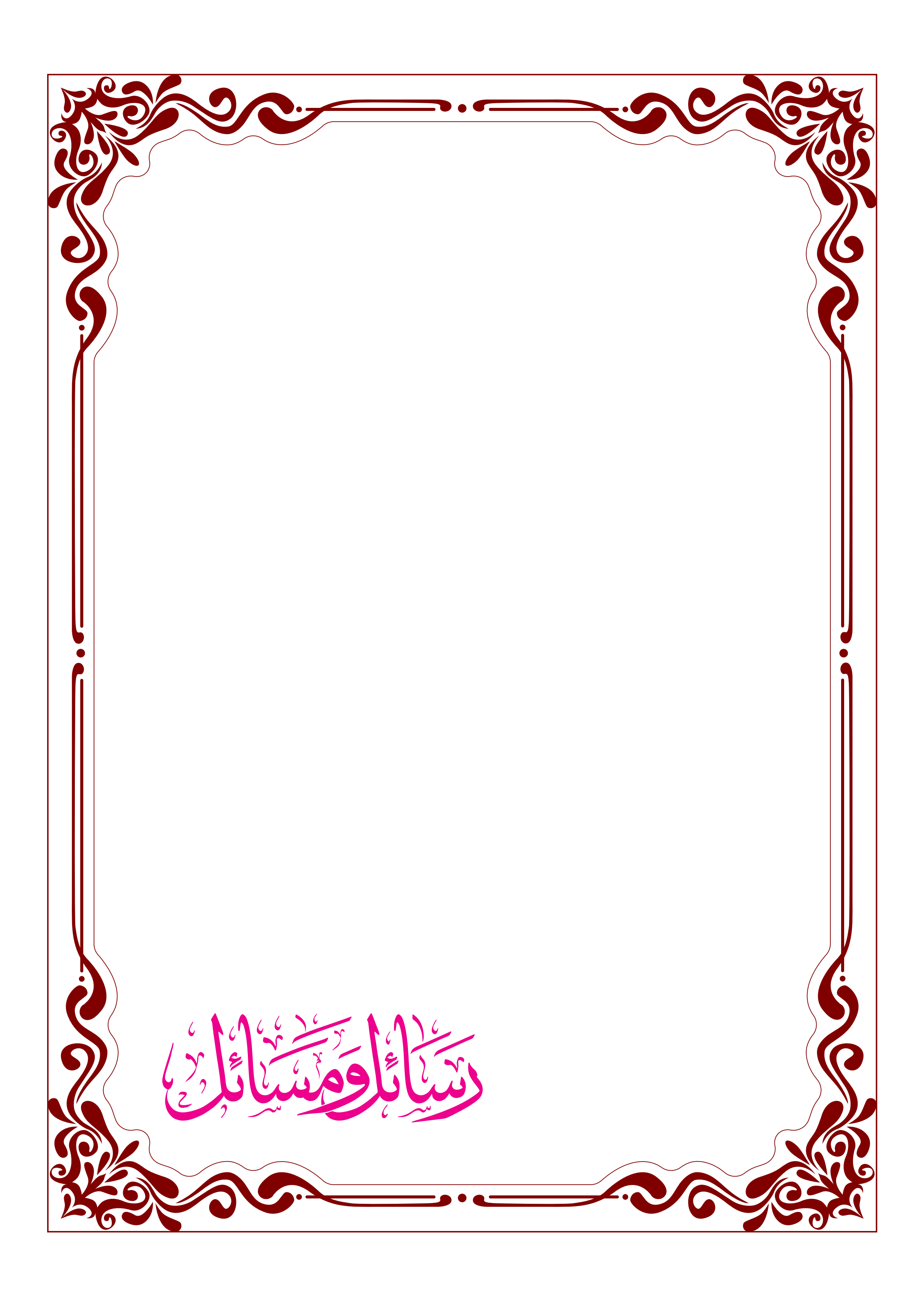


إعتنى بها وعلق عليها

أبو عبد العزيز منير الجزائري

دار الفرقان

للنشر والتوزيع


رسائل ومسائل



بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الثانية

١٤٣٩ هـ - ٢٠١٨ م

دار الفرقان للنشر والتوزيع

20 شارع أحمد حسينة - باب الوادي - الجزائر (العاصمة)

00213 (0) 557 64 85 55 | 00213 (0) 556 96 58 10

dar.alfurquan@gmail.com



رسائل ومسائل

الشيخ

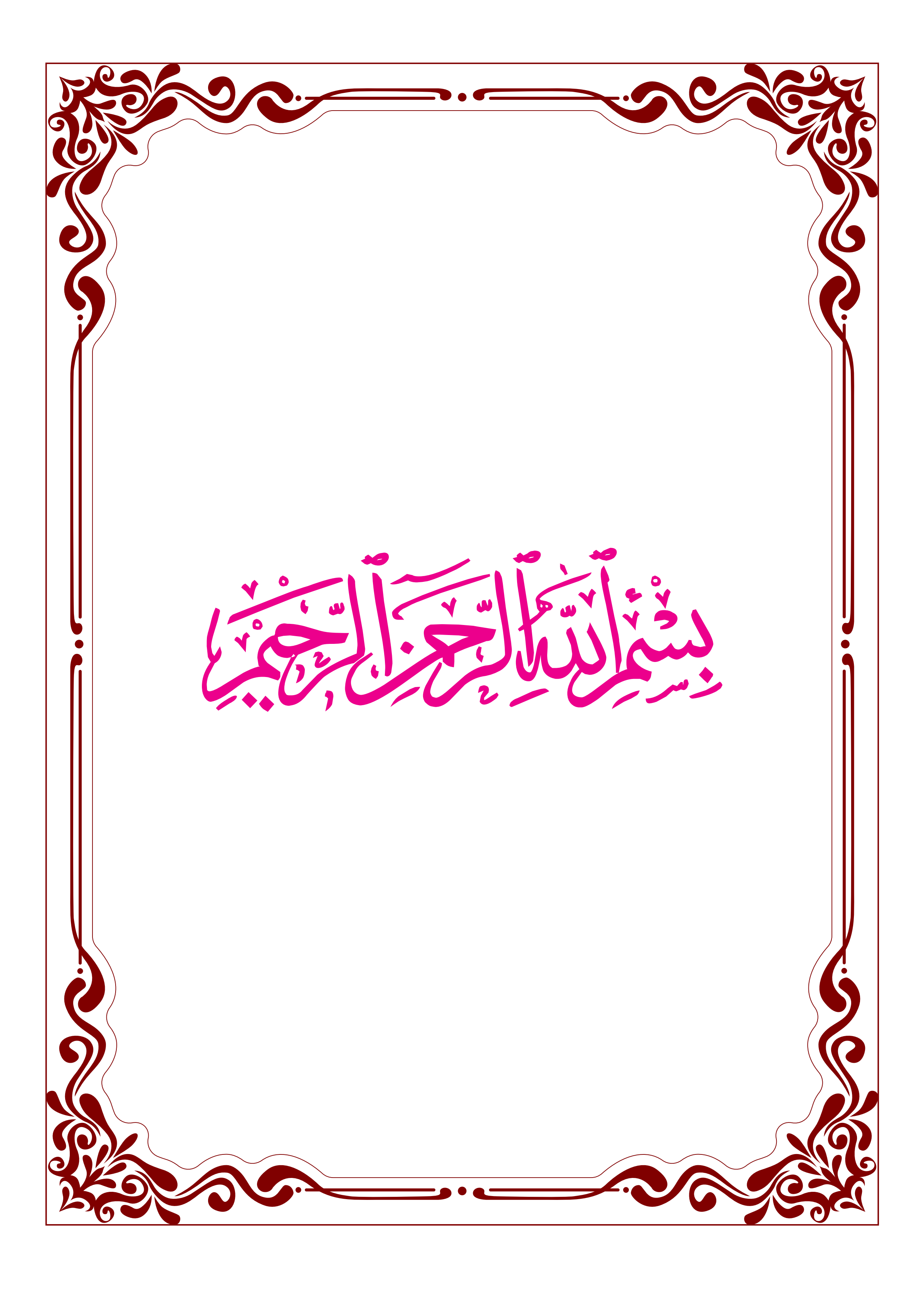
عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر

اعتنى بها وعلق عليها

أبو عبد العزيز منير الجزائري

دار الفرقان

للنشر والتوزيع


بسم الله الرحمن الرحيم

مُحتويَات الكِتابْ

الشيخ
عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر

اعتنى بها وعلق عليها
أبو عبد العزيز منير الجزائري



مقدمة المعتني:

الحمدُ لله الرَّبِ الكَرِيم، الَّذِي رَبَّى جميع العَالَمين بِنِعَمه، الإِلَهِ العَظِيم الَّذِي خَضَعَت الأَكْوَان لِعَظَمَتِه.

وَأَشْهَدُ أَن لَا إله إِلَّا الله المُتَفَرّد بِوَحْدَانِيَّته.

وَأَشْهَد أنَّ محمَّدًا عبده وَرَسُوله المُخْتَار مِنْ بريَّته.

اللَّهم صَلِّ وَسَلِّم عَلى مُحَمّد وَعَلى آله وَأَصْحابه وَمَن أيَّدته بنُصرته.

أمَّا بعد:

فهذا مجموع نافع، وكتاب ماتع، جمع نصائح متنوعة: توجيهات مفيدة، وإرشادات سديدة.

«هي بُغْية الرَّاغبين، ونُزْهة المستفيدين، وبَهْجَةُ النَّاظرين، لِمَا ظَهَرَت به مِنْ مظهرٍ أنيق، وتحلَّت به من زهور المَعَارف والتَّحقِيق، ولِمَا أَوْدَعَته مِنْ فوائد جَلِيلة، سَهُل اجتناؤها، وثَمَرَات دَانِية طَابَ مذاقها، ومناهل عذبة، راق مشربها

حيث اشتملت على بيان العقائد النَّافعة، والأصول الجامعة، والأحكام المتنوِّعة، والآداب السَّامية، وغيرها مِنَ المَوَاضِيع المهمَّة، والعلوم الجمَّة، الَّتِي تكسب الإنسان هدى ورشدا، وتزيده بصيرة ويقينا»[١].

وأصل هذه الكتاب رسائل صغيرة لشيخنا عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر حفظه الله سبق و أن طُبعت باعتنائي وتعليقي عليها.

فرأينا من المناسب جمعها في كتاب واحد ليسهل الرجوع إليها والانتفاع بها.

وقد حوى هذا المجموع الرسائل التَّالية:

- فَضْلُ طَلَبِ العِلْمِ وَآدَابُ طُلَّابِه.

- دَعْوَةُ النَّبِيِّين عليهم السلام.

- سُؤَالٌ وَجَوَاب عَنْ حُكْمِ تَسْمِيَةِ المَنَاطِقِ بِأَسْمَاءِ الأَضْرِحَةِ وَالقِبَاب.

- عِظَاتٌ وَعِبَر مِنْ وَفَاةِ خَيْرِ البَشَر ﷺ.

- إِتْحَافُ الإِلْف بِتَفْسِيرِ آخِرِ آيَةِ سُورَة الكَهْف.

- يَا حَامِلَ الجَوَال المَسَاجِدُ لَهَا حُرْمَة.

- كَيْفَ تَغُضُّ بَصَرَك.

(١) «بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار» (ص٢٦٤).

ـ حَاسِبُوا أَنْفُسَكُم قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا.

ـ كَلِمَات فِي مُنَاسَبَات.

ـ مَنْهَجٌ يَوْمِي لِطَالِبِ العِلْم.

ـ قِصَّةُ إِسْلَام قِسِّيس.

ـ عَشَرَةُ أَسْبَابٍ لِلْوِقَايَةِ مِنَ السِّحْرِ وَالعَيْن.

وأسأل الله أن ينفع بها وأن يجعلها خالصة لوجهه الكريم إنه سميع مجيب.

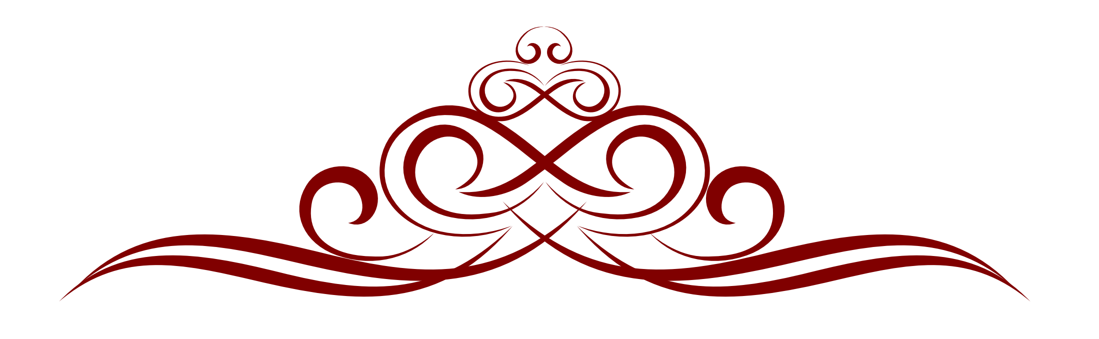
وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



مُحِبُّكُم فِي الله

أبو عبد العزيز منير الجزائري

abou-abdelaziz@hotmail.fr



فَضْلُ طَلَبِ العِلْمِ

وَآدَابُ طُلَّابِهِ

الشيخ

عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر

اعتنى بها وعلق عليها

أبو عبد العزيز منير الجزائري



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة المعتني:

الحمدُ لله الَّذِي وَسِعَ ﴿كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾[غافر:٧]، وَحَكَم بِشَرْعه على المُكَلَّفِين ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا﴾[المائدة:٥٠]، وَوَفَّق مَنْ اخْتَارَهم وَ أَرَاد بِهِم خيرا فَأَعْطَاهم إيمانًا و يقينًا و علمًا، وَحَبَاهُم مِنْ فضله عِرْفَانا و فِقْها و فَهْمًا.

وَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إله إلَّا الله وَحْدَه لَا شَرِيك له.

وَ أَشْهدُ أَنَّ محمَّدًا عبده و رسوله الَّذِي أَنْزَل عليه: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ١١٤﴾ [سورة طه].

أَمَّا بَعْد:

«فإنَّ أولى ما يتنافس فيه المُتَنافسون، وَأَحْرَى ما يتسابق في حَلَبَة سِبَاقِه المتسابقون، ما كان بسعادة العبد في معاشه ومعاده كفيلا، وعلى طريق هذه السَّعادة دَلِيلا، وذلك **العلم النافع والعمل الصالح** اللَّذان لا سعادة للعبد إلَّا بِهِمَا، ولا نجاة له إلَّا بالتَّعلق بسببهما، فمن رُزِقَهما فقد فاز وغَنِم، ومن حُرِمهما فالخير كلّه حُرِم»(١).

فالعلم أعظم ما رغَّب فيه الرَّاغب، و أنفع ما جدَّ فيه الطَّالب، وأشرف ما اقتناه الكاسب، وقد قيل: «العِلْمُ يَرْفَعُ المَمْلُوك، حَتَّى يجلس مَجَالس المُلُوك».

عن أشعث بن شعبة المصيصي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، قال: قدم الرَّشيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ الرَّقَة،

(١) «إعلام الموقعين عن رب العالمين» (ص ١٣).

فانْجَفَل (أي: ذهب) النَّاس خلف ابن المبارك رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وتقطَّعتْ النِّعال، وارتفعتْ الغبرة، فَأَشرفت أُمّ ولد لِأَمير المؤمنين من بُرْج مِنْ قصر الخشب، فقالت: ما هذا؟!. قالوا: عَالِمٌ من أهل خراسان، قَدِم.

قالت: هذا والله المُلْك، لَا مُلْك هَارُون الَّذي لا يجمع الناس إلا بشُرَط وَأَعْوان[١].

أخي الحبيب دونك هذه الوريقات..أصلها كلمة لشيخنا عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر حفظه الله بعنوان: «فضل طلب العلم، وآداب طلابه».

ألقاها في بلدنا الحبيب الجزائر أثناء زيارته الدعوية يوم ١٥ جمادى الأولى ١٤٣٤هـ.

فاسْتَأْذَنْتُ الشيخ في تَفْرِيغِها مَعَ التَّعْلِيق عَلَى بَعْض المَوَاضِع مِنْها[٢]، فما كان مِنَ الشيخ إِلَّا المُوَافقة فجزاه الله خير الجزاء.

وفي الختام إنْ كان مِنْ جُهْد يُذْكر في هذه الرِّسالة فَإِنَّما هُوَ مِنَ الشَّيخ أَمَّا الجامع لها، فَمَا كَانَ مِنِّي إِلَّا التَّهذيب و التَّرتيب، والتَّوثيق والتَّدقيق، بَلْ حَاوَلْتُ المُحَافَظَة على كلام الشَّيخ بِحُرُوفِه إِلَّا مَا يَقْتَضِيه المَقَامُ مِنْ إِضَافَة مَا يُربط به الكَلَام لِتَمَام المَعْنى، كَمَّا أَنِّي قُمْتُ بالتَّعليق على بعض المواضع مع إضافة بعض الفوائد التي أَرَاهَا نافعة، والله الموفق.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

مُحِبُّكُم فِي الله

أبو عبد العزيز منير الجزائري

abou-abdelaziz@hotmail.fr

(١) «سير أعلام النبلاء» (٨/ ٣٨٤).

(٢) وكان ذلك في المسجد النبوي على صاحبه الصلاة والسلام، يوم الأربعاء ٧ جمادى الآخرة ١٤٣٤هـ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ لله ربِّ العالمين، وأشهدُ أَنْ لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، وأشهدُ أنَّ محمداً عبده ورسوله صلَّى الله وسلَّم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أمَّا بعد:

فإنَّ من أشرف ما تُشغل فيه الأوقات طلب العلم الشَّرعي المُسْتَمدّ مِنْ كتاب الله وسنة رسوله ﷺ؛ والَّذي هو نورٌ وضياءٌ لصاحبه، تتبدَّدُ به ظُلُمات الباطل والأَهْواء والضَّلال، ويمِيزُ به صاحبه بَيْنَ الهدى والضَّلال، والحقّ والبّاطل، والسنّة والبدعة، وهو أشرفُ ما اعتنى به المسلم وأوْلى الأمور بالاهتمام والتَّقديم، لأنَّ العِلم مُقدَّم على القول والعمل؛ كما قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ١٩﴾ [محمد][(١)].

فبدأ بالعلم قبل القول والعمل.

وقَدْ جاءت الدلائل الكثيرة في كتاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وسنة نبيه ﷺ في بيان شرف العلم وعظيم فضله ورفيع مكانته، ومن ذلكم:

قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ

(١) قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «استدل البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ بهذه الآية على وجوب البداءة بالعلم قبل القول والعمل، وهذا دليل أثري يدل على أن الإنسان يعلم أولاً، ثم يعمل به ثانياً، وهناك دليل عقلي نظري يدل على أن العلم قبل القول والعمل، وذلك لأن القول أو العمل لا يكون صحيحاً مقبولاً حتى يكون على وفق الشريعة، ولا يمكن أن يعلم الإنسان أن عمله على وفق الشريعة إلا بالعمل، ولكن هناك أشياء يعلمها الإنسان بفطرته كالعلم بأن الله إله واحد فإن هذا قد فطر عليه العبد ولهذا لا يحتاج إلى عناء كبير في التعلم، أما المسائل الجزئية المنتشرة فهي التي تحتاج إلى تعلم وتكريس جهود» «شرح ثلاثة الأصول» (ص٢٧).

﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١٨﴾ [آل عمران][1] .

قد دلت هذه الآية على شرف العلم مِنْ جهة أنَّ الله عَزَّوَجَلَّ قَرَن شهادة العلماء مَعَ شهادته وشهادة ملائكته بأنَّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الإله الحق والمعبود بحق والَّذي لا معبود بحقٍ سواه .

و يقول الله سبحانه: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا ١١٤﴾ [طه] ؛ فأمر نبيَّه صلوات الله وسلامه وبركاته عليه أن يطلب مِنَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أَنْ يزيده علمـًا ، وهذا فيه أوضح دلالة على فضل طلب العلم لأنَّ الله سبحانه لَمْ يَأْمر نبيَّه بِطَلَب شيء أو طلب الازدياد مِنْ أيِّ شيء إِلَّا مِن العلم[2] .

ويقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في بَيَان فَضْل العلم وعظيم شرفه: ﴿قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٩﴾ [الزمر].

فميَّز جَلَّ وعلا بَيْنَ أهل العلم وغيرهم وبيَّن أنَّه لا يستوي مَنْ هو عالم بالحقّ ومَنْ هو جاهل به.

وقال الله سبحانه: ﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ١١﴾ [المجادلة].

فبيَّن أنَّ الرِّفعة ونيل الدَّرجات العاليات إنَّما هو لأهل العلم[3].

---

(١) وللإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ كلام نافع عن هذه الآيات في كتابه «مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة» (١/ ٤٩)، فلينظر.

(٢) انظر «فتح الباري شرح صحيح البخاري» (١/ ١٤١).

(٣) قال شيخنا عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر حفظه الله: «قيل في معنى الآية: أي يرفع الله العالم المؤمن على المؤمن غير العالم، غير الفقيه درجات، ورفعة الدرجات تدل على عظم الفضل و علو المكانة» «اقتضاء العلم العمل» (ص٩).

ويقول تَبَارَكَ وَتَعَالَى في بيان شرف أهل العلم وفضلهم: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ۝٢٨﴾ [فاطر].

وهذا فيه أنَّ أهل العلم حقاً وصدقاً هم أهل الخشية[١].

والأدلة في القرآن الكريم على فضل العلم كثيرة جداً، وكذلكم الأدلة في السنَّة النّبويّة والأحاديث المأثورة عن النبي الكريم صلوات الله وسلامه وبركاته عليه، ومن ذلكم:

ما رواه الإمام مسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه «الصَّحيح» من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنَّ النَّبي ﷺ قال: «**وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمِ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ**»[٢].

وجاء في «الصَّحيحين» مِنْ حديث معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنَّ النَّبي ﷺ قال: «**مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ**»[٣]؛ وهذا يدلُّ على أنَّ إقبال العبد على طلب العلم وحرصه عليه وعنايته به دليل وعلامة أو من العلامات على إرادة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

---

(١) فقد كان الكثير من السلف يقول: «إنما العلم خشية الله».

أي: أنَّ مِنْ أعظم الثِّمار الَّتي تُرجى مِنْ طلب العلم تحقيق هذه المرتبة العالية، و المكانة الغالية، وهي خشية الله.

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مقام الخشية جامع لمقام المعرفة بالله، والمعرفة بحق عبوديته، فمتى عرف الله وعرف حقه اشتدت خشيته له، كما قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ۝٢٨﴾ [فاطر]. فالعلماء به وبأمره هم أهل خشيته» «مدارج السالكين» (١/ ١٣٦).

(٢) رواه مسلم (٢٦٩٩).

(٣) رواه البخاري (٧١)، ومسلم (١٠٣٧).

الخير به، لأنَّ مَنْ أراد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى به خيراً فقَّهه في الدين[١] .

وجاء في الحديث الذي خرَّجه أبو داود رَحِمَهُ ٱللَّهُ وغيره عن أبي الدرداء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنَّ النَّبي ﷺ قال : «**مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللهُ بِهِ طَرِيقًا مِنْ طُرُقِ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ، وَإِنَّ الْعَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالْحِيتَانُ فِي جَوْفِ الْمَاءِ، وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا إِنَّمَا وَرَّثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ**»[٢] .

وهو حديث عظيم في بيان فضل العلم وشرف أهله وعظيم ثوابهم عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وهو مشتمل على خمس جمل كل جملة منها دالة على فضل أهل العلم ورفيع مكانتهم عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وللإمام الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ جزء أفرده في شرح هذا الحديث وهو مطبوع[٣] .

ومن الأحاديث الصَّحيحة في فضل طلب العلم والدَّالة على عظيم شرفه: قول النبي ﷺ : «**إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ،**

---

(١) تنبيهان:

١/ قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «من فقَّهه في دينه فقد أراد به خيرا، إذا أريد بالفقه العلم المستلزم للعمل، وأما إن أريد به مجرد العلم فلا يدل على أن من فقه في الدين فقد أريد به خيرا» «مفتاح دار السعادة» (١/ ٦٠).

٢/ قال العلامة ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « وهذا يدل على أن الذي لا يتفقه في الدِّين، ما أراد الله به خيرا، نسأل الله العافية» «مجموع فتاويه» (٢٧/ ١٢٦).

(٢) رواه أحمد (٥/ ١٩٦)، و أبو داود (٣٦٤١)، والترمذي (٢٦٨٢)، وابن ماجة (٢٢٣)، وابن حبان (٨٨)، وقال الألباني في «صحيح الترغيب و الترهيب» (١/ ١٧): حسن لغيره.

(٣) بعنوان : «ورثة الأنبياء شرح حديث أبي الدرداء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ»، ضمن «مجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي» (٢/ ٢٧٧).

أَوْ عِلْـمٍ يُنْتَفَـعُ بِـهِ، أَوْ وَلَـدٍ صَالِـحٍ يَدْعُـو لَهُ»[١].

وهـو مخرَّج في صحيـح مسـلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهـذا الحديـث يـدلُّ على عظيم فضـل العلم وعظيـم الثَّـواب المُتَرَتّـب على بـذل العلـم تعليمـاً وتأليفـاً للمؤلفـات، وأنَّ ذلـك يترتـب عليه ثـواب عظيـم في حيـاة الإنسـان وبعـد مماتـه، وأنَّـه بعـد مماتـه لا ينقطـع عملـه بموتـه بـل لا يـزال ثوابه وأجـره يجري له بعـد موته كلمـا انْتَفَعَ مُنْتَفِعٌ، واسـتفاد مسـتفيدٌ مـن علمه؛ وهذا يسـمى **بالعمر الثـاني**[٢] الَّذي يكون يُكتب للإنسـان، لأنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يكتـبُ للإنسـان أعمالـه الَّتـي قدَّمهـا في حياتـه ويكتـب لـه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ آثـار أعمالـه بعـد وفاتـه ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَٰرَهُمْۚ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ ﴿١٢﴾ ﴾ [يس] .

فالَّـذي يُكْتـب هـو عمـلُ العبد وأثـرُ عمله، وأثـرُ العمل منه ما يكون في حياة الإنسـان ومنـه مـا يكـون بعـد وفاتـه، «وقديمـا كانـوا يقولـون: (يمـوت العالـم و يبقـى كتابـه)

(١) رواه مسلم (١٦٣١).

و عـن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قـال: قـال رسـول الله ﷺ «**سَـبْعٌ يَجْـرِي أَجْرُهَا لِلْعَبْدِ بَعْـدَ مَوْتِهِ وَهُـوَ فِـي قَبْرِهِ مَنْ عَلَـمَ عِلْمًا، أَوْ أَجْـرَى نَهْـرًا، أَوْ حَفَـرَ بِئْـرًا، أَوْ غَـرَسَ نَخْـلًا، أَوْ بَنَـى مَسْـجِدًا، أَوْ وَرَّثَ مُصْحَفًا، أَوْ تَرَكَ وَلَدًا يَسْـتَغْفِرُ لَـهُ بَعْدَ مَوْتِهِ**» رواه البزار (كشـف الأسـتار:١٤٩)، و حسـنه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٦٠٢)، وانظر: «سبع يجري للعبد أجرهـن وهـو في قـبره بعـد موته» لشـيخنا عبد الرزاق بن عبد المحسـن البـدر حفظه الله.

(٢) قـال الإمـام ابـن القيـم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:« ومـن تأمـل أحـوال أئمـة الإسـلام كأئمـة الحديـث والفقـه كيـف هـم تحـت الـتراب وهـم في العالمـين كأنهـم أحيـاء بينهم لم يفقدوا منهـم إلا صورهم، وإلا فذكرهم وحديثهـم والثناء عليهم غير منقطـع، وهـذه هـي الحيـاة حقـا حتـى عـد ذلـك حيـاة ثانيـة، كمـا قـال المتنبي:

ذِكْرُ الفَتَى عَيْشُه الثَّاني وَحَاجَته * مَا فَاتَه وَفُضُول العَيْش أَشْغَالُ» مفتاح دار السعادة » (١/ ١٣٨).

علّـق شـيخنا العلاَّمـة عبـد المحسـن العبَّـاد البـدر حفظـه الله:«والبيـت في ديـوان المتنبـي فيـه: (عمـره الثـاني) بـدل (عيشـه الثـاني)، وفيـه (قاتـه) بـدل (فاتـه) بالفـاء، وابـن القيـم رَحِمَهُ ٱللَّهُ المتـوفى سـنة (٧٥١ هــ) بمـا خلفـه مـن مؤلفـات عظيمـة نافعـة هـو ممـن بقـي ذكـره بعـد أن مضـى على وفاتـه مئات السـنين، ومثله بعض العلمـاء في القرن الـذي عـاش فيـه، مثل: شـيخ الإسـلام ابن تيميـة (٧٢٨هــ)، والمـزي (٧٤٢ هـ)، والذهبـي (٧٤٨هــ)، وابن كثير (٧٧٤هــ)، والشَّـاطبي (٧٩٠هــ)، وابـن رجـب الحنبلـي (٧٩٥ هـ)»«شـذرات في فضل العلـم و أهله» (ص١٣).

بينما الآن صوت العالم يبقى مسجّلا في الأشرطة المُشْتملة على دروسه العلميَّة ومحاضراته النَّافعة و خطبه القيِّمة، فينتفع بها أجيال لم يعاصروه، ولم يكتب لهم لُقيُّه، ومَنْ يساهم في طباعة الكتب النافعة و نشر المؤلفات المفيدة و توزيع الأشرطة العلمية والدَّعوية فله حظٌّ وافر مِنْ ذلك الأجر إن شاء الله»[١].

ومن الأحاديث الدَّالة على عظيم فضل العلم والتعلُّم: قول النبي ﷺ: «**خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ**»[٢].

وهذا فيه إثبات الخيريَّة لمَن اشتغل بكتاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ تعلُّماً وتعليماً وأنَّ مَنْ كان كذلك فهو من خيار الأمَّة، وجاء في صحيح مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ أنَّ النبي ﷺ قال: «**إِنَّ اللهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ**»[٣].

وثبت عن نبيِّنا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ الدعاء بالنُّضْرة لمن اعتنى بالعلم فهماً ومذاكرةً وتعليماً له؛ فقد جاء في الحديث أنَّ نبيَّنا ﷺ قال: «**نَضَّرَ اللهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا فَحَفِظَهُ حَتَّى يُبَلِّغَهُ، فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ، وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ لَيْسَ بِفَقِيهٍ**»[٤].

وهذا الحديث فيه دلالة عظيمة على فضل العلم وأنَّ النبي ﷺ دعا لأهل العلم وطلَّابه بهذه الدَّعوة العظيمة المُبَاركة.

---

(١) من كلام شيخنا حفظه الله في: «سبع يجري للعبد أجرهن وهو في قبره بعد موته».

(٢) رواه البخاري (٥٠٢٧).

(٣) رواه مسلم (٨١٧).

(٤) رواه أحمد (٣٥/ ٤٦)، و أبو داود (٣٦٦٠) وهذا لفظه، والترمذي (٢٦٥٦)، وابن ماجه (٢٣٠)، و ابن حبان (٦٦)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٧٦٣).

الحديث رواه أربعة وعشرون صحابيًّا، وقد جمع طرقَه وتكلَّم على فقهه شيخنا العلامة عبد المحسن العباد في بحث بعنوان: « دراسة حديث «**نضَّر الله امرءاً سمع مقالتِي**» رواية ودراية»، وهو مطبوع.

وعلى كُلٍّ فإنَّ النُّصوص في الدَّلالة على فضل العلم وعظيم شرفه كثيرة جداً؛ فينبغي للمسلم والمسلمة أنْ يجتهد وأن تجتهد في اغتنام الأوقات في طلب العلم وأَنْ يكون للعبد حظّ من طلب العلم وتحصيله في كلّ يوم من أيّامه، وقد كان نبيُّنا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كلّ يوم بعد أن يصلّي الصُّبح يقول: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ عِلْمًا نَافِعًا، وَرِزْقًا طَيِّبًا، وَعَمَلًا مُتَقَبَّلًا**»، وفي رواية: «**وَعَمَلًا صَالِحًا**»[١]؛ وهذه الدَّعوة المتكرّرة مع تكرّر الأيّام في كلِّ صباحٍ تدلُّ على أنَّ طلب العلم النَّافع[٢] مِنْ أعظم مقاصد المسلم في كلّ يوم من أيّامه، وأنَّ طلب العلم مقدَّم على طلب الرِّزق وتحصيل العمل، لأنَّ العلم هو الأساس الذي يميَّز به بين رزقٍ طيّب وخبيث، وعملٍ صالح وغير صالح.

فينبغي على المسلم أن يعتني بطلب العلم في كل يوم من أيَّامه بحيث يكون له في كلِّ يوم قسط وحظ ونصيب من العلم.

وينبغي له في تحصيله للعلم أنْ يُعنى عناية عظيمة بالإخلاص لله جَلَّ وَعَلَا، وتجريد

---

(١) رواه أحمد (٦/ ٢٩٤)، وابن ماجة (٩٢٥)، وفي سنده مبهم، لكن له شاهد من حديث أبي الدرداء عند الطبراني في «الدعاء» (٦٧٠)، ولذلك حسنه ابن حجر في «نتائج الأفكار»، وصحَّحه الألباني في «صحيح ابن ماجه» (٧٥٣).

قال شيخنا عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر حفظه الله: «ومن يتأمَّلُ هذا الدعاءَ العظيمَ يَجدْ أنَّ الإتيانَ به في هذا الوقت بعد صلاة الصبح في غاية المناسبة؛ لأنَّ الصبحَ هو بدايةُ اليوم ومُفتَتَحُه، والمسلمُ ليس له مَطمع في يومه إلاَّ تحصيل هذه الأهداف العظيمة والمقاصد الجليلة المذكورة في هذا الحديث، وهي العلمُ النافع، والرِّزق الطيِّب، والعمل المتقبَّل...

فهذا دعاءٌ عظيمُ النَّفع كبيرُ الفائدة، يَحسُنُ بالمسلم أن يُحافظَ عليه كلَّ صباح تأسيًا بالنبي الكريم ﷺ، ثمَّ يُتبِعُ الدعاءَ بالعمل، فيَجمع بين الدُّعاء وبَذلِ الأسباب، لينَالَ هذه الخيراتِ العظيمةَ والأفضالَ الكريمةَ، والله وحده الموفِّق، والمعين على كلِّ خير» «فقه الأدعية والأذكار» (٢/ ٤٠).

(٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الْعِلْمُ مَا قَامَ عَلَيْهِ الدَّلِيلُ، وَالنَّافِعُ مِنْهُ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ» «مجموع الفتاوى» (١٣/ ١٣٦).

القصد له في طلب العلم، لأنَّ طلب العلم عبادة، والعبادة لا تكون مقبولةً إلا إذا كانت لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ خالصة، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة:٥].

وفي «الصَّحيحين» أنَّ النبي ﷺ قال: «**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى**»[١].

وجاء في الحديث أن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ**»[٢]؛ ولهذا ينبغي على من اتَّجَهَتْ هِمَّته للعلم ووجد فيه الحرص على تحصيل العلم أَنْ يحرص على النِيَّة الصَّالحة.

والنِيَّة إذا كانت صالحةً كانت سبباً في بركة العلم وبركة العمل، لأنَّ الأمر كما قال بعضُ السَّلف: « رُبَّ عَمَلٍ صَغِيرٍ كَثَّرَتْهُ النِّيَّةُ، وَرُبَّ عَمَلٍ كَبِيرٍ تُصَغِّرُهُ النِّيَّةُ»[٣].

فينبغي على مَنْ وَفَّقه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ للعلم أَنْ يحذر مِنْ كُلّ نِيَّة فاسدة وأَنْ يحرص على أَنْ يجعل نيّته في التَّحصيل والطلب وجه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وطلب رضاه جل في علاه.

كما أنَّ مقام العلم يحتاج مِنَ العبد إلى جدٍّ واجتهاد وحرصٍ على التَّحصيل، ومجاهدةٍ للنفس، وبُعدٍ عن الخُمُول والكسل؛ بل كان نَبِيّنا عليه الصلاة والسلام يتعوَّذُ بالله مِنَ العَجْز وَمِنَ الكسل[٤]، لأنَّ الكسل سببٌ للحرمان مِنَ الخير

---

(١) رواه البخاري (١) ومسلم (١٩٠٧).

(٢) رواه مسلم (٢٥٦٤).

(٣) وهو الإمام عبد الله بن المبارك، كما في «سير أعلام النبلاء» (٨/ ٤٠٠)، و«تاريخ الإسلام» (٤/ ٨٩٣).

(٤) عن أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: « **اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ وَالْجُبْنِ وَالْهَرَمِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ**» رواه البخاري (٢٨٢٣)، ومسلم (٢٧٠٦).

والفضائل، وَضدّه وهو الجِدُّ سببٌ لنيل الخيرات وتحصيل الفضائل؛ كما قيل:

الجَدُّ في الجِدِّ والحِرْمَانُ في الكسلِ فانْصَبْ تُصِبْ عن قريبٍ غايةَ الأملِ

أي أنَّ النَّصيب العظيم والحظّ الوافر لا يُنال إلا بالجِدّ، أمَّا الكسل والخُمُول فإنَّه لا يُفضي بصاحبه إلَّا إلى الحرمان.

فإذاً ينبغي على العبد في هذا المقام أَنْ يحرص على المجاهدة لنفسه في تحصيل العلم ونيله، كما قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩﴾ [العنكبوت].

ومن الأمور المهمّة العظيمة في هذا المقام بل هو أساسٌ لابدّ منه وأصلٌ لابدّ من العناية به: أن يستعين طالب العلم في تحصيله للعلم بربِّه جل وعلا، وقد مرَّ معنا قول الله لنبيِّه: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا ١١٤﴾ [طه].

ومرَّ معنا أنَّ نبينا ﷺ يدعو كل يوم بعد صلاة الصّبح: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ عِلْمًا نَافِعًا، وَرِزْقًا طَيِّبًا، وَعَمَلًا مُتَقَبَّلًا**»؛ فيحرصُ طالب العلم على الاستعانة بالله وطلب المدد والعون والتَّوفيق منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، والله جَلَّ وَعَلَا يقول: ﴿وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ٢١﴾ [النور]، ويقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ٧﴾ [الحجرات].

كما أنَّ طالب العلم ينبغي عليه أَنْ يحرص أشدَّ الحرص على العمل بالعلم؛ لأنَّ مقصودَ العلم العمل، فقد جاء عن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّه قال: «هَتَفَ بِالعِلْمِ العَمَلَ، فَإِنْ أَجَابَهُ وَ إِلَّا ارْتَحَلَ»(١).

---

(١) رواه ابن عساكر في «ذم من لم يعمل بعلمه» (ص٣٨).

فينبغي على طالب العلم أَنْ يحرص على العمل لأنَّ العمل هو المقصود، أمَّا إذا كان يجمعُ العلوم الكثيرة ويعرِضُ عن العمل بها فإنَّ علومه تكون حجَّة عليه، وقد قال ﷺ: «وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ»(١)، أي حجَّة لك إن عملت به، وحجة عليك إن لم تعمل به .

كما أنَّ طالب العلم ينبغي عليه أَنْ يحرص على التَّحلي بالآداب الفَاضلة والأخلاق الرَّفيعة كالرِّفق واللِّين والأناة والحِلم والصبر وغير ذلك من الأخلاق الفاضلة العظيمة، وأَنْ يتأدَّب بالآداب الَّتي يَنْبَغي أَنْ يكون عليها طالب العلم.

العلماء رحمهم الله كَتَبُوا في ذلك كتاباتٍ كثيرة، وَمِنَ المُخْتَصَرات النَّافعة في هذا الباب: كتاب «حِلْيَةُ طَالِبِ العِلْم»(٢) للشيخ بكر أبو زيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ فإنَّه نافعٌ في بابه ومفيد فائدةً عظيمة.

ثم إذا وُفِّق طالب العلم لتحصيل العلم والاستفادة من العلم والانتفاع به فينبغي عليه أَنْ يحرص على بذل هذا العلم للآخرين والحرص على تعليمه للنَّاس عملاً بقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَٱلْعَصْرِ ١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ٣﴾ [سورة العصر] .

وهذه السورة العظيمة أقسم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فيها على خسارة الإنسان، وأنَّه لا ينجو من الخسران إلَّا مَنْ آمن عَنْ علم وعمِل بما علِم ودعا غيره إلى ذلك وصَبَر على مَا يناله من الأذى.

وبما سبق يُعلم أنَّ هذا المقام -مقام العلم وتعلُّمه والعمل به- درجات مثل

(١) رواه مسلم (٢٢٣).

(٢) قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فهذه الحلية لا شك أنها مفيدة و نافعة لطالب العلم و ينبغي للإنسان أن يحرص عليها و يتبعها» «شرح حلية طالب العلم» (ص٢٣٦).

ما نَقَل الإمام الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في السِّير «سِيَرُ أَعْلَامِ النُّبَلَاء»[١] عن محمّد بن النَّضر قال: « أوّل العلم الاستماع والإنصات، ثم حفظه، ثم العمل به ، ثم بثه»، أي نشر العلم؛ ونشر العلم يترتب عليه ثواب عظيم، لأنَّ كلّ من يستفيد من علم المتعلم ودعوته يُكتب له مثل أجره كما قال عليه الصلاة والسلام: «**مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا**»[٢]، وقال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ**»[٣].

ويبقى هذا متسلسلاً مستمراً كلَّما انتفع الطُلّاب، وطلّاب الطلّاب، وطلّابهم،كُلَّما انتفع أحدٌ بعلم المتعلِّم كُتب له أجره وكُتب له ثوابه[٤]، ولا شَكَّ أنَّ هذا ممَّا يدلُّ على فضل التَّعليم وفضل الحرص على نفع الناس، والنّبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يقول: «**لأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ**»[٥].

وفي الختام:

نسأل الله عَزَّوَجَلَّ العظيم رب العرش العظيم بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن

---

(١) (٨/ ١٧٦).

(٢) رواه مسلم (٢٦٧٤).

(٣) رواه مسلم (١٨٩٣).

(٤) قال الإمام المنذري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:« وناسخ العلم النافع له أجره، وأجر من قرأه، أو نسخه، أو عمل به من بعده ما بقي خطه، والعمل به » [«الترغيب و الترهيب» (١/ ٦٢)].

(٥) رواه البخاري (٣٧٠١)، ومسلم (٢٤٠٦).

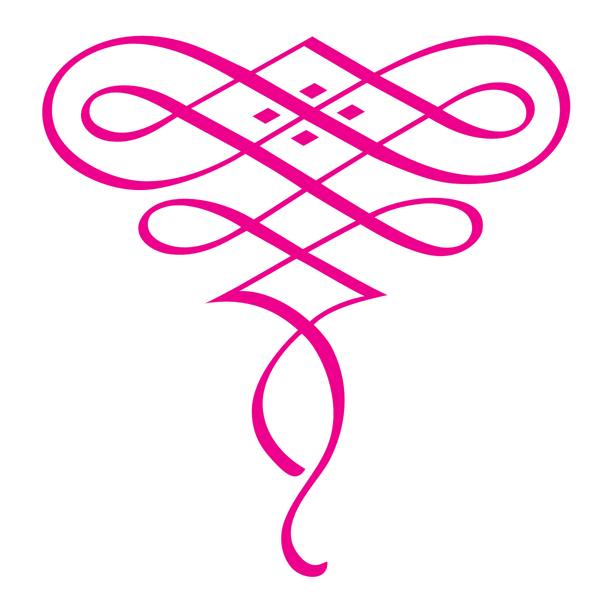
قال الإمام النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « (حُمْرِ النَّعَمِ): هي الإبل الحمر وهي أنفس أموال العرب يضربون بها المثل في نفاسة الشيء وإنه ليس هناك أعظم منه وقد سبق بيان أن تشبيه أمور الآخرة بأعراض الدنيا إنما هو للتقريب من الأفهام وإلا فذرة من الآخرة الباقية خير من الأرض بأسرها وأمثالها معها لو تصورت وفي هذا الحديث بيان فضيلة العلم والدعاء إلى الهدى وسن السنن الحسنة »«شرح النووي على صحيح مسلم» (١٥/ ١٧٨).

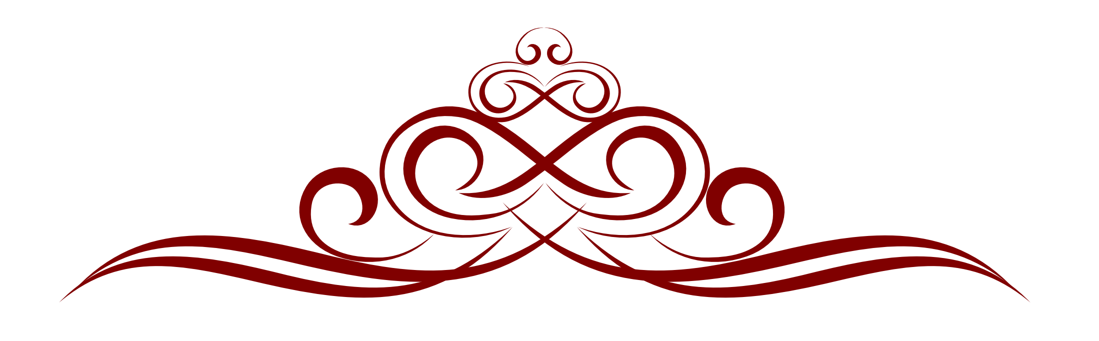
يمنَّ علينا أجمعين بالعلم النافع والعمل الصالح، وأن يهدينا إليه صراطًا مستقيما، وأن يصلح لنا شأننا كله، وأن لا يكلنا إلى أنفسنا طرفة عين، اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا، وأصلح لنا آخرتنا التي فيها معادنا، واجعل الحياة زيادةً لنا في كل خير، والموت راحةً لنا من كل شر، اللهم اغفر لنا ولوالدينا ولمشايخنا وللمسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات، الأحياء منهم والأموات، اللهم اقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك، ومن طاعتك ما تبلِّغنا به جنتك، ومن اليقين ما تهوِّن به علينا مصائب الدنيا، اللهم متعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا واجعله الوارث منا، واجعل ثأرنا على من ظلمنا، وانصرنا على من عادانا، ولا تجعل مصيبتنا في ديننا، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا ، ولا تسلِّط علينا من لا يرحمنا .

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

اللهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.







دعوة النبيين عليهم السلام

الشيخ
عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر

اعتنى بها وعلق عليها
أبو عبد العزيز منير الجزائري



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة المعتني:

الحمدُ لله ذِي الإِفْضَال و الإِنْعام، وأشهدُ أَنْ لَا إِله إِلَّا الله وحده لا شريك له الملك العلَّام، وأشهدُ أنَّ محمَّدًا عبدُه ورسوله خير الأنام، صلَّى الله عليه و على آله وصحبه الأئمة الأعلام.

أَمَّا بَعْد:

فَبَيْنَ يَديك أَخِي الحَبِيب وُرَيْقَات، أصلها محاضرة لشيخنا عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر حفظه الله **بعنوان:**« دعوة النبيين عليهم السلام ».

ألقاها في بلدنا الحبيب الجزائر أثناء زيارته الدعوية يوم ١٢ جمادى الأولى ١٤٣٤هـ.

فاسْتَأْذَنْتُ الشيخ في تَفْرِيغِها مَعَ التَّعْلِيق عَلَى بَعْض المَوَاضِع مِنْها[١]، فما كان مِنَ الشيخ إِلَّا المُوَافقة فجزاه الله خير الجزاء.

ولا يخفى عليك أخي الحبيب أهمية هذا الموضوع، وذلك لأنه متعلِّق بركن مِنْ أركان الإيمان وهو الإيمان بالرُّسل، كما أنَّ المتأمّل لسيرهم عليهم السلام يجني الفوائد العديدة، والمزايا المديدة.

قال العلامة عبد الرحمن السعدي رحمه الله:

«وفي ذلك عدَّة فوائد:

(١) و كان ذلك في المسجد النبوي، يوم الأربعاء ٧ جمادى الآخرة ١٤٣٤هـ.

منها: أنَّ مِنْ تمام الإيمان بهم معرفتهم بصفاتهم وسيرهم وأحوالهم.

وكلَّما كَانَ المؤمن بذلك أعرف، كان أعظم إيمانا بهم، ومحبَّة لهم، وتعظيما لهم، وتعزيرا وتوقيرا.

ومنها: أنَّ مِنْ بعض حقوقهم عَلَيْنا -خُصُوصا النَّبي محمد ﷺ- معرفتهم ومحبتهم محبة صادقة، ولا سبيل لذلك إلا بمعرفة أحوالهم.

ومنها: أنَّ معرفة الأنبياء موجبة لشكر الله تعالى على ما مَنَّ به على المؤمنين، إذ بعث فيهم رسُولًا مِنْهُم يزكِّيهم ويعلِّمهم الكتاب والحكمة، بعد أن كانوا في ضلال مبين.

ومنها: أنَّ الرسل هم المربّون للمؤمنين، الّذين ما نال المؤمنون مثقال ذرة من الخير، ولا اندفع عنهم مثقال ذرة من الشر، إلا على أيديهم وبسببهم.

فقبيح بالمؤمن أن يجهل حالة مربِّيه ومزكِّيه ومعلّمه.

وإذا كان من المستنكر جهل الإنسان بحال أبويه ومباعدته لذلك، فكيف بحالة الرسول، الَّذي هو أولى بالمؤمنين مِنْ أنفسهم، وهو أبوهم الحقيقي، الَّذي حقُّه مقدَّم على سائر الحقوق بعد حق الله تعالى؟!!

ومنها: أنَّ في معرفة ما جرى لهم وجرى عليهم، تحصل للمؤمن الأسوة والقدوة، وتخفُّ عنه كثير من المقلقات والمزعجات، لأنَّها مهما بلغت من الثِّقل والشدَّة، فلا تصل إلى بعض ما جرى على الأنبياء، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب:٢١].

ومن أعظم الاقتداء بهم، الاقتداء بتعليماتهم، وكيفيَّة إلقاء العلم على حسب

مراتب الخلق، والصَّبر على التَّعليم، والدَّعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، والمجادلة بالَّتي هي أحسن، وبهذا وأمثاله كان العلماء ورثة الأنبياء»(١).

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«فَإِنَّهُ لَا سَبِيلَ إِلَى السَّعَادَةِ وَالْفَلَاحِ لَا فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا عَلَى أَيْدِي الرُّسُلِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَلَا سَبِيلَ إِلَى مَعْرِفَةِ الطَّيِّبِ وَالْخَبِيثِ عَلَى التَّفْصِيلِ إِلَّا مِنْ جِهَتِهِمْ، وَلَا يُنَالُ رِضَا اللَّهِ الْبَتَّةَ إِلَّا عَلَى أَيْدِيهِمْ، فَالطَّيِّبُ مِنْ الْأَعْمَالِ وَالْأَقْوَالِ وَالْأَخْلَاقِ لَيْسَ إِلَّا هَدْيَهُمْ وَمَا جَاءُوا بِهِ، فَهُمْ الْمِيزَانُ الرَّاجِحُ الَّذِي عَلَى أَقْوَالِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ وَأَخْلَاقِهِمْ تُوزَنُ الْأَقْوَالُ وَالْأَخْلَاقُ وَالْأَعْمَالُ، وبمتابعتهم يَتَمَيَّزُ أَهْلُ الْهُدَى مِنْ أَهْلِ الضَّلَالِ، فَالضَّرُورَةُ إِلَيْهِمْ أَعْظَمُ مِنْ ضَرُورَةِ الْبَدَنِ إِلَى رُوحِهِ، وَالْعَيْنِ إِلَى نُورِهَا، وَالرّوحِ إِلَى حَيَاتِهَا»(٢).

جعل الله الأنبياء والمرسلين أئمة الهدى، ومصابيح الدجى يبينون الحق من الباطل، والهدى من الضلال،فمن اتبعهم كان مِنَ السُّعداء، ومَنْ أعرض عَنْ منهجهم كان من الأشقياء، قال الله تعالى:﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾ [الإسراء].

فيقيم الله بهم الحجة، و تتضح بسيرتهم المحجَّة :﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾﴾ [النساء].

وفي الختام إنْ كان مِنْ جُهْد يُذْكر في هذه الرِّسالة فَإِنَّما هُوَ مِنَ الشَّيخ أَمَّا الجامع لها، فَمَا كَانَ مِنِّي إِلَّا التَّهذيب و التَّرتيب، والتَّوثيق والتَّدقيق، بَلْ حَاوَلْتُ المُحَافَظَة على كلام الشَّيخ بِحُرُوفِه إِلَّا مَا يَقْتَضِيه المَقَامُ مِنْ إِضَافَة مَا يُربط به الكَلَام لِتَمَامِ

(١) «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان» (ص٣٦).
(٢) «زاد المعاد في هدي خير العباد»(١/ ٦٩).

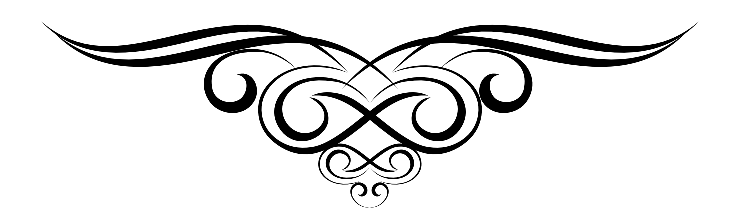
المَعْنى، كَمَّا أَنِّي قُمْتُ بالتَّعليق على بعض المواضع مع إضافة بعض الفوائد التي أَرَاهَا نافعة، والله الموفق.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

مُحِبُّكُم فِي الله

أبو عبد العزيز منير الجزائري

abou-abdelaziz@hotmail.fr



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضِلَّ له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهدُ أَنْ لَا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، وأشهدُ أنَّ محمَّداً عبدُه ورسوله، وصفيُّه وخليله، وصفوته مِنْ خلقه، بلَّغ الرِّسالة وأدَّى الأمانة، ونصح الأمَّة وجاهد في الله حق جهاده حتَّى أتاه اليقين، ما ترك خيراً إلا دلَّ الأمَّة عليه ولا شراً إلا حذَّرها منه؛ فصلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين .

أَمَّا بعد :

إنَّ موضوعنا جليلُ القدر، عظيمُ الأهمية، يحتاج كلُّ واحدٍ منَّا إلى عظيم العناية به؛ ولاسيما مَنْ كان مُعْتنياً بالدَّعوة إلى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مُشْتغلاً بهذه المهمَّة العظيمة الشَّريفة الرَّفيعة الَّتي هي مهمَّة الأنبياء والمرسلين عليهم صلوات الله وسلامه أجمعين؛فموضوعنا هو:

«دَعْوَةُ النَّبِيِّين صَلَوَاتُ اللهُ وَسلَامُهُ عَلَيْهِم » .

والنَبِيُّون هم صفوة الخلق وخيرة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ من خلقه، اصطفاهم جَلَّ وَعَلَا واجتباهم: ﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٞ ﴿٧٥﴾ ﴾ [الحج] .

فالله عَزَّوَجَلَّ اصطفى مِنَ الخلق صفوتهم وخيرتهم وهم أنبياء الله ورسله ليكونوا وسائط بين الله وبين خلقه في إبلاغ دينه وبيان شرعه[1]، ولهذا فإنَّ الأنبياء عليهم

(١) وانظر «مجموع الفتاوى» (١/ ١٢١)، لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ فإنه بالغ الأهمية.

صلوات الله وسلامه أجمعين هم قدوة البشريَّة وهم الضياء للنَّاس، والرِّسالة هي الرُّوح، وهي النُّور، وهي الحياة الحقيقيَّة، فلا روح ولا حياة ولا نور إذا عُدم ضِياء الرِّسالة ونورها.

والحياة الحقيقيَّة إنما تُنال وتُحصَّل بسلوك سبيل النَّبيِّين عليهم السلام ولزوم نهجهم القويم، فإذا كان العبدُ سالكًا سبيلهم مُلازمًا لنهجهم فهو حيٌّ الحياة الحقيقيَّة، وإذا عُدم ذلك فإنَّه في عِدَاد الأموات وإن كان يمشي على قدميه ويأكل الطعام ويشرب الشَّراب ويمشي في الأسواق، وقد قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [الأنعام]، وقال الله تبارك وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الأنفال]، ولهذا فإنَّ الله سبحانه وتعالى سمَّى الوحي المنزَّل على النَّبيين صلوات الله وسلامه روحًا: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾ [الشورى]، وسُمي الوحي روحًا لأنَّ الحياة الحقيقيَّة إنَّما تكون به، وسُمِي نوراً لأنَّ الضِّياء الحقيقي والنّور الحقيقي إنما يكون به، فلا حياة ولا نور إلا بمعرفة نهج النبيين وسلوك صراطهم المستقيم.

ولهذا فإنَّ مِنَ الأمور العظيمة الَّتي يجدرُ بالمسلم أن يُعنى بها وأنْ يهتمَّ بمعرفتها: معرفة نهج النَّبيين عليهم السلام ومعرفة سيَرهم العظيمة، ومناقبهم الشَّريفة، وخصالهم المنيفة، وأعمالهم الجليلة، وحياتهم المباركة العَطِرة العَامرة بكلِّ خير وفضيلة ورفعة، يعرفُ سيرتهم معرفةَ مَنْ يريدُ الاقتداء والائتساء بنهجهم القويم، ومسلكهم المبارك صلوات الله وسلامه وبركاته عليهم أجمعين .

إنَّ الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بلَّغوا رسالة ربِّهم، فمُهمّتهم البَلَاغ، قال الله تعالى: ﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٥٤﴾﴾ [النور] ، فبلَّغوا رسالة ربهم وافيةً كاملة وأدَّوا ما أمرهم الله سبحانه وتعالى به من بلاغٍ وبيان، وقد قال نبينا صلوات الله وسلامه عليه كما في «صحيح مسلم» رَحِمَهُ ٱللَّهُ وغيره: «**إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَى خَيْرِ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَيُنْذِرَهُمْ شَرَّ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ**»(١)، فهكذا كان شأنهم عليهم صلوات الله وسلامه ما تَركوا خيراً إلا دلُّوا أُمَمَهم عليه، ولا شراً إلا حذَّروا أُمَمَهم منه.

والأنبياء هُمْ قُدْوة النَّاس وأُسْوَتهم، ولَا يمكن لعبدٍ أَنْ يقتدي بهم إلَّا إذا عَرَف سَبِيلَهم، وعَرَف نَهْجهم، وعَرَف هَدْيهم ودَرَس سيرتهم صلوات الله وسلامه عليهم، ولِهَذَا تَأْتي القِصَص تِلْوَ القِصَص في كتاب الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لأنبياء الله ورسله عليهم صلوات الله وسلامه أجمعين، وقد قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾﴾ [يوسف](٢).

فَقَصَصُ النَّبِيِّين عليهم صلوات الله وسلامه مَلِيئة بِالعِظَات البَالِغات، والدُّرُوس

---

(١) رواه مسلم (١٨٤٤).

(٢) قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«والعبرة في قصص الرسل من وجهين:

الوَجْهُ الأَوَّل: من جهة أخلاقهم وصبرهم ومعاناتهم لأحوال الخلق، وكيف يدعون الناس ويتحملون في الدعوة ما لا يتحمله إلَّا مَنْ كان مِثْلُهم.

وَالوَجْهُ الثَّاني: العبرة بما جرى من أقوامهم، وأنهم لم يتقبلوا دعوتهم لأول وهلة؛ بل نابذوهم، وعاندوهم، بل وقاتلوهم...

فالحاصل أن نعتبر من وجهين: من جهة حال الرسل، ومن جهة حال المرسل إليهم» «التعليق على القواعد الحسان المتعلقة بتفسير القرآن» (ص١٣٧).

النَّافعات، والعِبَر المُفِيدَات، الَّتي لَا يَسْتَغْني عنها مُسْلِمٌ بل تَمُسُّ الحاجة إليها وإلى معرفتها والعناية بها .

كَمْ هو جميلٌ بالمسلم أَنْ يَكون على صلةٍ يوميّة بِهَدي النَّبِيِّين إيمانًا بأنَّهم حق، وأنَّهم بُعثوا بالحق والهدى، وأنَّهم قدوة الخلق، وأنَّهم صفوة العباد، وأنَّهم ضِياء العَالَم ونوره، وأنَّ بسلوك سبيلهم تَتَحقَّق الحياة الحقيقيَّة، وإذا تأمَّلنا في هذا المقام وجدنا أنَّ هدي نبيِّنا ﷺ يتضمَّن غَرْس هذا المبدأ والتَّمكين له في نفوس عباد الله المؤمنين؛ انظر على سبيل المثال لا الحصر ما جاء عنه ﷺ مِنْ أذكار تُقَال في الصَّباح، أو في المَسَاء، أو عند النَّوم، أو في قيام اللَّيل، أو نحو ذلك، مِمَّا هو في الحقيقة يمكِّن لهذه العقيدة و لهذا الأصل العظيم المَتِين الَّذي هو الإيمان بالنَّبِيِّين عليهم السلام ومعرفة هديهم القويم، وصراطهم المستقيم .

مِنْ ذلكم ما ثَبَت في الصَّحيحين عن النَّبي ﷺ أنَّه قال: «**مَنْ قَرَأَ بِالْآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ البَقَرَةِ فِي لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ**»(١).

أي: مِنْ كُلِّ شرٍّ وسوء(٢).

قال الله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا

---

(١) رواه البخاري (٥٠٠٩)، ومسلم (٨٠٨).

(٢) قال الإمام ابن القيم رحمه الله: «الصحيح أن معناه كفتاه من شر ما يؤذيه، قيل: كفتاه من قيام الليل، وليس بشيء» «الوابل الصيب من الكلم الطيب» (ص١٣١).

عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾ [البقرة][(١)].

ومِنْ أدعية الصَّباح والمَسَاء: «**أَصْبَحْنَا عَلَى فِطْرَةِ الْإِسْلَامِ، وَعَلَى كَلِمَةِ الْإِخْلَاصِ، وَعَلَى دِينِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ، وَعَلَى مِلَّةِ أَبِينَا إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**»[(٢)].

وكان نبيُّنا عليه الصلاة والسلام كما ثبت في «الصَّحيحين» يستهلُّ ويستفتحُ قيامه في صلاة باللَّيل بقوله صلوات الله وسلامه عليه: «**اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ وَلَكَ الحَمْدُ، أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ وَلَكَ الحَمْدُ، أَنْتَ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ وَلَكَ الحَمْدُ، أَنْتَ الحَقُّ وَوَعْدُكَ الحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ، وَقَوْلُكَ حَقٌّ، وَالجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ** -وهذا موضع الشاهد- **وَمُحَمَّدٌ ﷺ حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ، اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ، فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، أَنْتَ المُقَدِّمُ**

---

(١) قال شيخنا عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر حفظه الله: «تضمَّنت الآيتان إيمان المؤمنين بالله، ودخولهم تحت طاعته وعبوديته واعترافهم بربوبيته، واضطرارهم إلى مغفرته، واعترافهم بالتقصير في حقِّه، وإقرارهم برجوعهم إليه، واستشعارهم لمجازاته إياهم على أعمالهم، ودعائهم إيَّاه سبحانه، وسؤالهم العفو والمغفرة والرحمة والنصر على الأعداء، وهي بلا ريب معان عظيمة تدلُّ على كمال إيمانهم وتمام قبولهم وصدق انقيادهم لله رب العالمين» «فقه الأدعية والأذكار» (٣/ ٥٩).

(٢) رواه أحمد (٣/ ٤٠٧)، وصحَّحه الألباني في «صحيح الجامع» (٤٦٧٤).

قال شيخنا عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر حفظه الله: «ما أجْمَلَ أن يَفتَتِحَ المسلمُ يومَه بهذه الكلمات العظيمة، المشتملة على تجديد الإيمان، وإعلان التوحيد، وتأكيدِ الالتزام بدين محمد ﷺ، والاتِّباع لِمِلَّة إبراهيم الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ، الحنيفية السمحة، والبُعدِ عن الشرك كلِّه صغيره وكبيره.

فهي كلماتُ إيمانٍ وتوحيد، وصدقٍ وإخلاص، وخضوعٍ وإذعان، ومتابعةٍ وانقياد، جديرٌ بِمَن يُحافظ عليها أن يتأمَّل في دلالاتها العظيمة ومعانيها الجليلة» «فقه الأدعية والأذكار» (٣/ ٣٢).

وَأَنْتَ المُؤَخِّرُ، لاَ إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ»[١] .

إلى غير ذلكم مِنَ الدَّعوات العظيمة المأثورة عن النَّبي ﷺ .

بلْ إنَّه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كان يُقَوِّم أصحابه إذا وقع مِنْ أحد منهم شيء من الخطأ ولو كان يسيراً في الألفاظ المأثورة عنه في هذا الباب، ومن ذلكم حديث البرَّاء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عندما سمع من النبي ﷺ ما يقال عندما يأوي المسلم إلى فراشه:«**اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ نَفْسِي إِلَيْكَ، وَوَجَّهْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ، رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ، لاَ مَلْجَأَ وَلاَ مَنْجَا مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ، آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ، وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ**»، فلمَّا أعادها بين يدي رسول الله ﷺ تثبُّتًا وتأكُّداً وتحقّقًا قال في خاتمتها (وبرسولك الذي أرسلت) قال النبي ﷺ : « **لاَ، وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ**»[٢] .

هذا وله نظائر كثيرةٌ جدًّا كلّها مِمَّا يُبَيِّن لنا المكانة العظيمة لهذا الأصل المتين الَّذي ينبغي أَنْ يُعْنى به المسلم.

عندما نؤمن بأنَّ النَّبِيِّين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين حق، وأنَّهم بُعثوا بالحق والهدى، وأنهم بلَّغوا دين الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وافيًا تامًا غير منقوص، بلَّغوا الرسالة وأدَّوْا الأمانة ونصحُوا الأمَّة وجاهدوا في الله حقَّ جهاده حتَّى أتاهم اليقين،

---

(١) رواه البخاري (١١٢٠)، ومسلم (٧٦٩).

ولشيخنا عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر حفظه الله شرح موسع على هذا الحديث في رسالة لطيفة بعنوان:«المقالة المفيدة شرح حديث جامع في العقيدة»، وهي مطبوعة متداولة ولله الحمد.

(٢) رواه البخاري (٢٤٧)، ومسلم (٢٧١٠).

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: « وأولى ما قيل في الحكمة في ردّه ﷺ على من قال (الرسول) بدل (النبيّ) أنَّ ألفاظ الأذكار توقيفيّة، ولها خصائص وأسرار لا يدخلها القياس، فيجب المحافظة على اللّفظ الذي وردت به» « فتح الباري شرح صحيح البخاري » (١١/ ١١٢).

وما تركوا خيراً إلَّا دلُّوا أُمَمَهم عليه، ولا شراً إلَّا حذَّروا أممهم منه، إذا كان ذلكم حاضرا في أذهاننا متمكِّنًا مِنْ قلوبنا ازددنا عنايةً بمعرفة هديهم وسبيلهم صلوات الله وسلامه عليهم .

ولا يخفى على الجميع أَنَّ الإيمان بالنَّبِيِّين ركنٌ مِنْ أَرْكان الدِّين وأصلٌ مِنْ أصوله العِظام الَّذي يُبنى دين الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عليها، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾[البقرة]، وقال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾ [النساء]، وتقدمت الآية: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾[البقرة]؛ وهذه الآيات الثلاث المتقدمات جَمَعَت أصول الإيمان الَّتي يُبنى عليها دين الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وقد جَمَع النَّبي ﷺ هذه الأصول العظيمة في الحديث المشهور بحديث جبريل قال: «**قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ**».

قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»[1] .

وهذه الأصول الَّتي منها الإيمان بالنَّبِيِّين لا قيام للدِّين إلَّا عليها فهي للدِّين بمثابة الأصول للأشجار، والأُسس للبنيان، قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [إبراهيم].

(١) رواه مسلم (٨).

ولهذا فإنَّ الإخلال بهذه الأصول أو بشيء منها إخلالٌ بالدِّين كلّه، كما قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ٥﴾ [المائدة].

إنَّ الإيمان بالنَّبِيين الَّذي هو أصل من أصول الدِّين العِظَام وأساسٌ مِنْ أسسه المتينة ينبني عليه كل فضيلة وكل رفعة في الدنيا والآخرة؛ ذلكم أنَّ النَّبيين عليهم صلوات الله وسلامه قَدْ رَفَعَ الله درجاتهم، وأعلى الله مقامهم، ورفع سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قدرهم، وجعلهم قدوة للناس، فمن كان مؤتسياً بهم، مقتدياً بهديهم، سائراً على نهجهم، فهو من أهل النَّجَاة والفلاح والسَّعادة في الدّنيا والآخرة، وَمَنْ كان بخلاف ذلك فإنَّ حياته كلّها خرابٌ تبابٌ[١] ضياع[٢].

ولنتأمَّل آياتٍ كريمات لعلَّها تكون منطلقاً لنا في الحديث عن هذا الموضوع العظيم دعوة النبيين عليهم صلوات الله وسلامه أجمعين.

وَرَد في «سورة الأنعام» آياتٌ عظيماتٌ مباركاتٌ هي أجمع آيات القرآن ذِكْراً لأسماء النَّبيين عليهم صلوات الله وسلامه، و الله عَزَّوَجَلَّ قصَّ علينا خَبَر عددٍ من النَّبيِّين ولم يقص علينا خبر عدد آخر منهم، كما قال تعالى: ﴿مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ [غافر]، وأيضاً ذَكَر جَلَّ في علاه عدداً مِنَ النبيين بأسمائهم سمَّاهم تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بأسمائهم، ومنهم من لم يذكر جَلَّ وَعَلَا اسمه،

(١) « التَّبُّ : الخَسَارُ، والتَّبَبُ مُحَرَّكَةً، والتَّبَابُ كسَحَابٍ، والتَّبِيبُ كأَمِير : الهَلَاكُ والخُسْرَانُ »« تاج العروس » مادة: « ت ب ب ».

(٢) قال شيخنا عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر حفظه الله:«ليست حاجة أهل الأرض إلى الرسل كحاجتهم إلى الشمس و القمر و الرياح و المطر، ولا كحاجة الإنسان إلى حياته، ولا كحاجة العين إلى ضوئها و الجسم إلى الطعام و الشراب، بل أعظم من كل ما يقدر و يخطر بالبال؛ فالرسل وسائط بين الله وبين خلقه في تبليغ أمره ونهيه، وهم السفراء بينه وبين عباده، يدعونهم إلى دين الله، ويبلغونهم رسالة الله، ويهدونهم إلى صراطه المستقيم»«فضل النبي ﷺ ووجوب اتباعه».

ولاشك أن مَن ذكره الله س سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ باسمه وسمَّاه باسمه في القرآن الكريم أشرف وأفضل وأعظم مِمَّن لَمْ يُذكر كمَا نصَّ على ذلكم أهل العلم رحمهم الله تعالى.

وأجمع الآيات ذِكراً لأسماء النَّبِيِّين عليهم صلوات الله أجمعين آيات مباركات في «سورة الأنعام»، يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾﴾ إلى آخر الآيات وفيها يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠].

هذا السِّياق المبارك ذكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فيه ثمانية عشر نبيًا بأسمائهم ولهذا قال النَّاظم: (١)

فِي ﴿تِلْكَ حُجَّتُنَا﴾ مِنْهُمْ ثَمانيَةْ ... مِنْ بَعْدِ عَشْرٍ وَيَبْقَى سَبْعَةٌ وَهُمُ

إِدْرِيسُ هُودٌ شُعَيْبٌ صَالِحٌ وَكَذَا ... ذُو الكِفْلِ آدَمُ بِالمُخْتَارِ قَدْ خُتِمُوا

وذلك أنَّ عَدَد الأنبياء الَّذين ذكرهم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في القرآن الكريم عددهم خمسة وعشرون نبيًا؛ ثمانية عشر منهم ذكرهم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في هذه الآيات المتقدم ذكرها من «سورة الأنعام»، ويبقى سبعة وهم الَّذين مرَّ معنا في البيت ذِكْر أسمائهم عليهم صلوات الله وسلامه وعلى جميع النَّبِيِّين.

(١) «إعانة الطالبين» لأبي بكر الديمياطي (١/ ١٣).

وتأمَّل أيّها الأخ الكريم قول الله عَزَّوَجَلَّ في هذا السِّيَاق المبارك: ﴿نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ﴾، وقوله جَلَّوَعَلَا: ﴿وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٨٧﴾، وقوله جَلَّوَعَلَا: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾؛ فهذا كلُّه مِمَّا يُبيِّن لك شرف هؤلاء ورفعة درجاتهم عند الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، وأنَّ الله اجتباهم وهداهم إلى صراط مستقيم، وأنَّهم قدوة للخلق، وقد قال الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ لنبيِّه صلوات الله وسلامه عليه: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾، أَمَرَه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ أنْ يقتدي بهم، والَّذي كان مِنْ نَبِيِّنا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أنه اقتدى بهم كما أمره الله؛ ولهذا فإنَّ العلماء في كتب التفسير أخذوا من هذا الموضع من هذا السياق المبارك أنَّ نبيَّنا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أفضل النَّبيِّين على الإطلاق، لأنَّ الفضائل الَّتي تفرَّقت في الأنبياء اجتمعت فيه صلوات الله وسلامه عليه، فالله أمره أن يقتدي بهم أجمعين فكان منه ذلك، اقتدى بهم في فضائلهم وخصالهم العظيمة وخلالهم المباركة، فكان صلوات الله وسلامه عليه خيرهم وأفضلهم وسيَّدهم وسيَّد ولد آدم أجمعين، كما قال صلوات الله وسلامه عليه: «**أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ القِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ**»[1].

صلوات الله وسلامه وبركاته عليه وعلى جميع النَّبِيِّين.

إنَّ الواجب على مَنْ عرف قَدْرَ النَّبِيِّين ومكانتهم العليّة ومنزلتهم الرَّفيعة أَنْ يحرص تمام الحِرص على الاقتداء بهم، والسَّير على نهجهم، ولزوم سبيلهم عملاً بقول الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾، وهذا الموضع يُبيِّن لنا الفائدة العظيمة مِنْ ذِكر قَصَص الأنبياء، فالله عَزَّوَجَلَّ إنَّما ذَكَر قَصَصهم لِيأْتسي النَّاس بهم، وليلْزَموا نهجهم، وليسلُكوا سبيلهم: ﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ﴾ [يوسف].

(١) رواه أحمد (١٧/ ١٠)، و الترمذي (٣١٤٨)، و أبو داود (٤٦٧٣)، وابن ماجة (٤٣٠٨)، وصححه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجة» (٤٣٠٨).

أحاديث الأنبياء وسيَرهم ما كانت تُذكر وتُبيَّن في كتاب الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ إلَّا مِنْ أجل أَنْ تُعرف تلك المقامات الشَّريفة والمناقب العظيمة ليقتدي النَّاس بهم عليهم صلوات الله وسلامه أجمعين.

والأنبياء إنَّما بُعثوا لغايةٍ شريفة، ومهمَّةٍ عظيمة، وهي دعوة النَّاس إلى دين الله وإخراجهم مِنَ الظُّلمات إلى النُّور ودعوتهم إلى توحيد الله وإخلاص الدِّين له تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل]، وقال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء]، وقال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَٰنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الزخرف]، وقال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ﴿وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢١﴾﴾ [الأحقاف]، والنُّذُر: هم الرسل عليهم صلوات الله وسلامه أجمعين.

فجميع النَّبيين بُعثوا لهذه المهمَّة العظيمة والوظيفة الشريفة: **دعوة الناس إلى دين الله ودعوتهم إلى توحيده**، ولهذا مَا مِنْ نَبيّ يبعثه الله إلَّا ويكون أوّل ما يُخَاطِبُ به قومه: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٥٩][1]، فالتَّوحيد هو زبدة دعوة النَّبيين وخُلَاصة رِسَالتهم عليهم صلوات الله وسلامه أجمعين[2].

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«أَكْثَرَ الرُّسُلِ افْتَتَحُوا دَعْوَتَهُمْ بِالْأَمْرِ بِعِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ دُونَ مَا سِوَاهُ كَمَا أَخْبَرَ اللهُ عَنْ نُوحٍ وَهُودٍ وَصَالِحٍ وَشُعَيْبٍ.

وَقَوْمُهُمْ كَانُوا مُقِرِّينَ بِالْخَالِقِ لَكِنْ كَانُوا مُشْرِكِينَ يَعْبُدُونَ غَيْرَهُ كَمَا كَانَتْ الْعَرَبُ الَّذِينَ بُعِثَ فِيهِمْ مُحَمَّدٌ ﷺ» «مجموع الفتاوى» (١٦/ ٣٣٢).

(٢) قال الإمام ابن أبي العز الحنفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«وَمِنَ الْمُحَالِ أَنْ تَسْتَقِلَّ الْعُقُولُ بِمَعْرِفَةِ ذَلِكَ وَإِدْرَاكِهِ عَلَى التَّفْصِيلِ، فَاقْتَضَتْ رَحْمَةُ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ أَنْ

وتَرْتَكِزُ دعوة النَّبيين عليهم صلوات الله وسلامه على محاور ثلاثة تدور عليها دعواتهم أجمعين:

الأَوَّلُ: تعريف الناس بربهم وأنَّه سبحانه وتعالى المعبود بحق ولا معبود بحق سواه؛ يُعَرِّفون به، بالتَّعريف بأسمائه الحسنى وصفاته العلا، وأفعاله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ العظيمة وتدبيره لهذا الكون وشمول قدرته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ونفوذ مشيئته وعموم ربوبيته وسعة علمه، إلى غير ذلكم من أوصافه جَلَّ وَعَلَا العظيمة[1].

الثَّانِي: تعريف الناس بالطريق الموصل إلى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ؛ وذلك ببيان دين الله، وتعريف النَّاس بالحلال والحرام والأحكام والأوامر والنَّواهي، ونحو ذلك من الأمور الموصلة إلى الله تبارك وتعالى.

الثَّالِثُ: تعريف الناس بما أعدَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لهم يوم لقائه في الدار الآخرة، وأنَّ الله عز وجل أعدَّ للمتقين جنات النَّعيم، وأنَّه أعدَّ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ للكافرين العذاب الأليم.

فالأنبياء كلهم مِنْ أوَّلهم إلى آخرهم تَدُور دعوتهم على هذه المحاور الثلاثة وترتكز عليها، وهذه المحاور هي خلاصة الدِّين وأساسه الذي عليه يُبنى وهي تَجْمَعُ الخير كلّه، فأنبياء الله ورسله قائمة دعوتهم على ذلك.

بَعَثَ الرُّسُلَ بِهِ مُعَرِّفِينَ، وَإِلَيْهِ دَاعِينَ، وَلِمَنْ أَجَابَهُمْ مُبَشِّرِينَ، وَلِمَنْ خَالَفَهُمْ مُنْذِرِينَ، وَجَعَلَ مِفْتَاحَ دَعْوَتِهِمْ، وَزُبْدَةَ رِسَالَتِهِمْ، مَعْرِفَةَ الْمَعْبُودِ سُبْحَانَهُ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ، إِذْ عَلَى هَذِهِ الْمَعْرِفَةِ تُبْنَى مَطَالِبُ الرِّسَالَةِ كُلِّهَا مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى آخِرِهَا» «شرح العقيدة الطحاوية» (ص٢٠).

(١) قال الإمام عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: «المقصود من دعوة الرسل تخصيص الله بالعبادة، وإفراده بها، لا يدعى إلا هو جل وعلا، ولا يستغاث إلا به، ولا ينذر إلا له، ولا يذبح إلا له، ولا يصلى إلا له، إلى غير ذلك من العبادات، فهو المستحق لها جل وعلا دون كل ما سواه، وهذا هو معنى لا إله إلا الله، فإن معناها لا معبود حق إلا الله» «مجموع فتاويه» (٢/ ٤٣).

ولهذا ينبغي أَنْ يُعلم أَنَّ الأنبياء دعوتهم وأصولهم واحدة، وإن كان ثمَّة شيء مِنَ الفرق بين نبيّ وآخر في تفاصيل الشرائع وتفاصيل الأحكام، كما قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة:٤٨]، فالأحكام قد تختلف مِنْ نبيّ إلى آخر، أمَّا العقائد والأصول والمرتكزات لدى جميع النّبيين فإنَّها واحدة لا خلاف بين نبي وآخر في شيء من ذلك، ولهذا قال نبيُّنا ﷺ كما في الحديث الصحيح: «**الْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَّاتٍ؛ أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى، وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ**»[١].

«**أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى**»: أي الشرائع مختلفة.

«**وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ**»: أي أصولهم وعقائدهم واحدة.

كما هو الشأن في أبناء العلَّات، والعلَّات: هنَّ الضَّرائر، الزوجة على الزوجة، أبناء العلَّات أبوهم واحد وأمَّهاتهم مختلفات .

فالأنبياء أبناء علَّات: دينهم واحد أي أصولهم واحدة، وأمَّا الشَّرائع فقد تختلف من نبيّ إلى آخر .

إذاً الأنبياء جميعا بُعثوا لغاية عظيمة ومهمّةٍ شريفةٍ جليلة وهي دعوة الناس إلى دين الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وإخراجهم من الظلمات إلى النور وبيان الصِّراط المستقيم الَّذي به نجاةُ العباد وسعادتهم وفلاحهم وفوزهم في الدُّنيا والآخرة ، فالأنبياء جميعا تدور دعوتهم على ذلك، ولهذا كان من المتأكَّد على كل مسلم ولاسيما مَنْ يشتغلُ بالدَّعوة إلى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أَنْ يعرف هذا المقام العظيم ليلزم نهج

---

(١) رواه البخاري (٣٤٤٣)، و مسلم (٢٣٦٥).

قال الإمام ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « والعلات بفتح المهملة الضرائر، وأصله أن من تزوج امرأة ثم تزوج أخرى كأنه عل منها، والعلل الشرب بعد الشرب وأولاد العلات الأخوة من الأب وأمهاتهم شتى »« فتح الباري شرح صحيح البخاري »(٦/ ٤٨٩).

النبيين، ولهذا قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في «سورة يوسف»: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف] .

فقوله سبحانه: ﴿هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ﴾: أي السَّبيل الَّتي كان عليها جميع النَّبيين هي سبيل نبيِّنا محمد ﷺ وهي سبيل أتباعه من بعده، سبيل واحدة، دعوة إلى الله أي: دعوة إلى توحيد الله وإخلاص الدِّين له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ أي : على علم ومعرفة بالنهج القويم والمسلك المستقيم الَّذي كان عليه أنبياء الله ورسله عليهم صلوات الله وسلامه أجمعين.

وإذا كان مطلوبًا مِنَ الدَّاعية إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أَنْ يعرف الغاية التي بُعث الأنبياء لأجلها والمرتكزات التي تدور عليها دعوة النبيين فإنَّه في الوقت نفسه مطلوبٌ من الداعي إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أَنْ يَعْرِفَ السُّبل الَّتي كان عليها الأنبياء في الدعوة إلى الله عز وجل مِنْ حلمٍ وصبرٍ وحكمةٍ ورفقٍ وأناةٍ وجهدٍ عظيم لنصرة دين الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وأيضًا حجةٍ واضحةً وبيّنة ونورٍ وبصيرةٍ مِنَ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ إلى غير ذلك مِنَ الأوصاف الَّتي تحلَّى بها الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم .

والكلام على هذه الجملة يطول جداً، لأنَّ قصص الأنبياء الَّتي في القرآن الكريم تشتمل على هذه المعاني العظيمة في ذكر صبر الأنبياء، أو حكمتهم، أو رفقهم، أو جهودهم العظيمة في الدعوة إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، إلى غير ذلكم من أوصاف الأنبياء العظيمة الدَّالة على كمالهم وإمامتهم وكونهم قدوة للخلائق في أبواب الخير ومجالات النَّفع والانتفاع والدَّعوة إلى دين الله تبارك وتعالى .

لكن أشيرُ في هذا الباب إلى إشارات يسيرة مِنْ خِلَال قصص بعض الأنبياء ممَّا يتهيأ لنا في مثل هذا المقام، ونسأل الله عَزَّوَجَلَّ المعونة لنا أجمعين والتوفيق

والتسديد لما يحبه ويرضاه من سديد الأقوال وصالح الأعمال .

لكنَّ هذه إشارة إلى الاهتمام ومزيد العناية بقصص الأنبياء ، وتعلم أخي في الله أن عدداً من أهل العلم أفردوا قصص الأنبياء أو ضمَّنوها في كتبهم الكبار ، لكن من أحسن ما في هذا الباب كتاب «البِدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ» للإمام ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ فيما ذكره من قصص الأنبياء، وأيضًا الخلاصة النفيسة المتينة التي في رأيي لا يستغني عنها طالب علم والتي كتبها الإمام ابن سعدي رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه «تَيْسِيرُ اللَّطِيفِ المَنَّان فِي خُلَاصَةِ تَفْسِيرِ القُرْآن» وأُفردت في رسالة مستقلة بعنوان «قَصَصُ الأَنْبِيَاء»؛ فإنَّ هذا الَّذي كتبه الإمام ابن سعدي رَحِمَهُ اللَّهُ فيه جهد عظيم ولاسيما في باب استخلاص الفوائد والعبر المستفادة من قصص الأنبياء، وإلَّا فإنَّ قصص الأنبياء والدروس والفوائد والعبر المستفادة من قصصهم كثيرة جدا.

خُذْ على سبيل المثال قصَّة يوسف عليه صلوات الله وسلامه جاءت في سورة كاملة في القرآن الكريم اشتملت على فوائد عظيمة[1].

---

(١) **فائدة:**

قال الإمام القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «اختلف العلماء لم سميت هذه السورة أحسن القصص من بين سائر الأقاصيص؟

فقيل: لأنه ليست قصة في القرآن تتضمن من العبر والحكم ما تتضمن هذه القصة؛ وبيانه قوله في آخرها: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[يوسف: ١١١].

وقيل: سماها أحسن القصص لحسن مجاوزة يوسف عن إخوته، وصبره على أذاهم، وعفوه عنهم - بعد الالتقاء بهم - عن ذكر ما تعاطوه، وكرمه في العفو عنهم، حتى قال: ﴿ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ﴾[يوسف: ٩٢].

وقيل: لأن فيها ذكر الأنبياء والصالحين والملائكة والشياطين، والجن والإنس والأنعام والطير، وسير الملوك والممالك، والتجار والعلماء والجهال، والرجال والنساء وحيلهن ومكرهن، وفيها ذكر التوحيد والفقه والسير وتعبير الرؤيا، والسياسة والمعاشرة وتدبير المعاش، وجمل الفوائد التي تصلح للدين والدنيا.

وقيل: لأن فيها ذكر الحبيب والمحبوب وسيرهما.

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وفي هذه القصة من العبر والفوائد والحكم ما يزيد على ألف فائدة»(١).

وشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «تفسيره» الذي جمع ضمن ذلك فوائد مستنبطة من «سورة يوسف» عدَّدها فائدة تلو الأخرى فبلغت الفوائد التي عددها رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى من قصة يوسف ما يقرب من الخمسمائة فائدة(٢).

فقصص الأنبياء مليئة بالفوائد والعبر والعظات ممَّا يتطلَّبُ مِنْ طالب العلم أَنْ يَقِفَ على تلك القصص وأَنْ يَنْهَل من ذلك المَعِين المُبَارك.

وللمبتدئ في هذا المقام أَنْ يقرأ أوَّلاً ما أشرتُ إليه وَهُوَ كتاب الإمام ابن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ «تيسير اللَّطيف المنَّان في خُلَاصة تفسير القرآن» فإنَّه ضمَّنه فصلاً أشرتُ إلى أنه طُبع مفرداً عن قصص الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

فقصَّة يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وهي قصَّة طويلة عظيمة مباركة مليئة بالعبر ومليئة بالعظات، لكن وقفة مختصرة عندما دخل عليه صلوات الله وسلامه السِّجن
قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعْصِرُ خَمْرٗاۖ وَقَالَ ٱلْأٓخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزٗا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ٣٦ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٞ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَاۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓۚ إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٖ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْأٓخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ٣٧ وَٱتَّبَعْتُ

وقيل: «أحسن» هنا بمعنى أعجب. وقال بعض أهل المعاني: إنما كانت أحسن القصص لأن كل من ذكر فيها كان مآله السعادة؛ انظر إلى يوسف وأبيه وإخوته، وامرأة العزيز؛ قيل: والملك أيضا أسلم بيوسف وحسن إسلامه، ومستعبر الرؤيا الساقي، والشاهد فيما يقال: فما كان أمر الجميع إلا إلى خير»«الجامع لأحكام القرآن» (٩/ ١٢٠).

(١) «الجواب الكافي» (ص١٤٩).

(٢) انظر «مجموع مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب» (٢/ ١٠٦).

مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشۡرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ عَلَيۡنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٤٠﴾ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسۡقِي رَبَّهُۥ خَمۡرٗاۖ وَأَمَّا ٱلۡأٓخَرُ فَيُصۡلَبُ فَتَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِن رَّأۡسِهِۦۚ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ ﴿٤١﴾﴾ [يوسف].

انظر هذه المدرسة العظيمة في الدَّعوة، انظر هذا النَّهج المبارك في بيان دين الله، انظر هذا الأسلوب المتين في النُّصح والتَّعليم والتَّوجيه، انظر أيضـًا استغلال الوقت والفرصة المُنَاسبة لغرس الاعتقاد وبيان دين الله تَبَارَكَوَتَعَالَى، انظر أيضا جمال المدخل الَّذي يمهِّدُ للدَّعوة ويكون سببـًا لقبولها، انظر إلى تلك الأخلاق الرَّفِيعة والمعاملة العالية الَّتي استمالت نُفُوس النَّاس إليه وجعلتهم يطمئنون لكلامه ويستمعون لقوله ويعملون بنصحه صلوات الله وسلامه عليه .

ولهذا انظر إلى قول هَذَين الرَّجُلين اللَّذَيْن دخلا معه السِّجن : ﴿قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ خَمۡرٗاۖ وَقَالَ ٱلۡأٓخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحۡمِلُ فَوۡقَ رَأۡسِي خُبۡزٗا تَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِنۡهُۖ نَبِّئۡنَا بِتَأۡوِيلِهِۦٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٣٦﴾﴾؛ رأوا فيه معاملة كلّها إحسان ولطف ورفق ومعاملة جميلة وأخلاق طيبة جعلتهم يطمئنون إلى كلامه ويحرصون على عرض ما حصل لهما من رؤيا عليه ﴿نَبِّئۡنَا بِتَأۡوِيلِهِۦٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٣٦﴾﴾.

ثم أخذ يمكِّن للدَّعوة ويمهِّدُ لها: ﴿قَالَ لَا يَأۡتِيكُمَا طَعَامٞ تُرۡزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأۡتُكُمَا بِتَأۡوِيلِهِۦ قَبۡلَ أَن يَأۡتِيَكُمَا﴾، ما السبب؟

قال: ﴿قَالَ لَا يَأۡتِيكُمَا طَعَامٞ تُرۡزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأۡتُكُمَا بِتَأۡوِيلِهِۦ قَبۡلَ أَن يَأۡتِيَكُمَاۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي

رَبِّيٓۚ إِنِّي تَرَكۡتُ مِلَّةَ قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ٣٧ وَٱتَّبَعۡتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشۡرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ عَلَيۡنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ٣٨﴾ .

بعد هذه التوطئة والتمهيد والتقدمة وتهيئة النفوس دخل في الدعوة بقوله : ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ٣٩﴾ إلى آخر السياق .

وهكذا عندما تتأمل في دعوات الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم وفي قصصهم والعبر العظيمة المستخلصة من قصص الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ترى فيها مثل هذه المعاني من الحكمة والرفق والأناة والحلم والصبر ونحو ذلكم من الأوصاف العظيمة، إضافةً إلى الأساس الأعظم وهو اللجوء إلى الله والاستعانة به وحُسن التوكل عليه وتمام الالتجاء إليه والضراعة بين يديه وطلب التوفيق منه سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ٨٨﴾ [هود] ؛ فكل هذه المعاني يجدها المسلم جليةً واضحة بين يديه وهو يقرأ في قصص الأنبياء .

ولهذا أقترح على الإخوة الكرام كلٌّ في وسعه وقدر طاقته أن يضع له منهجاً في التَّرَبِّي على دروس الأنبياء وخِصَالهم العظيمة، وهو يقرأ قصص الأنبياء في القرآن ويستعينُ بكُتُب التَّفسير ويستعين أيضاً في الوقت نفسه بكتب التاريخ المعنية بهذا الباب ولاسيما ما كان منها محققاً مدققاً لأئمة السلف رحمهم الله تعالى؛ فيقرأ ويستخلص من قصص الأنبياء الدروس، مثلاً في الصبر وفي الرفق وفي الحلم وفي الدعوة وفي طريقة الدعوة إلى الله بالتوكل على الله، الدعاء والضراعة إلى الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ إلى غير ذلكم من الأمور التي يفيدها و يستفيدها في دعوته إلى الله

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ويكون تحصيله وإفادته في الدرجة الأولى في هذا الباب من سيرة نبينا الكريم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ والذي اجتمع فيه ما تفرق من الفضائل والمناقب في جميع النَّبِيِّين كما تقدَّمت الإشارة إلى هذا المعنى العظيم[١].

وفي الختام:

وأسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يلهمنا أجمعين رشد أنفسنا، وأن يصلح لنا شأننا كله، وأن لا يكلنا إلى أنفسنا طرفة عين، وأن يهدينا إليه صراطاً مستقيما، وأن يوفقنا أجمعين لكل خير إنه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ سميع الدعاء وهو أهل الرجاء وهو حسبنا ونعم الوكيل.

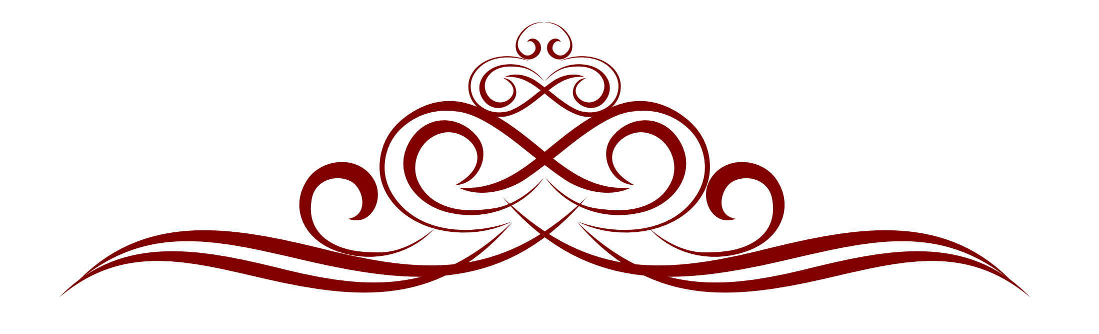
والله تعالى أعلم.

وصلّى الله وسلَّم على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

❑❑❑❑❑❑❑❑❑

(١) انظر مقدمة كتاب «شرح شمائل النبي ﷺ»، لشيخنا عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر حفظه الله فإنها نافعة ماتعة.

وكذا شرحه حفظه الله على «الأرجوزة الميئية في ذكر حال أشرف البرية» للإمام ابن أبي العز الحنفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

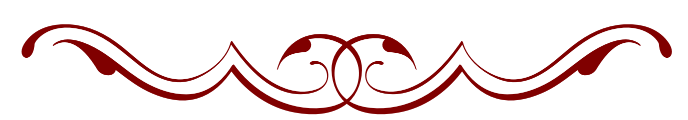


سؤال وجواب

عن حكم تسمية المناطق بأسماء الأضرحة و القباب

الشيخ
عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر

إعتنى بها وعلق عليها
أبو عبد العزيز منير الجزائري



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة المعتني:

الحمدُ لله الَّذِي مَنَّ عَلَيْنَا بِصِحَّة الاعْتِقَاد، وَطَهَّر قُلُوبَنا مِنْ أَدْرَان الشِّرْك وَ الوَثَنِيَّة وَالإِلْحَاد، وَأَنْقَذَنا مِنْ دَرَكَات الجَاهِلِيَّة وَ الشَّر وَالفَسَاد، أَحْمَدُه تَعَالى وَ أَشْكُره، وَ أَتُوبُ إِلَيْه وَ أَسْتَغْفِرُه، جَلَّ عَنْ الأَنْدَاد، وَتَنَزَّه عَنْ الصَّاحِبَة وَ الأَوْلَاد، وَتَعَالى عَنْ مُشَابَهَة العِبَاد.

وَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَه إِلَّا الله وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَه ، شَهَادَة مَنْ عَلِمَ مَعْنَاهَا، وَعَمل بِمُقْتَضَاها، وَحقَّق المُرَاد، وَ أَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنا مُحَمَّدا عَبْدُ الله وَ رَسُولُه، إِمَامُ المُوَحِّدِين، وَ خَاتَمُ الأَنْبِيَاء وَ المُرْسَلِين، وَ الهَادِي إِلَى سَبِيل الحَقِّ وَ الرَّشَاد، وَالشَّافِع المُشَفَّع يَوم المَعَاد، صَلَّى الله وَسَلَّم وَبَارَكَ عَلَيْه وَ عَلَى آلِه وَصَحْبِه الأَمْجَاد، وَالتَّابِعِين وَمَنْ تَبِعَهُم بِإِحْسَان إِلَى يَوْمِ التَّنَاد.

أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ مِنْ أَعْظَم البَلَايا وَ أَكْبَرِ الرَّزَايَا الَّتِي ابْتُلِيتْ به هَذِه الأُمَّةُ المُحَمَّدِيَّة المُبَارَكة فِي الأَزْمِنَة المُتَأَخِّرة، الافْتِتَانُ بِالقُبُور، وَعِبَادَةُ المَقْبُور، رَغْمَ كَثْرَةِ النُّصُوص الشَّرْعِيَّة وَالآثَار السَّلَفِيَّة فِي التَّحْذِير منها[1].

---

(١) وَلَقَدْ كَانَ لِلْفَرَنْسِيِّينَ اليَدُ الطُولَى فِي تَرْسِيخ هَذِه الشِّرْكِيَّات وَالخُرَافَات فِي بِلَادِنا الجَزَائِر، قَالَ الإِمَامُ مُحَمَّد البَشِيرُ الإِبْرَاهِيميّ رحمه الله ، وَهُوَ يَحْكِي وَاقِعًا مَرِيرًا: «وَسِرْ مَا شِئْتَ فِي جَمِيع الأَوْقَات، وَفِي جَمِيع طُرُق المُوَاصَلَات تَرَ القبابَ البيضاء لَائِحَةً فِي جَمِيع الثَّنَايَا وَالآكَام، وَرُؤُوسِ الجِبَال، وَسَلْ تَجِدْ القَلِيلَ مِنْهَا مَنْسُوبًا إِلَى مَعْرُوفٍ مِنَ أَجْدَاد القَبَائِل، وَتَجِدُ الأَقَلّ مَجْهُولًا، وَالكَثْرَة مَنْسُوبَة إِلَى الشَّيخ عَبْدَ القَادر الجيلَاني.

وَاسْأَل الحَقِيقَة تُجِبْكَ عَنْ نَفْسِهَا بِأَنَّ الكَثِيرَ مِنْ هَذِه القِبَاب إِنَّمَا بَنَاهَا المُعَمِّرُون الأُورُبِيُّون فِي أَطْرَاف مَزَارِعِهِم الوَاسِعَة، بَعْدَ مَا عَرَفُوا افْتِتَان هَؤُلَاء المَجَانِين بِالقِبَاب، وَاحْتِرَامِهِم لَهَا، وَتَقْدِيسِهِم للشَّيْخ عَبْد

فَمِنْ رَفْعِ القُبُور وَبِنَائِهَا، فَتَزْيِينُهَا وَجَعْلِ السَّدَنَةِ عَلَيْهَا حَتَّى وَصَلَ الحَدُّ إِلى تَسْمِيَةِ المَنَاطِقِ وَ القُرَى حَسَبَ القُبَّة أَوْ الضَّرِيح الَّذِي يَكُونُ بِهَا لِلْوَلِيِّ الصَّالِح ـ زَعَمُوا ـ فَكَمْ أَصْبَحْنَا نَسْمَعُ مِنْ مَنْطِقَةٍ تُسَمَّى بِمَنْطِقَة «سِيدِي فُلَان»، وَقَدْ لَا يَتَنَبَّه المَرْء إِلَى أَنَّ هَذِه المَنْطِقَة سُمِّيَت عَلَى هَذَا الضَّرِيح.

وَبَيْنَ يَدَيْك أَخِي الحَبِيب جَوَاب مِنْ شَيْخِنَا عَبْد الرَّزَاق بن عَبْد المُحْسِن البَدْر عَلَى هَذَا الاسْتِشْكَال.

وَأَصْلُ هَذِهِ الوُرَيْقَات سُؤَالٌ طُرِحَ عَلَى شَيْخِنَا حَفِظَهُ الله أَثْنَاءَ شَرْحِهِ لِكِتَاب «**التَّجْرِيدُ الصَّرِيح لِأَحَادِيث الجَامِع الصَّحِيح**» للزبيدي رَحِمَهُ اللهُ، بِالمَسْجِد النَّبَوِي، وَكَانَ هَذَا الدَّرْس يوم الأربعاء ١٩ جمادى الأولى ١٤٣٣ هـ، وَكُنْتُ مِنَ الحَاضِرِين وَلله الحَمْد، فَاسْتَأْذَنْتُ الشَّيْخ فِي تَفْرِيغ الجَوَاب وَنَشْرِه لِتَعُمَّ الفَائِدَة بِإذن الله، فَمَا كَانَ مِنَ الشَّيخ إِلَّا المُوَافَقَةُ وَلله الحَمْد، فَجَزَاهُ الله خَيْرًا.

مُحِبُّكُم فِي الله

أبو عبد العزيز منير الجزائري

abou-abdelaziz@hotmail.fr

القَادِر الجِيلَانِي، فَعَلُوا ذَلِكَ لِحِمَايَة مَزَارِعِهِمْ مِنَ السَّرِقَةِ وَالإِتْلَاف.

فَكُلُّ مُعَمِّر يَبْنِي قُبَّة أَوْ قُبَّتَيْن مِنْ هَذَا النَّوع يُؤَمِّن عَلَى مَزَارِعِه السَّرِقَة، وَيَسْتَغْنِي عَنْ الحُرَّاسِ وَنَفَقَات الحِرَاسَة، ثُمَّ يَتْرُكُ لِهَؤُلَاء العُمْيَان– الَّذِين خَسِرُوا دِينَهُم وَدُنْيَاهُم– إِقَامَة المَوَاسِم عَلَيْهَا فِي كُلِّ سَنَة، وَإِنْفَاق النَّفَقَات الطَّائِلَة فِي النُّذُور لَهَا وَتعاهُدِهَا بِالتَّبْيِيض وَالإِصْلَاح، وَقَدْ يَحْضُر المُعَمِّر مَعَهُمْ الزَّرْدَة، وَيُشَارِكُهُم فِي ذَبْحِ القَرَابِين، لِيَقُولُوا عَنْه إِنَّه مُحِبّ للأَوْلِيَاءِ خَادِمٌ لَهُم، حَتَّى إِذَا تَمَكَّنَ مِنْ غَرْسِ هَذِه العَقِيدَة فِي نُفُوسِهِم رَاغَ عَلَيْهِم نَزْعًا لِلأَرْضِ مِنْ أَيْدِيهِم، وَإِجْلَاءً لَهُمْ عَنْهَا، وَبِهَذِه الوَسِيلَةِ الشَّيْطَانِيَّة اسْتَوْلَى المُعَمِّرُونَ عَلَى تِلْكَ الأَرَاضِي الخِصْبَةِ الَّتِي أَحَالُوهَا إِلَى جَنَّاتٍ، زِيَادَةً عَلَى الوَسَائِل الكَثِيرَة الَّتِي انْتَزَعُوا بِهَا الأَرْض مِنْ أَهْلِهَا»«الآثار» (٣/ ٣٢١).

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

السؤال:[١]

أَحْسَنَ الله إِلَيْكُمْ، وَ حَفِظَكُمْ وَرَعَاكُمْ:

يُوجَد فِي بَلَدِنَا بَعْضُ المَنَاطق تُسَمَّى حَسَبَ الضَّرِيحِ الَّذِي فِيهَا .

فَمَا السَّبِيلُ فِي ذِكْرِ تِلْكَ المَنَاطِق مَعَ النَّاسِ؟

الجواب:

هَذَا الأَخُ يَسْأَل عَنْ بَعْضِ المَنَاطِقِ اشْتَهَرَتْ أَسْمَاؤُهَا بِاسْمِ الضَّرِيحِ الَّذِي فِيهَا، وَيَكُونُ هَذَا الضَّرِيحُ لِأَهْلِ هَذِهِ المَنْطِقَةِ تَعَلُّقَات بِه .. عِبَادَةً[٢] وَ دُعَاءً[٣] وَذَبْحًا[٤]...وَغَيْرَ ذَلِكَ.

---

(١) كَانَ هَذَا السُّؤَالُ مِنْ إِنْشَائِي أَثْنَاءَ حُضُورِي لِهَذَا الدَّرْس.

(٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «الْعِبَادَةُ هِيَ اسْمٌ جَامِعٌ لِكُلِّ مَا يُحِبُّهُ اللهُ وَيَرْضَاهُ: مِنْ الأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ الْبَاطِنَةِ وَالظَّاهِرَةِ» «مجموع الفتاوى»(١٠/ ١٤٩).

وَهِيَ حَقُّ الله وَحْدَه القَائِل: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات]، وَقَالَ سُبْحَانَه: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة].

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: « **يَا مُعَاذُ أَتَدْرِي مَا حَقُّ اللهِ عَلَى الْعِبَادِ** ».

قَالَ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ « **أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلاَ يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، أَتَدْرِي مَا حَقُّهُمْ عَلَيْهِ؟** »

قَالَ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ.

قَالَ: « **أَنْ لاَ يُعَذِّبَهُمْ** » رواه البخاري (٧٣٧٣)، ومسلم (٣٠).

(٣) الدُّعَاءُ عِبَادَةٌ مِنَ العِبَادَات، وَ قُرْبَةٌ مِنَ القُرُبَات، لاَ يَجُوزُ صَرْفُهَا إِلاَّ لِرَبِّ الأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ القَائِل: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ۝٦٠﴾ [غافر].

(٤) الذَّبْحُ وَ النَّحْرُ كَذَلِكَ عِبَادَةٌ مِنَ العِبَادَات، قَالَ رَبُّ البَرِيَّات: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢﴾ [الكوثر].

وَاللهُ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام].

وَهَذَا السَّائِلُ يَسْتَشْكِلُ، وَاسْتِشْكَالُهُ فِي مَحَلِّه أَنَّهُ إِذَا شَارَكَهُمْ فِي تَسْمِيَةِ المَنْطِقَةِ بِاسْمِ هَذَا الضَّرِيحِ كَأَنَّهُ تَأْكِيدٌ مِنْهُ عَلَى تِلْكَ التَعَلُّقَاتِ البَاطِلَةِ المَوْجُودَةِ عِنْدَ أَهْلِ تِلْكَ المَنْطِقَةِ[1]، فَمَا السَّبِيلُ إِلَى ذَلِكَ؟

الَّذِي يَظْهَرُ وَاللهُ أَعْلَمُ أَنَّ بَيْنَ يَدَيْهِ أَمْرَانِ:

١/ إِمَّا أَنْ يُسَمِّي المَنْطِقَة بِاسْمٍ آخَر تُعْرَفُ بِه، وَلَا تَخْلُو مَنْطِقَةٌ مِنْ ذَلِكَ فِي الغَالِب، أَيْ اشْتَهَرَتْ بِاسْمٍ مَا، وَلَكِنْ ثَمَّةَ اسْمٌ آخَر لَا يُوجَدُ فِيهِ ذِكْرٌ لِلضَّرِيحِ،

وَعَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**لَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ**» رواه مسلم (١٩٧٨).

(١) قَالَ الإِمَامُ عَبْدُ الحَمِيد بن بَادِيس رحمه الله: «إِذَا عَلِمْتَ هَذِه الأَحْكَام فَانْظُر إِلَى حَالَتِنَا مَعْشَرَ المُسْلِمِين، الجَزَائِرِيِّين وَغَيْرَ الجَزَائِرِيِّين، تَجِدُ السَّوَادَ الأَعْظَم مِنْ عَامَّتِنَا غَارِقًا فِي هَذَا الضَّلَال.

فَتَرَاهُم يَدْعُونَ مَنْ يَعْتَقِدُونَ فِيهِمْ الصَّلَاح مِنَ الأَحْيَاءِ وَالأَمْوَات، يَسْأَلُونَهُم حَوَائِجَهُم مِنْ دَفْعِ الضُّر، وَجَلْبِ النَّفْع، وَتَيْسِير الرِّزْق، وَإِعْطَاء النَّسل، وَإِنْزَال الغَيْث، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا يَسْأَلُون وَيَذْهَبُون إِلَى الأَضْرِحَةِ الَّتِي شُيِّدَت عَلَيْهَا القِبَابُ، أَوْ ظُلِمَتْ بِهَا المَسَاجِد، فَيَدْعُونَ مَنْ فِيهَا وَيَدُقُّونَ قُبُورَهم وَيَنْذِرُونَ لَهُمْ وَيَسْتَثِيرُونَ حَمِيَّتَهُم بِأَنَّهُم خُدَّامَهُم وَأَتْبَاعَهُم فَكَيْفَ يَتْرُكُونَهُم وَقَدْ يُهَدِّدُونَهُم بِقَطْع الزِّيَارَة، وَحَبْسِ النُّذُور، وَتَرَاهُم هُنَالِكَ فِي ذُلٍ وَخُشُوعٍ وَتَوَجُّهٍ، قَدْ لَا يَكُونُ فِي صَلَاةِ مَنْ يُصَلِّي مِنْهُم، فَأَعْمَالُهُم هَذِه مِنْ دُعَائِهِم وَتَوَجُّهِهِم كُلِّهَا عِبَادَةٌ لِأُولَئِكَ المَدْعُوِّين، وَإِنْ لَمْ يَعْتَقِدُوهَا عِبَادَةً، إِذْ العِبْرَةُ بِاعْتِبَار الشَّرْع لَا بِاعْتِبَارِهِم، فَيَا حَسْرَتَنَا عَلَى أَنْفُسِنَا كَيْفَ لَبَسْنَا الدِّينَ لِبَاسًا مَقْلُوبًا حَتَّى أَصْبَحْنَا فِي هَذِهِ الحَالَةِ السَّيِئَة مِنَ الضَّلَال.

تحذير وإرشاد:

فَلْيَحْذَر قُرَّاؤُنا مِنْ أَنْ يَتَوَجَّهُوا بِشَيْءٍ مِنْ دُعَائِهِم لِغَيْرِ الله وَلْيُحَذِّرُوا غَيْرَهُم مِنْه.

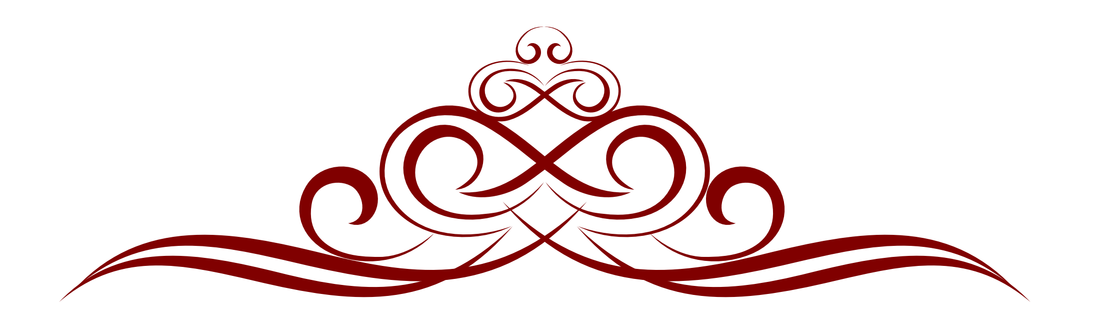
وَلْيَنْشُرُوا هَذِه الحَقَائِقَ بَيْنَ إِخْوَانِهِم المُسْلِمِين بِمَا اسْتَطَاعُوا عَسَى أَنْ يَتَنَبَّه الغَافِلُ، وَيَتَعَلَّم الجَاهِل، وَيُقْلِعُ الضَّالُّونَ عَنْ ضَلَالِهِم، وَلَوْ بِطَرِيق التَّدْرِيج، وَبِذَلِكَ يَكُونُ قُرَّاؤُنَا قَدْ أَدَّوْا أَمَانَةَ العِلْم وَقَامُوا بِفَرِيضَةِ النُّصْح، وَخَدَمُوا الإِسْلَام وَالمُسْلِمِين» «الآثار» (١/ ٢٩١).

وَيُحَاوِلُ أَهْلُ الفَضْلِ أَنْ يَسْعَوْا إِمْضَاءَ هَذَا الاسْمِ الَّذِي لَيْسَ فِيهِ ذِكْرٌ لِلضَّرِيحِ..

وَإِمَّا أَنْ يَقُولَ: المَنْطِقَة الَّتِي تُسَمَّى كَذَا أَوْ المَنْطِقَة الَّتِي يُسَمُّونَهَا كَذَا أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ، مِمَّا يُشْعِرُ بِعَدَمِ المُوَافَقَةِ مِنْه عَلَى مَا يَكُونُ فِي تِلْكَ المَنْطِقَة أَوْ مَا يُغْنِي عَنْ تِلْكَ التَّسْمِيَّةِ مِنْ تَعَلُّقَات، والله أعلم.

وصلى الله على نبينا محمد و على آله وصحبه أجمعين.





عِظَاتٌ وَعِبَر

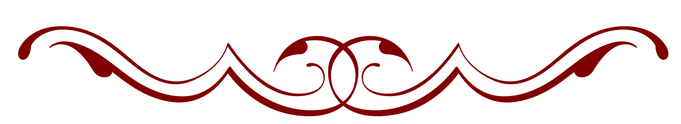
مِنْ وَفَاةِ خَيْرِ الْبَشَر ﷺ

الشيخ

عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر

اعتنى بها وعلق عليها

أبو عبد العزيز منير الجزائري



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة المعتني:

الحَمْدُ لله الَّذِي مَنَّ عَلَى المُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ ﴿يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾﴾[(١)].

وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَه إِلَّا الله وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَه، ﴿ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾﴾[(٢)].

وَ نَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُه وَرَسُولُه الَّذِي وَفَّى مَقَام العُبُودِيَّة الكَامِلَة حَقَّه وَلَمْ يَزَل عَلَى ذَلِكَ حَتَّى أتاه اليَقِين.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى محمَّد وَعلى آله وَأَصْحَابه وَالتَّابِعين لهم بإحسانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّين، وَسَلَّم تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أَمَّا بَعْد:

قال الله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾[(٣)].

فَنَبِيُّنَا « محمّد بن عبد الله بن عبد المطلب ﷺ هو أعظم الرجال قدرا، وأعلاهم فخرا، وأكملهم عقلا، وأغزرهم علما، وأجلُّهم رأيا وعزما وحزما، وأكملهم خُلقا وأوسعهم رحمة وأشدّهم شفقة وأهداهم وأتقاهم.

(١) [الجمعة:٢].

(٢) [الصف:٩].

(٣) [الأحزاب:٢١].

هو قطب دائرة الكمال، وإليه المنتهى في أوصاف الرِّجال، ألا وهو رجل العالم على الإطلاق، يعرف ذلك أولياؤه و أعداؤه»[١] ، لذا أمرنا الله تعالى بالاقتداء به ﷺ.

ولا يكون الاقتداء بخاتم الأنبياء إلَّا بالاطّلاع على سيرته العَطِرة و أيَّامه النَّضِرة، فكيف للعبد أن يقتدي به ﷺ وهو لا يعرف عن سيرته إلَّا القليل؟!

لقد كانت حياته ﷺ حافلة بالدروس والعبر، وفي كل محطة من محطَّاتِها تُسْتَخلص الفوائد و الدرر؛ من ولادته إلى بعثته إلى وفاته ﷺ.

إخواني في الله «وَقْفَتُنا هذه الَّتي هي وقفةٌ مع مصاب الأمَّة بوفاة النَّبي الكريم ﷺ التي هي كبرى المصائب وأعظم الفواجع على الإطلاق، ولاشك أن نبأ وفاته وخبر موته ﷺ نبأ يزلزل القلوب ويحرِّك النُّفوس، والمصيبة به معدودةٌ في أعظم المصائب وأكبرها»[٢].

وقد نبَّهنا نبيُّنا محمّد ﷺ على هذا بقوله: «إِذَا أُصِيبَ أَحَدُكُمْ بِمُصِيبَةٍ، فَلْيَذْكُرْ مُصِيبَتَهُ بِي فَإِنَّهَا أَعْظَمُ الْمَصَائِبِ عِنْدَهُ»[٣].

فحري بنا معاشر المسلمين والمسلمات في زمن كثرت فيه المصائب أن نقف عند هذا الحدث العظيم.

وأصل هذه الوريقات محاضرة **لشيخنا عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر حفظه الله بعنوان: «عِظَاتٌ وَعِبَر مِنْ وَفَاةِ خَيْرِ الْبَشَر ﷺ»**.

(١) «تَيْسِيرُ الكَرِيمِ الرَّحْمَنِ فِي تَفْسِيرِ كَلَامِ المَنَّانِ» (ص ٧٦٥) .

(٢) من كلام شيخنا عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر حفظه الله في هذه الرسالة.

(٣) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٩٦٧٧)، و الطبراني في« المعجم الكبير» (٦٧١٨)، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١١٠٦).

ألقاها في بلدنا الحبيب الجزائر أثناء زيارته الدعوية يوم ١٢ جمادى الأولى ١٤٣٤هـ

.

فاسْتَأْذَنْتُ الشيخ في تَفْرِيغِها مَعَ التَّعْلِيق عَلَى بَعْض المَوَاضِع مِنْها[1]، فما كان مِنَ الشيخ إِلَّا المُوَافقة فجزاه الله خير الجزاء.

وفي الختام إنْ كان مِنْ جُهْد يُذْكر في هذه الرِّسالة فَإِنَّما هُوَ مِنَ الشَّيخ أَمَّا الجامع لها، فَمَا كَانَ مِنِّي إِلَّا التَّهذيب و التَّرتيب، والتَّوثيق والتَّدقيق، بَلْ حَاوَلْتُ المُحَافَظَة على كلام الشَّيخ بِحُرُوفِه إِلَّا مَا يَقْتَضِيه المَقَامُ مِنْ إِضَافَة مَا يُربط به الكَلَام لِتَمَام المَعْنى، كَمَّا أَنِّي قُمْتُ بالتَّعليق على بعض المواضع مع إضافة بعض الفوائد التي أَرَاهَا نافعة، والله الموفق.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

مُحِبُّكُم فِي الله

أبو عبد العزيز منير الجزائري

abou-abdelaziz@hotmail.fr

(١) كان ذلك بجوار بيته في المدينة النبوية، يوم الأحد ٩ ربيع الأول ١٤٣٧هـ.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله؛ صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين.

اللهم لا علم لنا إلا ما علّمتنا، اللهم علِّمنا ما ينفعنا وزدنا علما وأصلح لنا شأننا كله ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين، ثم أما بعد:

أيها الإخوة الكرام: لقاؤنا هذا سيكون بإذن الله حول « **بعض العِظَاتِ وَالعِبَر مِنْ وَفَاةِ خَيْرِ الْبَشَر صَلَوَاتُ اللهُ وَسلامُهُ عَلَيْهِ**» ؛ ونبينا محمد ﷺ هو صفوة الله من خلقه، وخير الأولين والآخرين وسيد ولد آدم أجمعين[1]، ختم الله عَزَّوَجَلَّ برسالته الرسالات فكان خاتم النبيين: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾ [الأحزاب] ، فبرسالته صلوات الله وسلامه عليه خُتمت الرسالات فلا نبي بعده ولا رسول، صلوات الله وسلامه وبركاته عليه .

وبموته ﷺ انقطع الوحي -وحي السماء- فلا وحي بعد وفاته صلوات الله وسلامه عليه وعلى جميع النبيين، ولهذا جاء في «صحيح مسلم»[2] عن أنس

---

(١) فقد جاء في «صحيح مسلم» (٢٢٧٨)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ :« أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ، وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ ».

أي: «من فضائل النبي ﷺ أنَّه سيد ولد آدم أي مقدمهم وإمامهم وقائدهم وقدوتهم وأفضلهم» «تذكرة المؤتسي شرح عقيدة الحافظ عبد الغني المقدسي» (ص٣٤٧).

(٢) برقم (٢٤٥٤).

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : «قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بَعْدَ وَفَاةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ لِعُمَرَ: انْطَلِقْ بِنَا إِلَى أُمِّ أَيْمَنَ نَزُورُهَا كَمَا كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَزُورُهَا، فَلَمَّا انْتَهَيْنَا إِلَيْهَا بَكَتْ ، فَقَالَا لَهَا: مَا يُبْكِيكِ؟ مَا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ لِرَسُولِهِ ﷺ؟

فَقَالَتْ: مَا أَبْكِي أَنْ لَا أَكُونَ أَعْلَمُ أَنَّ مَا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ لِرَسُولِهِ ﷺ، وَلَكِنْ أَبْكِي أَنَّ الْوَحْيَ قَدِ انْقَطَعَ مِنَ السَّمَاءِ، فَهَيَّجَتْهُمَا عَلَى الْبُكَاءِ فَجَعَلَا يَبْكِيَانِ مَعَهَا» رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وعن الصحابة أجمعين.

ومن المواقف الطريفة المفيدة مما يتعلق بهذا الحديث: قبل أيام ليست بطويلة جيء لي برجل قالوا: عنده أشياء غريبة و عجيبة، فنريد أن تسمع منه، قلت له: ماذا لديك؟ فبدأ الرجل يتحدث - وعمره يقارب الستين سنة - فمن ضمن كلامه الذي قاله لي: قال: إن الوحي ينزل عليَّ ، وإن نوراً دخل في جوفي ، وإني مأمور بإبلاغ الجن والإنس وكلامـًا من هذا القبيل ، فأخذتُ أستمع إليه حتى انتهى من حديثه فقلت له : استمعتُ إليك فاستمع إلي ، قال نعم ، قلت له : ينبغي أن تعلم أن الوحي الذي يتنزّل على الناس نوعان ، عليك أن تفهم ذلك جيداً :

أما الوحي الأول : فهو الوحي الذي يتنزل من السماء بكلام الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى على أنبيائه ورسله كما قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ [الشعراء] ، وهذا النوع من الوحي انقطع وانتهى بموت النبي ﷺ ، فلا وحي ينزل من السماء بعد موته كما مر معنا في قصة أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه في زيارته لأم أيمن وقولها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «وَلَكِنْ أَبْكِي أَنَّ الْوَحْيَ قَدِ انْقَطَعَ »، قلت له: وهذا النوع من الوحي انتهى .

والنوع الثاني من الوحي : هو الذي ذكره الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في قوله: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ﴾ [الأنعام:١٢١] ، وقوله: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ

﴿عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَـٰطِينُ ٢٢١﴾ [الشعراء] ، وهذا النوع لم ينقطع وهو مستمر .

والوحي الذي تذكر أنه ينزل عليك قطعًا ليس من النوع الأول لأن النوع الأول من الوحي انتهى ، والذي أنصحك به أن تتقي الله عَزَّوَجَلَّ ، وأن تستعيذ بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من الشيطان الرجيم ، وأن تُقبِل على طاعة الله عَزَّوَجَلَّ، وإياك أن يعبث الشيطان عدو الله وعدو المؤمنين بعقلك وفكرك بمثل هذه الخزعبلات والأباطيل التي ما أنزل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بها من سلطان .

حديثنا **أيها الإخوة الكرام** عن نبأ وفاة نبينا الكريم صلوات الله وسلامه وبركاته عليه ، وبين يدي هذا النبأ العظيم لنتذكَّر ما ثبت في «الصحيح»[(١)] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه أن رسول الله ﷺ قال : أن الله تعالى قال : «**مَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ المُؤْمِنِ، يَكْرَهُ المَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ**»[(٢)] ؛ وهو حديثٌ

---

(١) أي صحيح البخاري برقم (٦٥٠٢).

قال الإمام ابن رجب الحنبلي رحمه الله:« لما كان الموت مكروها بالطبع لما فيه من الشدة و المشقة العظيمة لم يمت نبي من الأنبياء حتى يخير و لذلك وقع التردد فيه في حق المؤمن » «لطائف المعارف» (ص١٣٢).

(٢) قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «إثبات التردد لله عَزَّوَجَلَّ على وجه الإطلاق لا يجوز، لأن الله تعالى ذكر التردد في هذه المسألة : «**مَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ المُؤْمِنِ**»، وليس هذا التردد من أجل الشك في المصلحة، ولا من أجل الشك في القدرة على فعل الشيء،بل هو من أجل رحمة هذا العبد المؤمن، ولهذا قال في نفس الحديث : «**يَكْرَهُ المَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ**».

وهذا لا يعني أنَّ الله عَزَّوَجَلَّ موصوف بالتردد في قدرته أو في علمه، بخلاف الآدمي فهو إذا أراد أن يفعل الشيء يتردد، إما لشكه في نتائجه ومصلحته، وإما لشكه في قدرته عليه: هل يقدر أو لا يقدر، أما الرب عَزَّوَجَلَّ فلا » «لقاء الباب المفتوح» (س١٣٦٩).

وَسُئِلَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ :

«عَنْ قَوْلِهِ ﷺ فِيمَا يَرْوِي عَنْ رَبِّهِ عَزَّوَجَلَّ: «وَمَا تَرَدَّدْت عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ قَبْضِ نَفْسِ عَبْدِي الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَكْرَهُ مُسَاءَتَهُ » مَا مَعْنَى تَرَدُّدِ اللهِ ؟

عظيمٌ جليل القدر يدل على عظيم لطف الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ بأوليائه وأصفيائه لأنه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ قضى على عباده الموت ولابد لهم منه، قد قال الله تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ

فَأَجَابَ: هَذَا حَدِيثٌ شَرِيفٌ قَدْ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ وَهُوَ أَشْرَفُ حَدِيثٍ رُوِيَ فِي صِفَةِ الْأَوْلِيَاءِ وَقَدْ رَدَّ هَذَا الْكَلَامَ طَائِفَةٌ وَقَالُوا: إنَّ اللهَ لَا يُوصَفُ بِالتَّرَدُّدِ وَإِنَّمَا يَتَرَدَّدُ مَنْ لَا يَعْلَمُ عَوَاقِبَ الْأُمُورِ وَاللهُ أَعْلَمُ بِالْعَوَاقِبِ، وَرُبَّمَا قَالَ بَعْضُهُمْ: إنَّ اللهَ يُعَامِلُ مُعَامَلَةَ الْمُتَرَدِّدِ.

وَالتَّحْقِيقُ: أَنَّ كَلَامَ رَسُولِهِ حَقٌّ وَلَيْسَ أَحَدٌ أَعْلَمَ بِاَللهِ مِنْ رَسُولِهِ وَلَا أَنْصَحَ لِلْأُمَّةِ مِنْهُ وَلَا أَفْصَحَ وَلَا أَحْسَنَ بَيَانًا مِنْهُ فَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ كَانَ الْمُتَحَذْلِقُ وَالْمُنْكِرُ عَلَيْهِ مِنْ أَضَلِّ النَّاسِ؛ وَأَجْهَلِهِمْ وَأَسْوَئِهِمْ أَدَبًا بَلْ يَجِبُ تَأْدِيبُهُ وَتَعْزِيرُهُ وَيَجِبُ أَنْ يُصَانَ كَلَامُ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَنْ الظُّنُونِ الْبَاطِلَةِ؛ وَالِاعْتِقَادَاتِ الْفَاسِدَةِ وَلَكِنَّ الْمُتَرَدِّدَ مِنَّا وَإِنْ كَانَ تَرَدُّدُهُ فِي الْأَمْرِ لِأَجْلِ كَوْنِهِ مَا يَعْلَمُ عَاقِبَةَ الْأُمُورِ لَا يَكُونُ مَا وَصَفَ اللهُ بِهِ نَفْسَهُ بِمَنْزِلَةِ مَا يُوصَفُ بِهِ الْوَاحِدُ مِنَّا فَإِنَّ اللهَ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ لَا فِي ذَاتِهِ وَلَا فِي صِفَاتِهِ وَلَا فِي أَفْعَالِهِ ثُمَّ هَذَا بَاطِلٌ؛ فَإِنَّ الْوَاحِدَ مِنَّا يَتَرَدَّدُ تَارَةً لِعَدَمِ الْعِلْمِ بِالْعَوَاقِبِ وَتَارَةً لِمَا فِي الْفِعْلَيْنِ مِنْ الْمَصَالِحِ وَالْمَفَاسِدِ فَيُرِيدُ الْفِعْلَ لِمَا فِيهِ مِنْ الْمَصْلَحَةِ وَيَكْرَهُهُ لِمَا فِيهِ مِنْ الْمَفْسَدَةِ لَا لِجَهْلِهِ مِنْهُ بِالشَّيْءِ الْوَاحِدِ الَّذِي يُحِبُّ مِنْ وَجْهٍ وَيَكْرَهُ مِنْ وَجْهٍ كَمَا قِيلَ:

الشَّيْبُ كُرْهٌ وَكُرْهٌ أَنْ أُفَارِقَهُ ... فَاعْجَبْ لِشَيْءٍ عَلَى الْبَغْضَاءِ مَحْبُوبُ

وَهَذَا مِثْلُ إرَادَةِ الْمَرِيضِ لِدَوَائِهِ الْكَرِيهِ بَلْ جَمِيعُ مَا يُرِيدُهُ الْعَبْدُ مِنْ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ الَّتِي تَكْرَهُهَا النَّفْسُ هُوَ مِنْ هَذَا الْبَابِ وَفِي الصَّحِيحِ: «**حُفَّتْ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ وَحُفَّتْ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ**»، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ﴾ الْآيَةَ، وَمِنْ هَذَا الْبَابِ يَظْهَرُ مَعْنَى التَّرَدُّدِ الْمَذْكُورِ فِي هَذَا الْحَدِيثِ فَإِنَّهُ قَالَ: «**لَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ**»، فَإِنَّ الْعَبْدَ الَّذِي هَذَا حَالُهُ صَارَ مَحْبُوبًا لِلْحَقِّ مُحِبًّا لَهُ يَتَقَرَّبُ إلَيْهِ أَوَّلًا بِالْفَرَائِضِ وَهُوَ يُحِبُّهَا ثُمَّ اجْتَهَدَ فِي النَّوَافِلِ الَّتِي يُحِبُّهَا وَيُحِبُّ فَاعِلَهَا فَأَتَى بِكُلِّ مَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنْ مَحْبُوبِ الْحَقِّ؛ فَأَحَبَّهُ الْحَقُّ لِفِعْلِ مَحْبُوبِهِ مِنْ الْجَانِبَيْنِ بِقَصْدِ اتِّفَاقِ الْإِرَادَةِ بِحَيْثُ يُحِبُّ مَا يُحِبُّهُ مَحْبُوبُهُ وَيَكْرَهُ مَا يَكْرَهُهُ مَحْبُوبُهُ، وَالرَّبُّ يَكْرَهُ أَنْ يَسُوءَ عَبْدَهُ وَمَحْبُوبَهُ فَلَزِمَ مِنْ هَذَا أَنْ يَكْرَهَ الْمَوْتَ لِيَزْدَادَ مِنْ محاب مَحْبُوبِهِ، وَاللهُ سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ قَدْ قَضَى بِالْمَوْتِ فَكُلُّ مَا قَضَى بِهِ فَهُوَ يُرِيدُهُ وَلَا بُدَّ مِنْهُ فَالرَّبُّ مُرِيدٌ لِمَوْتِهِ لِمَا سَبَقَ بِهِ قَضَاؤُهُ وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ كَارِهٌ لِمُسَاءَةِ عَبْدِهِ؛ وَهِيَ الْمُسَاءَةُ الَّتِي تَحْصُلُ لَهُ بِالْمَوْتِ فَصَارَ الْمَوْتُ مُرَادًا لِلْحَقِّ مِنْ وَجْهٍ مَكْرُوهًا لَهُ مِنْ وَجْهٍ وَهَذَا حَقِيقَةُ التَّرَدُّدِ وَهُوَ: أَنْ يَكُونَ الشَّيْءُ الْوَاحِدُ مُرَادًا مِنْ وَجْهٍ مَكْرُوهًا مِنْ وَجْهٍ وَإِنْ كَانَ لَا بُدَّ مِنْ تَرَجُّحِ أَحَدِ الْجَانِبَيْنِ كَمَا تَرَجَّحَ إرَادَةُ الْمَوْتِ؛ لَكِنْ مَعَ وُجُودِ كَرَاهَةِ مُسَاءَةِ عَبْدِهِ وَلَيْسَ إرَادَتُهُ لِمَوْتِ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يُحِبُّهُ وَيَكْرَهُ مُسَاءَتَهُ كَإِرَادَتِهِ لِمَوْتِ الْكَافِرِ الَّذِي يُبْغِضُهُ وَيُرِيدُ مُسَاءَتَهُ» «مجموع الفتاوى» (١٨/ ١٢٩).

ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ [آل عمران] ، والله عَزَّوَجَلَّ قضى بالموت على عباده وأصفيائه فكل نفس ذائقة الموت ويكره سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ مساءتهم ، وسنته سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ فيهم ماضية .

ونبينا صلوات الله وسلامه وبركاته عليه نُعي له موته ووفاته ﷺ قبل وفاته بشهور عديدة ؛ ومن ذلكم أنه ﷺ في شهر رمضان الذي هو آخر شهرٍ صامه صلوات الله وسلامه عليه عارضه جبريل بالقرآن مرتين وقد كان يعارضه بالقرآن في كل رمضان مرة واحدة فقال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**وَلَا أُرَانِي إِلَّا قَدْ حَضَرَ أَجَلِي**»[1] هذا في رمضان ، ثم في حجة الوداع من تلك السنة –السنة العاشرة من الهجرة– لما حج صلوات الله وسلامه عليه وفي أوسط أيام التشريق نزل عليه قول الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ﴿٣﴾﴾ [سورة النصر][2]، فعَرَف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أنه الوداع وأنّ نفسه ﷺ نُعيت له ؛ فخطب

---

(١) رواه البخاري (٦٢٨٦)، و مسلم (٢٤٥٠).

(٢) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُدْخِلُنِي مَعَ أَشْيَاخِ بَدْرٍ، فَكَأَنَّ بَعْضَهُمْ وَجَدَ فِي نَفْسِهِ فَقَالَ: لِمَ تُدْخِلُ هَذَا مَعَنَا وَلَنَا أَبْنَاءٌ مِثْلُهُ؟

فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِنَّهُ مِنْ حَيْثُ عَلِمْتُمْ.

فَدَعَا ذَاتَ يَوْمٍ – فَأَدْخَلَهُ مَعَهُمْ – فَمَا رُئِيتُ أَنَّهُ دَعَانِي يَوْمَئِذٍ إِلاَّ لِيُرِيَهُمْ، قَالَ: مَا تَقُولُونَ فِي قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴿١﴾﴾ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: أُمِرْنَا نَحْمَدُ اللهَ وَنَسْتَغْفِرُهُ، إِذَا نُصِرْنَا وَفُتِحَ عَلَيْنَا، وَسَكَتَ بَعْضُهُمْ فَلَمْ يَقُلْ شَيْئًا، فَقَالَ لِي أَكَذَاكَ تَقُولُ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ؟

فَقُلْتُ: لاَ .

قَالَ: فَمَا تَقُولُ؟

قُلْتُ: هُوَ أَجَلُ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَعْلَمَهُ لَهُ، قَالَ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴿١﴾﴾ وَذَلِكَ عَلاَمَةُ أَجَلِكَ ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ﴿٣﴾﴾.

فَقَالَ: عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَا أَعْلَمُ مِنْهَا إِلاَّ مَا تَقُولُ» رواه البخاري (٤٢٩٤).

الناس على إثر ذلك صلوات الله وسلامه عليه خطبة عظيمةً بليغة فأمرهم ونهاهم ووعظهم ووصاهم صلوات الله وسلامه عليه وذكَّرهم بالله وقال لهم في خطبته تلك : «**لِعَلِّي لَا أَلْقَاكُمْ بَعْدَ عَامِي هَذَا**»(١)، وأخذ يودِّع الناس فعُرف ذلك العام بعام الوداع ، وعُرفت تلك الحجة بحجة الوداع(٢) ، وعُرفت أيضا الخطبة بخطبة الوداع لأن النبي ﷺ ودَّع الناس فيها ، وفي تلك الحجة العظيمة نزل على نبينا صلوات الله وسلامه عليه قول الله سبحانه: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة:٣](٣) ولم ينزل بعد هذه الآية حلالٌ ولا حرام إلى أن قُبض نبينا الكريم صلوات الله وسلامه عليه وذلك أن هذه الآية مُشعرة بدنو أجله ومبيِّنة في الوقت نفسه أنه ﷺ بلَّغ البلاغ المبين ولا خيراً إلا دل الأمة عليه ولا شراً إلا حذَّرها منه، فترك الناس على المحجة البيضاء الواضحة ليلها كنهارها لا يهلك بعده عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ إلا هالك .

أيها الإخوة الكرام : وقفتنا هذه التي هي وقفةٌ مع مصاب الأمة بوفاة النبي الكريم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ التي هي كبرى المصائب وأعظم الفواجع على الإطلاق، ولاشك أن نبأ وفاته وخبر موته عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ نبأ يزلزل القلوب ويحرك النفوس والمصيبة به معدودةٌ في أعظم المصائب وأكبرها، وقد جاء في «الصحيحين»(٤) من

---

(١) رواه مسلم (١٢٩٧).

(٢) ولشيخنا عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر حفظه الله رسالة بعنوان «خطب ومواعظ من حجة الوداع».

(٣) عَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْيَهُودِ قَالَ لَهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، آيَةٌ فِي كِتَابِكُمْ تَقْرَءُونَهَا لَوْ عَلَيْنَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ نَزَلَتْ لَاتَّخَذْنَا ذَلِكَ الْيَوْمَ عِيدًا .

قَالَ: أَيُّ آيَةٍ؟

قَالَ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة:٣].

قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : «قَدْ عَرَفْنَا ذَلِكَ الْيَوْمَ وَالْمَكَانَ الَّذِي نَزَلَتْ فِيهِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ قَائِمٌ بِعَرَفَةَ يَوْمَ جُمُعَةٍ» رواه البخاري (٤٥)، ومسلم (٣٠١٧).

(٤) رواه البخاري (٣٩٠٤)، ومسلم (٢٣٨٢).

حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ جَلَسَ عَلَى المِنْبَرِ فَقَالَ: «**إِنَّ عَبْدًا خَيَّرَهُ اللهُ بَيْنَ أَنْ يُؤْتِيَهُ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا مَا شَاءَ وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ، فَاخْتَارَ مَا عِنْدَهُ**» فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ وَقَالَ: «فَدَيْنَاكَ بِآبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا»، فَعَجِبْنَا لَهُ، وَقَالَ النَّاسُ: «انْظُرُوا إِلَى هَذَا الشَّيْخِ، يُخْبِرُ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ عَبْدٍ خَيَّرَهُ اللهُ بَيْنَ أَنْ يُؤْتِيَهُ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ وَهُوَ يَقُولُ: فَدَيْنَاكَ بِآبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا» ، فَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ هُوَ المُخَيَّرَ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ هُوَ أَعْلَمَنَا بِهِ ، وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ مِنْ أَمَنِّ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبَا بَكْرٍ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا مِنْ أُمَّتِي لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ إِلَّا خُلَّةَ الإِسْلَامِ**» .

أيها الإخوة الكرام : إليكم نبأ ذلك اليوم العظيم ، اليوم الذي قُبض فيه سيد البشر ﷺ ، وأفضل عباد الله ﷺ ، وخيرهم على الإطلاق ﷺ، اليوم الذي قُبضت فيه روح النبي الكريم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أفضل من وطأت قدماه على الأرض؛ لقد بدأه صلوات الله وسلامه وبركاته عليه المرض الذي توفي فيه في أواخر شهر صفر عام أحد عشر من الهجرة ، وكان بدء المرض معه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بصداع عانى منه معاناةً في صبر وسكونٍ وطمأنينةٍ بما قضى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وقدَّر ، ثم اشتدَّ عليه المرض صلوات الله وسلامه عليه وهو في بيت أم المؤمنين ميمونة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فاستأذن نساءه أَنْ يُمَرَّضَ في بيت أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فأذن له، جاء في «صحيح البخاري»[1] عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا :«أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَسْأَلُ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ يَقُولُ: «**أَيْنَ أَنَا غَدًا، أَيْنَ أَنَا غَدًا**»؟ يُرِيدُ يَوْمَ عَائِشَةَ، فَأَذِنَّ لَهُ أَزْوَاجُهُ يَكُونُ حَيْثُ شَاءَ، فَكَانَ فِي بَيْتِ عَائِشَةَ حَتَّى مَاتَ عِنْدَهَا» .

وجاء في «صحيح البخاري»[2] عن أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت : « لَمَّا ثَقُلَ

---

(١) رواه البخاري (٤٤٥٠).

(٢) رواه البخاري (١٩٨).

النَّبِيُّ ﷺ وَاشْتَدَّ بِهِ وَجَعُهُ، اسْتَأْذَنَ أَزْوَاجَهُ فِي أَنْ يُمَرَّضَ فِي بَيْتِي، فَأَذِنَّ لَهُ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَ رَجُلَيْنِ تَخُطُّ رِجْلاَهُ فِي الأَرْضِ» ، إلى أن قالت : «لَمَّا دَخَلَ بَيْتِي وَاشْتَدَّ بِهِ وَجَعُهُ قَالَ: أَهَرِيقُوا عَلَيَّ مِنْ سَبْعِ قِرَبٍ لَمْ تُحْلَلْ أَوْكِيَتُهُنَّ، لَعَلِّي أَعْهَدُ إِلَى النَّاسِ» فَأَجْلَسْنَاهُ فِي مِخْضَبٍ لِحَفْصَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ ثُمَّ طَفِقْنَا نَصُبُّ عَلَيْهِ مِنْ تِلْكَ القِرَبِ حَتَّى طَفِقَ يُشِيرُ إِلَيْنَا بِيَدِهِ أَنْ قَدْ فَعَلْتُنَّ ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى النَّاسِ فَصَلَّى بِهِمْ وَخَطَبَهُمْ» صلوات الله وسلامه وبركاته عليه .

أيها الإخوة الكرام: ثم لما اشتد المرض بنبينا الكريم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ اشتداداً عظيما بلغ الأمر من شدة المرض أن لم يستطع مع ذلكم المرض وشدته عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من الخروج للصلاة وحينئذ أمر أبا بكرٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ خير الصحابة وأفضلهم على الإطلاق أن يصلي بالناس، جاء في «صحيح البخاري»[1] عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت: «لَمَّا مَرِضَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَرَضَهُ الَّذِي مَاتَ فِيهِ فَحَضَرَتِ الصَّلاَةُ فَأُذِّنَ فَقَالَ: «**مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ**» فَقِيلَ لَهُ: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ رَجُلٌ أَسِيفٌ[2] إِذَا قَامَ فِي مَقَامِكَ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ، وَأَعَادَ فَأَعَادُوا لَهُ، فَأَعَادَ الثَّالِثَةَ فَقَالَ: «**إِنَّكُنَّ صَوَاحِبُ يُوسُفَ مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ**» ، فَخَرَجَ أَبُو بَكْرٍ فَصَلَّى فَوَجَدَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ نَفْسِهِ خِفَّةً فَخَرَجَ يُهَادَى بَيْنَ رَجُلَيْنِ كَأَنِّي أَنْظُرُ رِجْلَيْهِ تَخُطَّانِ مِنَ الوَجَعِ، فَأَرَادَ أَبُو بَكْرٍ أَنْ يَتَأَخَّرَ فَأَوْمَأَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ مَكَانَكَ، ثُمَّ أُتِيَ بِهِ حَتَّى جَلَسَ إِلَى جَنْبِهِ».

ازداد المرض بنبينا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ودَنَتْ ساعة الاحتضار وقاربت لحظة الفراق ، ولنستمع في هذا المقام **أيها الإخوة الكرام** إلى أمِّ المُؤمنين عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا وأرضاها وهي تروي تلك اللحظات الأخيرة من حياة رسول الله ﷺ حياة سيّد ولد آدم

(١) برقم : (٦٦٤).
(٢) أي: رقيق الطبع، سريع العبرة، رحيم يتأثر بسرعة.

أجمعين، جاء في «الصَّحيحين»[1] قالت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُوَ صَحِيحٌ يَقُولُ: «إِنَّهُ لَمْ يُقْبَضْ نَبِيٌّ قَطُّ حَتَّى يَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الجَنَّةِ ثُمَّ يُخَيَّرَ» فَلَمَّا اشْتَكَى وَحَضَرَهُ القَبْضُ وَرَأْسُهُ عَلَى فَخِذِ عَائِشَةَ غُشِيَ عَلَيْهِ، فَلَمَّا أَفَاقَ شَخَصَ بَصَرُهُ نَحْوَ سَقْفِ البَيْتِ ثُمَّ قَالَ: «**اللَّهُمَّ فِي الرَّفِيقِ الأَعْلَى**»، فَقُلْتُ: إِذًا لاَ يُجَاوِرُنَا، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ حَدِيثُهُ الَّذِي كَانَ يُحَدِّثُنَا وَهُوَ صَحِيحٌ» أي أنه يخيَّر وأنَّه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ خُيِّر في تلك اللَّحظة فاختار ﷺ الرَّفيق الأعلى.

تقولُ عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وأرضاها: «دَعَا النَّبِيُّ ﷺ فَاطِمَةَ ابْنَتَهُ فِي شَكْوَاهُ الَّذِي قُبِضَ فِيهِ فَسَارَّهَا بِشَيْءٍ فَبَكَتْ، ثُمَّ دَعَاهَا فَسَارَّهَا فَضَحِكَتْ، قَالَتْ عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: فَسَأَلْتُهَا عَنْ ذَلِكَ؟ فَقَالَتْ: سَارَّنِي النَّبِيُّ ﷺ فَأَخْبَرَنِي أَنَّهُ يُقْبَضُ فِي وَجَعِهِ الَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ فَبَكَيْتُ، ثُمَّ سَارَّنِي فَأَخْبَرَنِي أَنِّي أَوَّلُ أَهْلِ بَيْتِهِ أَتْبَعُهُ فَضَحِكْتُ»[2] أي ضحكت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ضحك فرح وسرور.

وحين رأت فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وأرضاها ما بأبيها من كرب وشدة قالت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «وَا كَرْبَ أَبَاهُ»، فَقَالَ لَهَا: «**لَيْسَ عَلَى أَبِيكِ كَرْبٌ بَعْدَ اليَوْمِ**»، فَلَمَّا مَاتَ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قَالَتْ: «يَا أَبَتَاهُ أَجَابَ رَبًّا دَعَاهُ، يَا أَبَتَاهْ مَنْ جَنَّةُ الفِرْدَوْسِ مَأْوَاهْ، يَا أَبَتَاهْ إِلَى جِبْرِيلَ نَنْعَاهْ»، فَلَمَّا دُفِنَ صلوات الله وسلامه عليه قَالَتْ: «يَا أَنَسُ أَطَابَتْ أَنْفُسُكُمْ أَنْ تَحْثُوا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ التُّرَابَ!!»[3].

تقول أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وأرضاها: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ: «يَا عَائِشَةُ مَا أَزَالُ أَجِدُ أَلَمَ الطَّعَامِ الَّذِي أَكَلْتُ بِخَيْبَرَ»[4] ونعرف جميعا

---

(١) رواه البخاري (٤٤٦٣)، ومسلم (٢٤٤٣).

(٢) رواه البخاري (٣٦٢٥)، ومسلم (٢٤٥٠).

(٣) رواه البخاري (٤٤٦٢).

(٤) رواه البخاري (٤٤٢٨).

قصة ذلك الطعام والذي وضعت فيه امرأة من اليهود سماً في اللَّحم(١) الذي قُدِّم للنبي الكريم ﷺ وأن الفخذ الذي كان فيه ذلك السم نطق مخبراً النبي ﷺ بذلك، فيقول عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**فَهَذَا أَوَانُ وَجَدْتُ انْقِطَاعَ أَبْهَرِي مِنْ ذَلِكَ السُّمِّ**».

ثم تقول عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وأرضاها: «إِنَّ مِنْ نِعَمِ اللهِ عَلَيَّ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ تُوُفِّيَ فِي بَيْتِي، وَفِي يَوْمِي، وَبَيْنَ سَحْرِي وَنَحْرِي، وَأَنَّ اللهَ جَمَعَ بَيْنَ رِيقِي وَرِيقِهِ عِنْدَ مَوْتِهِ» تقول موضِّحة ذلك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «دَخَلَ عَلَيَّ عَبْدُ الرَّحْمَنِ -تعني أخاها ابن أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- وَبِيَدِهِ السِّوَاكُ، وَأَنَا مُسْنِدَةٌ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَرَأَيْتُهُ يَنْظُرُ إِلَيْهِ وَعَرَفْتُ أَنَّهُ يُحِبُّ السِّوَاكَ، فَقُلْتُ: آخُذُهُ لَكَ؟ فَأَشَارَ بِرَأْسِهِ: «أَنْ نَعَمْ» فَتَنَاوَلْتُهُ، فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ، وَقُلْتُ: أُلَيِّنُهُ لَكَ؟ فَأَشَارَ بِرَأْسِهِ: «أَنْ نَعَمْ» فَلَيَّنْتُهُ، فَأَمَرَّهُ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ رَكْوَةٌ فِيهَا مَاءٌ، فَجَعَلَ يُدْخِلُ يَدَيْهِ فِي المَاءِ فَيَمْسَحُ بِهِمَا وَجْهَهُ وَيَقُولُ: «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، إِنَّ لِلْمَوْتِ سَكَرَاتٍ**» ثُمَّ نَصَبَ يَدَهُ فَجَعَلَ يَقُولُ: «**فِي الرَّفِيقِ الأَعْلَى**» حَتَّى قُبِضَ وَمَالَتْ يَدُهُ»(٢) فكانت آخر كلمة قالها «**اللهم فِي الرَّفِيقِ الأَعْلَى**».

وكانت وفاته ﷺ حين اشتد الضحى من يوم الاثنين من ربيع الأول عام أحد عشر من الهجرة وعمره ثلاث وستون سنة فصلوات الله وسلامه عليه وعلى جميع النبيين.

هذا نبأ الوفاة فماذا كان بعد هذا النبأ؟ وأيُّ أمرٍ حصل للصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وأرضاهم

---

(١) عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ امْرَأَةً يَهُودِيَّةً أَتَتْ رَسُولَ اللهِ ﷺ بِشَاةٍ مَسْمُومَةٍ فَأَكَلَ مِنْهَا فَجِيءَ بِهَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَسَأَلَهَا عَنْ ذَلِكَ فَقَالَتْ أَرَدْتُ لأَقْتُلَكَ.

قَالَ ﷺ: «**مَا كَانَ اللهُ لِيُسَلِّطَكِ عَلَى ذَاكِ**».

قَالَ أَوْ قَالَ: «عَلَيَّ»، قَالَ: قَالُوا: أَلَا نَقْتُلُهَا؟

قَالَ: «**لَا**»، قَالَ: فَمَا زِلْتُ أَعْرِفُهَا فِي لَهَوَاتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ» رواه البخاري (٢٦١٧)، رواه مسلم (٢١٩٠).

(٢) رواه البخاري (٤٤٤٩).

بعد هذه الفاجعة العظمى والمصيبة الكبرى ؟

لقد كان موت رسول الله ﷺ مصيبة عظيمة وهولاً جسيماً وخطباً كبيراً على المسلمين ذُهل منه أكابر الصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم ، حتى أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، أخرج الإمام البخاري رحمه الله تعالى في «صحيحه»[(١)] عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت : «أَقْبَلَ عَلَى فَرَسٍ مِنْ مَسْكَنِهِ بِالسُّنْحِ، حَتَّى نَزَلَ فَدَخَلَ المَسْجِدَ فَلَمْ يُكَلِّمُ النَّاسَ حَتَّى دَخَلَ عَلَى عَائِشَةَ، فَتيَمَّمَ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَهُوَ مُغَشًّى بِثَوْبِ حِبَرَةٍ، فَكَشَفَ عَنْ وَجْهِهِ ثُمَّ أَكَبَّ عَلَيْهِ فَقَبَّلَهُ وَبَكَى ثُمَّ قَالَ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي وَاللهِ لاَ يَجْمَعُ اللهُ عَلَيْكَ مَوْتَتَيْنِ ، أَمَّا المَوْتَةُ الَّتِي كُتِبَتْ عَلَيْكَ فَقَدْ مُتَّهَا» .

وفي «الصحيح»[(٢)] عن ابن عباس رضي الله عنهما «أَنَّ أَبَا بَكْرٍ خَرَجَ وَعُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ يُكَلِّمُ النَّاسَ فَقَالَ: اجْلِسْ يَا عُمَرُ، فَأَبَى عُمَرُ أَنْ يَجْلِسَ، فَأَقْبَلَ النَّاسُ إِلَيْهِ وَتَرَكُوا عُمَرَ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَمَّا بَعْدُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا ﷺ فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ، وَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ يَعْبُدُ اللهَ فَإِنَّ اللهَ حَيٌّ لاَ يَمُوتُ ، قَالَ اللهُ تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔاۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ١٤٤﴾ [آل عمران]، وَقَالَ رضي الله عنه وأرضاه : وَاللهِ لَكَأَنَّ النَّاسَ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ أَنْزَلَ هَذِهِ الآيَةَ حَتَّى تَلاهَا أَبُو بَكْرٍ ، فَتَلَقَّاهَا النَّاسُ كُلُّهُمْ مِنْهُ فَمَا أَسْمَعُ بَشَرًا مِنَ النَّاسِ إِلَّا يَتْلُوهَا ، فَأَخْبَرَنِي سَعِيدُ بْنُ المُسَيِّبِ أَنَّ عُمَرَ قَالَ: وَاللهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ سَمِعْتُ أَبَا بَكْرٍ تَلاَهَا فَعَقِرْتُ حَتَّى مَا تُقِلُّنِي رِجْلاَيَ وَحَتَّى أَهْوَيْتُ إِلَى الأَرْضِ حِينَ سَمِعْتُهُ تَلاَهَا، عَلِمْتُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَدْ مَاتَ» .

وجاء في «مسند الإمام أحمد»[(٣)] بإسناد جيد أن عمر والمغيرة بن شعبة رضي الله عنهما

(١) رواه البخاري (٤٤٥٢).
(٢) رواه البخاري (١٢٤٢).
(٣) برقم (٢٥٨٤١).

لما قُبض رسول الله ﷺ استأذنا على عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا -أي قبل مجيء أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- فأذنت لهما بالدخول فدخلا ، فلما رأى عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رسول الله ﷺ وقد مات نظر إليه فقال : واغشَياه ما أشدَّ غشي رسول الله ﷺ -ما كان يظن أنه قد مات ويحسب أنه قد أغمي عليه صلوات الله وسلامه عليه- ثم توجه إلى الباب أي من أجل أن يخبر الناس أن النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لم يمت وإنما الذي حصل له أنه أغمي عليه ، هذا في ظن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه، توجه إلى الباب خارجًا ليُعلم الناس بالخبر ليعلمهم بهذا الأمر الذي ظهر له وهو أن النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لم يمت وإنما غشي عليه، ولما وصل إلى الباب هتف به المغيرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال: يا عمر مات رسول الله ﷺ.

ليس الأمر كما تظن وإنما حقيقة الأمر أن النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فعلاً قد مات، فقال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : إن رسول الله ﷺ لا يموت حتى يفني الله عَزَّوَجَلَّ المنافقين، ثم جاء أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ودخل على رسول الله ﷺ وهو مسجى ببردته قد مات عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فتقدم إليه وكشف عن بردته فلما نظر إليه قال : «إنا لله وإنا إليه راجعون مات رسول الله ﷺ» .

أُلهِم ووُفق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لقول هذه الكلمة العظيمة التي يشرع للمسلم أن يبادر وأن يسارع إلى قولها عند أي مصاب يحصل له كما قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ ﴾ [البقرة] ، «ثُمَّ أَتَاهُ مِنْ قِبَلِ رَأْسِهِ فَحَدَرَ فَاهُ وَقَبَّلَ جَبْهَتَهُ ثُمَّ قَالَ: وَا نَبِيَّاهْ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ ثُمَّ حَدَرَ فَاهُ وَقَبَّلَ جَبْهَتَهُ ثُمَّ قَالَ: وَا صَفِيَّاهْ.

ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَحَدَرَ فَاهُ وَقَبَّلَ جَبْهَتَهُ وَقَالَ: وَا خَلِيلَاهْ مَاتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَخَرَجَ

إِلَى الْمَسْجِدِ »، فخطب خطبته العظيمة وبيَّن للناس هذا الخطب الجسيم وكانوا مختلفين في هذا النبأ؛ منهم من يقول: مات رسول الله ﷺ، ومنهم من يقول: بل لم يمت وإنما غشي عليه، وكان عمر يخطب قائما يقول لهم: «لم يمت رسول الله ﷺ إن رسول الله ﷺ «لاَ يَمُوتُ حَتَّى يُفْنِيَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ الْمُنَافِقِينَ» ، لكن أبا بكر الصديق رضي الله عنه تقدم في هذه الجموع وقف أمام الناس وخطب خطبته العظيمة التي ثبَّت الله بها القلوب المؤمنة وبصرهم بحقيقة الأمر وأن المصاب بوفاة وفقْد رسول الله صلوات الله وسلامه عليه قد حصل وتلا الآية الكريمة كما تقدم: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾ [آل عمران: ١٤٤]، حتى فرغ من الآية بتمامها وقال كلمته المتقدمة « مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا ﷺ فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ فَإِنَّ اللهَ حَيٌّ لاَ يَمُوتُ »[١].

عندما علِم الصحابة بهذا الخطب الجسيم والمصاب الجلل الذي هو أكبر المصائب وقد نبَّهنا نبينا عليه الصلاة والسلام إلى كِبَر هذه المصيبة وعظمها نبهنا إلى ذلك بقوله ﷺ : «إِذَا أُصِيبَ أَحَدُكُمْ بِمُصِيبَةٍ، فَلْيَذْكُرْ مُصِيبَتَهُ بِي فَإِنَّهَا أَعْظَمُ الْمَصَائِبِ عِنْدَهُ»[٢] ؛ أعظم المصائب وأكبرها على الإطلاق هي المصيبة بفقد رسول الله صلوات الله وسلامه وبركاته عليه .

لنتأمل أيها الإخوة في هذا المقام مقام موته عليه الصلاة والسلام، ولنتأمل في خطبة أبي بكر الجليلة: « مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ فَإِنَّ اللهَ حَيٌّ لاَ يَمُوتُ» ؛ وهذا ولا ريب درس بليغ للغاية في التوحيد ووجوب الإخلاص، قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ۝٢﴾ [آل عمران:٢]، وقال الله تبارك وتعالى:

(١) رواه البخاري (٣٦٦٨).

(٢) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٩٦٧٧)، والطبراني في« المعجم الكبير» (٦٧١٨)، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١١٠٦).

﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ ﴾ [الفرقان:٥٨]، وجاء في «الصحيحين»[١] أن نبينا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كان يقول في دعائه: «**اللهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَنْ تُضِلَّنِي، أَنْتَ الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ، وَالْجِنُّ وَالْإِنْسُ يَمُوتُونَ**»، وهذا لا شك أنه من أعظم ما يكون تقريراً للتوحيد وبياناً لمقامه العظيم، قال: « مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ» وأما العبادة فإنما هي للحي الذي لا يموت .

والمخلوقات في هذا الباب على أقسام ثلاثة: حي سيموت، وحي قد مات، وجماد لا حياة له.

لا تخرج المخلوقات عن هذه الأقسام الثلاثة، وكل هذه الأصناف الثلاثة لا أحقيَّة لها إطلاقاً في أي شيء من العبادة لا قليل ولا كثير، وإنما العبادة حقٌّ للحي الذي لا يموت وهو رب العالمين وخالق الخلق أجمعين.

إذاً مقولة صدِّيق الأمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه عندما وقف أمام الناس وقال : « مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ فَإِنَّ اللهَ حَيٌّ لاَ يَمُوتُ» فيها أبلغ تقرير وأعظم بيان لهذا المقام العظيم مقام التوحيد وإخلاص العبادة لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وأن نبينا الكريم ﷺ عبدٌ لا يُعبد بل رسول يطاع ويُتبع، ولا يُصرف له شيء من العبادة ولا يتقرب إليه بشيء من العبادة وإنما التقرب والتعبد والتذلل وللخضوع إنما هو لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، قال ﷺ : «**إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ**»[٢] .

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَجُلاً قَالَ يَا رَسُولَ اللهِ مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ.

---

(١) رواه البخاري (٧٣٨٣)، ومسلم (٢٧١٧).

(٢) رواه الترمذي (٢٥١٦)، و صححه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٩٥٧).

فَقَالَ « **جَعَلْتَنِي لِلَّهِ عَدْلاً؟ بَلْ مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ** »(١) .

وكان عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في حياته حمَى حِمَى التوحيد وسدَّ كل ذريعة تفضي إلى الشرك وتؤدي بالناس إلى الباطل، ومن ذلكم أنه ﷺ نهى عن الغلو فيه فقال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**لاَ تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتْ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ فَقُولُوا : عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ**»(٢) .

ومن يقول هذا الذي أمر به عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ (عبد الله ورسوله) يسلم من نوعين من الباطل ويكون في هذا الباب في توسط واعتدال ؛ فإذا أثبت له العبودية فالعبد لا يُعبد، وإذا أثبت له الرسالة فالرسول لا يجفى في حقه بل يطاع ويتبع كما قال الله سبحانه : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ [النساء: ٦٤] .

كلمة أبي بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ « مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ فَإِنَّ اللهَ حَيٌّ لاَ يَمُوتُ» فيها أنواعٌ عظيمة من العظات والعبر البالغات فإن الله حي لا يموت في أي وقت يَلْتَجِئ إليه ، في أي وقت يسأله ، في أي وقت يطلب منه فهو حي قيوم بيده أزمة الأمور ومقاليد السماوات والأرض بيده الخفض والرفع والقبض والبسط والعطاء والمنع جل في علاه، ففي أي وقت التجأ إليه فهو عَزَّوَجَلَّ حيٌ سميعٌ بصيرٌ قديرٌ بيده أزمّة الأمور ومقاليد السماوات والأرض، فلا ملجأ إلا إلى الله ولا مفزع إلا إليه ولا مفر إلا إليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .

ولاشك أن هذه العبرة العظيمة تُعد في أهم العبر وأعظم الدروس المستفادة من هذا النبأ العظيم والخطب الجسيم وهو فهم مقام التوحيد العظيم ومقام الإخلاص لله جَلَّ وَعَلَا وإفراد الله بالعبادة ؛ ولعظم مقام الصالحين ومكانتهم في

---

(١) رواه أحمد (١٨٣٩)، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١٣٩).

(٢) رواه البخاري (٣٤٤٥).

النفوس ولاسيما الأنبياء ومحبة القلوب لهم فإنه كثيراً ما يقع للناس الفتنة ولاسيما عند فقْد الصالح، إما باتخاذ الصور للصالحين أو رفع الأبنية على قبورهم أو نحو ذلك مما نهى عنه ﷺ وحذَّر منه وأخبر أنه من أعظم الذرائع المفضية والمؤدية بالناس إلى الوقوع في الشرك بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى[1]، فيأتي أيضا هذا التنبيه من صدِّيق الأمة أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه سائراً في نهج النبي الكريم ﷺ في حماية حمى التوحيد وسد الذرائع التي تفضي بالناس وتؤدي بهم إلى الوقوع في الباطل عياذا بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَى من ذلك .

أيها الإخوة الكرام : إن من الدروس العظيمة والعبر البالغة المستفادة من هذا الخبر العظيم نبأ وفاته ومرضه صلوات الله وسلامه وبركاته عليه ما يتعلق بشأن الصلاة التي هي أعظم فرائض الدين وأجلُّها بعد توحيد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ونبأ مرضه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فيه من العبر العظيمة المتعلقة بشأن هذه العبادة الخاصة عبادة الصلاة ما يجعل المسلم تعظم عنايته بهذه الصلاة ومحافظته عليها .

---

(١) قال شيخنا عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر حفظه الله: «جاء في الصحيحين من حديث أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زوج النبي ﷺ قالت: « لَمَّا نَزَلَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ طَفِقَ يَطْرَحُ خَمِيصَةً لَهُ عَلَى وَجْهِهِ، فَإِذَا اغْتَمَّ بِهَا كَشَفَهَا عَنْ وَجْهِهِ، فَقَالَ وَهْوَ كَذَلِكَ: « لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ » يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا».

وجاء في «صحيح مسلم» عن جندب بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ بِخَمْسٍ وَهُوَ يَقُولُ « ... **أَلاَ وَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ مَسَاجِدَ أَلاَ فَلاَ تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ إِنِّي أَنْهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ** ».

تأمل أيها المؤمن هذا التذكير والبيان والنصح والإيضاح؛ قبل أن يموت بلحظات وقبل أن يودع هذه الحياة الدنيا بأيام يلعن اليهود و النصارى و يحذر أمته مما صنعه اليهود والنصارى في قبور أنبيائهم من اتخاذها مساجد، قبل أن يموت بخمس يخبر عليه الصلاة والسلام أن اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ثم يقول للأمة ناصحا و محذرا « أَلاَ فَلاَ تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ إِنِّي أَنْهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ »....إن هذه الوصية العظيمة و النصيحة السديدة التي قدمها النبي عليه الصلاة والسلام لأمته عند مفارقته لهذه الحياة ينبغي أن يكون لها مكانة في القلوب ومنزلة في النفوس ورعاية وعناية وتطبيق» «وقفة مع وصية الوداع»(ص٢).

لقد كانت آخر صلاة صلاها رسول الله ﷺ بالمؤمنين صلاة الظهر من يوم الخميس، ثم إنه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ اشتد به الوجع فبقي أياماً ثلاثة لا يتمكن من الخروج للصلاة من شدة الوجع وهي يوم الجمعة والسبت والأحد، وكان ينوب عنه في الصلاة وإمامة المسلمين أبو بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وفي فجر يوم الاثنين اليوم الذي توفي فيه صلوات الله وسلامه عليه كشف ستر حجرته ليُلقي نظرة على أصحابه، تلك النظرة هي نظرة الوداع وما أعظمه من وداع.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما عن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: « أَنَّ أَبَا بَكْرٍ كَانَ يُصَلِّي لَهُمْ فِي وَجَعِ النَّبِيِّ ﷺ الَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ، حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمُ الِاثْنَيْنِ وَهُمْ صُفُوفٌ فِي الصَّلاَةِ، فَكَشَفَ النَّبِيُّ ﷺ سِتْرَ الحُجْرَةِ يَنْظُرُ إِلَيْنَا وَهُوَ قَائِمٌ كَأَنَّ وَجْهَهُ وَرَقَةُ مُصْحَفٍ، ثُمَّ تَبَسَّمَ يَضْحَكُ، فَهَمَمْنَا أَنْ نَفْتَتِنَ مِنَ الفَرَحِ بِرُؤْيَةِ النَّبِيِّ ﷺ، فَنَكَصَ أَبُو بَكْرٍ عَلَى عَقِبَيْهِ لِيَصِلَ الصَّفَّ وَظَنَّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَارِجٌ إِلَى الصَّلاَةِ. فَأَشَارَ إِلَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ أَنْ أَتِمُّوا صَلاَتَكُمْ وَأَرْخَى السِّتْرَ فَتُوُفِّيَ مِنْ يَوْمِهِ»(١).

إذاً هذه نظرة كانت نظرة وداع في أهم أمرٍ بعد التوحيد كان يدعوهم إليه صلوات الله وسلامه عليه، فنظر إليهم تلك النظرة وسُرَّ وفرح وضحك عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ برؤية أصحابه الكرام مجتمعين في مسجده مصلين أجمعين خلف إمامٍ واحد وفي جماعةٍ واحدة فسُر بذلك أتم سرور وفرح بذلك أعظم فرح.

لنتأمل متعظين ومعتبرين؛ ينظر عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ إلى أمته نظرة وداع، ينظر نظرة هي قرة عين له، فقد كانت الصلاة قرة عينه عليه الصلاة والسلام(٢)، وقد أقر

---

(١) رواه البخاري (٦٨٠)، ومسلم (٤١٩).

(٢) لقد كانت الصّلاة قرّة عين النبي ﷺ فقد قال: « **حُبِّبَ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا النِّسَاءُ وَالطِّيبُ وَجُعِلَ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلاَةِ** » رواه النسائي (٣٩٣٩)، وأحمد (١١٨٨٤) وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣١٢٤).

قال الإمام المروزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « وَلَوْ لَمْ يَسْتَدلّ المؤمن على أَنَّ الصَّلاة أحبّ الأعمال إلى الله إلَّا بما ألزم قلب

الله عينه في صبيحة وفاته بأن رأى أمته مجتمعين في المسجد على هذه الصلاة ، تبسم يضحك عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ تبسُّم فرح وسرور وضحك أنسٍ وهناءة برؤيته لأمته مجتمعة في المسجد على هذه الصلاة ، وأرخى الستر قرير العين برؤيته هذا المنظر المفرح والصورة المبهجة ؛ الناس مجتمعون في مسجده يصلون، أقر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عينه بهذا المنظر البهيج والصورة العظيمة المفرحة .

أيها الإخوة الكريم: ولم يكن الأمر في شأن الصلاة متوقفًا على هذا في لحظاته الأخيرة من حياته عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، يقول علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بسند ثابت: «كَانَ آخِرُ كَلَامِ رَسُولِ اللهِ ﷺ: «الصَّلَاةَ الصَّلَاةَ اتَّقُوا اللهَ فِيمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ »[١] .

بل جاء ما هو أبلغ من هذا فيما رواه ابن ماجة في «سننه» بسند ثابت عن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال : «كَانَتْ عَامَّةُ وَصِيَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ حِينَ حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ وَهُوَ يُغَرْغِرُ بِنَفْسِهِ«الصَّلَاةَ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ» »[٢] ، وجاء أيضا من رواية أم سلمة زوج النبي ﷺ «أَنَّهُ كَانَ عَامَّةُ وَصِيَّةِ نَبِيِّ اللهِ ﷺ عِنْدَ مَوْتِهِ : «الصَّلَاةَ الصَّلَاةَ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ» ، قالت «حَتَّى جَعَلَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ يُلَجْلِجُهَا فِي صَدْرِهِ وَمَا يَفِيضُ بِهَا لِسَانُهُ»[٣] عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

وهذا **أيها الإخوة الكرام** بلا ريب يدلنا على المكانة العظيمة للصلاة في الإسلام وعظم عناية نبينا ﷺ بها[٤] ، وإن من يقرأ أحاديثه الشريفة ووصاياه العظيمة في

حبيبه المصطفى محمد ﷺ مِنْ حُبِّ الصَّلاة وجعل قرة عينه فيها دون سائر الأعمال كلّها، وإن كان ﷺ محبًّا لجميع الطَّاعات، ولكنَّه خصَّ الصَّلاة فأخبر أنَّ قرة عينه جعلت في الصلاة لربه لكفاه بذلك دليلا » «تعظيم قدر الصلاة »(١/ ٣٣١).

(١) رواه أبو داود (٥١٥٦)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٨٧٤٥).

(٢) برقم (٢٦٩٧)، وصححه الألباني في «إرواء الغليل» (٢١٧٨).

(٣)رواه أحمد (٢٦٤٨٣)، و صحح إسناده الألباني في «إرواء الغليل» (٧/ ٢٣٨).

(٤) ولشيخنا عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر كتاب نافع بعنوان: «تعظيم الصلاة».

حياته كلها يدرك قيمة الصلاة ومكانتها في الإسلام، وقد كان من شأن هذه الصلاة ومما خُصت من بين الفرائض أن عُرج بنبينا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ إلى ما فوق السماء السابعة وفرضت عليه من فوق سبع سماوات وسمع الأمر بها وفَرَضها الله عليه بلا واسطة ، فُرضت عليه خمسين صلاةً ثم سأل الله التخفيف فخُففت إلى خمس صلوات ، فكانت خمس صلوات في العدد وخمسين في الثواب والأجر ، وهذا أمرٌ خصت به هذه الطاعة من بين جميع فرائض الإسلام ، ومع ذلك عندما يتأمل المتأمل وينظر الناظر إلى واقع كثير من الناس يجد أن هذه الصلاة خف ميزانها عندهم وضعف قدرها في نفوسهم وضعفت اهتماماتهم بها بل أصبح عدد منهم إنما يعطي هذه الصلاة الفضلة من وقته .

«الصَّلَاةَ الصَّلَاةَ» وصية نبيكم وهي من آخر ما سُمع منه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ؛ فيا أيها المحبون للنبي الكريم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ احفظوا وصية نبيكم ﷺ التي عهد إليكم ، جاء في «المسند» بإسناد جيد عن نبينا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أن الصلاة ذُكرت عنده يوما فقال : **«مَنْ حَافَظَ عَلَيْهَا كَانَتْ لَهُ نُورًا وَبُرْهَانًا وَنَجَاةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ لَمْ يُحَافِظْ عَلَيْهَا لَمْ يَكُنْ لَهُ نُورٌ وَلَا بُرْهَانٌ وَلَا نَجَاةٌ وَكَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ قَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَأُبَيِّ بْنِ خَلَفٍ»**(١) .

أي أن تارك الصلاة يحشر يوم القيامة مع صناديد الكفر وأعمدة الباطل.

إن الصحابة الكرام رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وأرضاهم كان لهم مع هذه الصلاة شأن عظيم ، ولمن جاء بعدهم ممن لم يسِر سيرهم وينهج نهجهم له مع الصلاة شأن آخر ، ولنتأمل في هذا المقام ما رواه مسلم في «صحيحه»(٢) عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في بيان شأن الصلاة ومكانتها عند الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وأرضاهم ، يقول رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ : «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَلْقَى

(١) رواه أحمد (٦٥٧٦)، و ضعفه الألباني في «ضعيف الترغيب والترهيب»(٥٦٤).
(٢) برقم (٦٥٤).

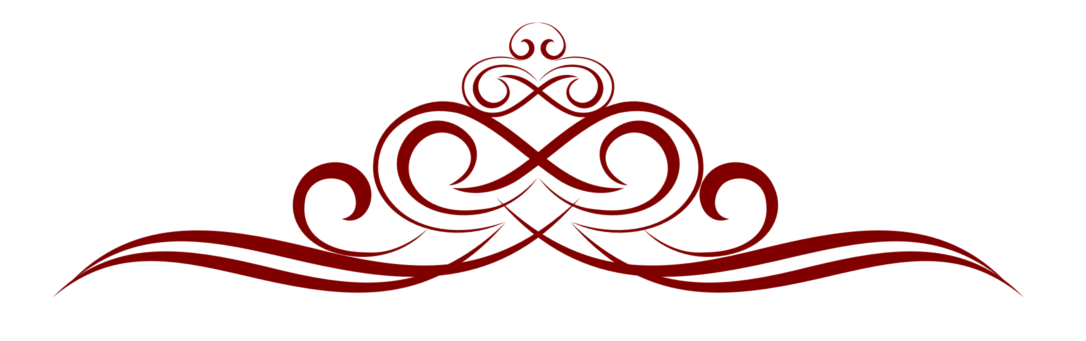
اللهَ غَدًا مُسْلِمًا، فَلْيُحَافِظْ عَلَى هَؤُلَاءِ الصَّلَوَاتِ حَيْثُ يُنَادَى بِهِنَّ، فَإِنَّ اللهَ شَرَعَ لِنَبِيِّكُمْ ﷺ سُنَنَ الْهُدَى، وَإِنَّهُنَّ مِنْ سُنَنِ الْهُدَى، وَلَوْ أَنَّكُمْ صَلَّيْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ كَمَا يُصَلِّي هَذَا الْمُتَخَلِّفُ فِي بَيْتِهِ لَتَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ، وَلَوْ تَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ لَضَلَلْتُمْ، وَمَا مِنْ رَجُلٍ يَتَطَهَّرُ فَيُحْسِنُ الطُّهُورَ، ثُمَّ يَعْمِدُ إِلَى مَسْجِدٍ مِنْ هَذِهِ الْمَسَاجِدِ إِلَّا كَتَبَ اللهُ لَهُ بِكُلِّ خَطْوَةٍ يَخْطُوهَا حَسَنَةً، وَيَرْفَعُهُ بِهَا دَرَجَةً، وَيَحُطُّ عَنْهُ بِهَا سَيِّئَةً، وَلَقَدْ رَأَيْتُنَا -يعني أصحاب النبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه- وَمَا يَتَخَلَّفُ عَنْهَا -أي عن الصلاة في المساجد- إِلَّا مُنَافِقٌ مَعْلُومُ النِّفَاقِ، وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ يُؤْتَى بِهِ يُهَادَى بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ حَتَّى يُقَامَ فِي الصَّفِّ» .

هذا شأن الصلاة ومكانتها عند أصحاب النبي ﷺ ؛ كان الواحد منهم يؤتى به يهادى بين الرجلين يساعدانه رجل عن يمينه وآخر عن شماله حتى يقف في الصف مشاركاً للمسلمين في هذه الصلاة في بيوت الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ كما أمر الله عز وجل بذلك ، فما شأن الصلاة مع من جاء بعدهم ؟ وكيف حالهم مع هذه العبادة العظيمة والطاعة الجسيمة ؟!

أيها الإخوة الكرام: هذا فيما يتعلق بالصلاة، وما قبله فيما يتعلق بالتوحيد، ونبأ وفاته ووصاياه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قبل وفاته فيها من العبر والدروس شيء عظيم.

ونسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يوفقنا أجمعين لكل خير ، وأن يعيننا أجمعين على ذكره وشكره وحسن عبادته ، وأن يوفقنا أجمعين للعمل بهديه ولزوم سنته صلوات الله وسلامه عليه ، وأن يصلح لنا شأننا كله ، وأن لا يكلنا إلى أنفسنا طرفة عين ، وأن يهدينا إليه صراطاً مستقيما ، وأن يصلح لنا شأننا كله إنه سميع الدعاء وهو أهل الرجاء وهو حسبنا ونعم الوكيل .

❑❑❑❑❑❑❑❑❑



إتحاف الإلف

بتفسير

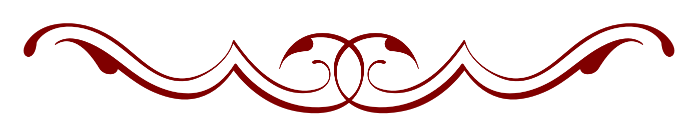
آخر آية سورة الكهف

الشيخ

عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر

اعتنى بها وعلق عليها

أبو عبد العزيز منير الجزائري



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المعتني:

الحمد لله عظيم الإحسان، وواسع الفضل والامتنان، أحمده سبحانه على جزيل نعمائه ووافر فضله وكريم عطائه، وأشهد أن لا إله إلا الله الحق المبين، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله الداعي إلى صراط الله المستقيم صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فهذا تفسير مبارك لآية كريمة تضمنت فوائد عظيمة، وهي قوله تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ١١٠﴾ [الكهف: ١١٠].

قام بتفسيرها شيخنا عبد الرزاق بن عبد المحسن العباد البدر حفظهما الله في درسه «شرح كتاب التوحيد» للإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالمسجد النبوي، ليلة الجمعة ٩ جمادى الآخرة ١٤٣٤هـ.

وكنت من الحاضرين ولله الحمد، فاستأذنت الشيخ في تفريغ تفسيره لهذه الآية والتعليق عليه لتعم الفائدة بإذن الله، فما كان من الشيخ إلا الموافقة ولله الحمد، فجزاه الله خيرا.

ولا يخفى عليك أخي الحبيب أن الله أمرنا بتدبر كتابه الكريم فقال سبحانه:

﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [ص:٢٩].

قال الشيخ العلامة عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ ﴾ فيه خير كثير، وعلم غزير، فيه كل هدى من ضلالة، وشفاء من داء، ونور يستضاء به في الظلمات، وكل حكم يحتاج إليه المكلفون، وفيه من الأدلة القطعية على كل مطلوب...

﴿ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ ﴾ أي: هذه الحكمة من إنزاله، ليتدبر الناس آياته، **فيستخرجوا علمها ويتأملوا أسرارها وحكمها**، فإنه **بالتدبر فيه والتأمل لمعانيه**، وإعادة الفكر فيها مرة بعد مرة، تدرك بركته وخيره، وهذا يدل على الحث على تدبر القرآن، وأنه من أفضل الأعمال، وأن القراءة المشتملة على التدبر أفضل من سرعة التلاوة التي لا يحصل بها هذا المقصود.

﴿ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ أي: أولو العقول الصحيحة، يتذكرون بتدبرهم لها كل علم ومطلوب، فدل هذا على أنه بحسب لب الإنسان وعقله يحصل له التذكر والانتفاع بهذا الكتاب» (١).

وقال الإمام النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«ينبغي للقارئ أن يكون شأنه الخشوع، والتدبر والخضوع، فهذا هو المقصود المطلوب، وبه تنشرح الصدور وتستنير القلوب، ودلائله أكثر من أن تحصر، وأشهر من أن تذكر» (٢).

---

(١) «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان» (ص ٧١٢).
(٢) «الأذكار» (ص ١٨٩).

ومما يعين قارئ القرآن على هذا أن يسعى إلى تفقه ما يقرأ[(١)]، وفي المقابل فقد حذَّر الباري سبحانه من عدم تدبر آياته فقال: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ [محمد:٢٤].

«أي: فهلا يتدبر هؤلاء المعرضون لكتاب الله، ويتأملونه حق التأمل، فإنهم لو تدبروه، لدلهم على كل خير، ولحذّرهم من كل شر، ولملأ قلوبهم من الإيمان، وأفئدتهم من الإيقان، ولأوصلهم إلى المطالب العالية، والمواهب الغالية، وليبين لهم الطريق الموصلة إلى الله، وإلى جنته ومكملاتها ومفسداتها، والطرق الموصلة إلى العذاب وبأي شيء تحذر، ولعرفهم بربهم، وأسمائه وصفاته وإحسانه، ولشوقهم إلى الثواب الجزيل، ولرهبهم من العقاب الوبيل»[(٢)].

ومن تأمل جيدا فيما يُصلح القلب ويقرب إلى الربّ عزّ وجل علم أن القرآن بتدبر وتفكر كان من أعظم الوسائل إلى ذلك.

ومما يعين على تدبر القرآن كذلك والتلذذ بقراءته العيش مع معانيه، قال الإمام ابن جرير الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إِنّي لأعجبُ مَمنْ قرأ القرآن ولم يعلَم تأويلَه، كيف يلتذُّ بقراءته؟»[(٣)].

---

(١) «كتاب الله ومكانته العظيمة» (ص ٢٧) لسماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ حفظه الله.

(٢) «تَيْسِيرُ الكَرِيمِ الرَّحْمَنِ فِي تَفْسِيرِ كَلَامِ المَنَّانِ» (ص ٧٨٨).

(٣) «جامع البيان في تأويل القرآن» (١/ ١٠).

ورحم الله الإمام ابن القيم لما قال:

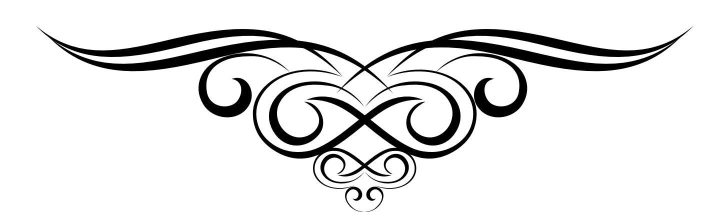
«فلا شيء أنفع للقلب من قراءة القرآن بالتدبر والتفكر، فإنه جامع لجميع منازل السائرين، وأحوال العاملين، ومقامات العارفين، وهو الذي يورث المحبة والشوق، والخوف والرجاء، والإنابة والتوكل، والرضا والتفويض، والشكر والصبر، وسائر الأحوال التي بها حياة القلب وكماله، وكذلك يزجر عن جميع الصفات والأفعال المذمومة والتي بها فساد القلب وهلاكه..» «مفتاح دار السعادة» (١/ ١٨٧).

وفي الختام إنْ كان من جهد يُذْكر في هذه الرسالة فإنما هو من الشيخ أما الجامع لها، فما كان مني إلا التهذيب والترتيب، والتوثيق والتدقيق بل حاولت المحافظة على كلام الشيخ بحروفه إلا ما يقتضيه المقام من إضافة ما يُربط به الكلام لتمام المعنى، وكان الغالب في ذلك بالرجوع إلى مؤلفاته حفظه الله، كما أني قمت بالتعليق على بعض المواضع مع إضافة بعض الفوائد التي أراها نافعة والله الموفق، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

مُحِبُّكُم فِي الله

أبو عبد العزيز منير الجزائري

abou-abdelaziz@hotmail.fr



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال الله تعالى مخاطبا نبيه محمدا ﷺ: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ١١٠﴾ [الكهف: ١١٠].

قوله تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾: أمره جَلَّ وَعَلَا في هذه الآية أن يُخبر ويُبَلِّغَ النَّاسَ أَنَّهُ صلوات الله وسلامه عليه بشر مثل البشر، من ولد آدم، تناسل مثلهم، شأنه كشأنهم: يجوع كما يجوعون، يعطش كما يعطشون، وينام كما ينامون، فهو بشر ﷺ لكن الله عَزَّوَجَلَّ ميّزه وشرّفه بكمال العبودية، فهو أكمل عباد الله عبادة، وأعلاهم مرتبة «وهو صلوات الله وسلامه عليه في جميع أموره على الطاعة والبر والاستقامة التي لم ينلها بشر سواه، لا من الأولين ولا من الآخرين، وهو أكمل البشر على الإطلاق، وسيدهم في الدنيا والآخرة»(١) وميّزه سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ بالرسالة، وأنه عبد الله ورسوله ومصطفاه بل هو خير رسله عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ.

والعبد لا يُعبد ولا يُعطى شيئًا من خصائص الرَّبِّ سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، لا مِنْ خصائص ربوبيته أو أسمائه وصفاته، وكذا العبادة إنما تكون لله وحده، ولا يُصرف له شيءٌ ﷺ من حقوق الله عَزَّوَجَلَّ(٢)، فحقوق الله، لا يُعطى غيرُه شيء منها لأي كائن كان،

(١) «تفسير القرآن العظيم» (٧/ ٣١٠).

(٢) قال الشيخ عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر حفظه الله:

«تقسيم التوحيد إلى ثلاثة أقسام: توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات، أو إلى قسمين: توحيد معرفة وإثبات وهو توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات، وتوحيد إرادة وطلب وهو توحيد الألوهية، فهذه عقيدة المسلمين قاطبة، المؤمنين بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ سوى المبتدعة الضُّلَّال.

لا ملكٌ مقربٌ ولا نبيٌّ مُرسل.

فإظهار هذا الوصف في قول الله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ ﴾ إبطال للغلو[١]، ولهذا كان النبي ﷺ إذا سمع بشيء من ذلك نهى عنه وزجر وشدَّد.

والمراد بتوحيد الربوبية: الاعتقاد الجازم بأنَّ الله وحده الخالق الرازق المحيي المميت المدبر لشئون خلقه كلها لا شريك له في ذلك.

والمراد بتوحيد الألوهية: إفراد الله وحده بالخضوع والذل والمحبة والخشوع وسائر أنواع العبادة لا شريك له.

والمراد بتوحيد الأسماء والصفات: الإيمان الجازم بأسماء الله وصفاته الواردة في الكتاب والسنة، وإثباتها دون تحريف أو تعطيل أو تكييف أو تمثيل» «القول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد» (ص ١٦).

(١) قال الشيخ عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر حفظه الله:

«إنّ الغلو فيه - ﷺ - عند بعض الطوائف - لا سيما المتصوفة - يصل إلى درجة إعطائه ما هو من خصائص الرب العظيم ويخرجه عن خصائص البشر، كقول البصيري في بردته:

يا أكرم الخلق ما لي من ألوذ به ... سواك عند حلول الحادث العمم

فإن من جودك الدنيا وضرتها ... ومن علومك علم اللوح والقلم

فهذا غلو في النبي ﷺ، وإعطاء له من خصائص الله في الربوبية والألوهية والأسماء والصفات، ففيما يتعلق بالألوهية قال: «ما لي من ألوذ به سواك» وهذا التجاء إلى النبي ﷺ واستنجاد به وطلب منه.

وفيما يتعلق بالربوبية قال: وإن من جودك الدنيا وضرتها.

وفيما يتعلق بالأسماء والصفات قال: ومن علومك علم اللوح والقلم.

وجميع ذلك من خصائص الرب، فلو أنّه قال: يا خالق الخلق ما لي من ألوذ به سواك.. الخ لأصاب الحق ولسلم من الضلال.

وافتتح آخر أبياتا له يمدح فيها النبي ﷺ بقوله:

هو الأول والآخر محمد ... هو الظاهر والباطن محمد

فلو عقل هؤلاء قول النبي ﷺ: «إنما أنا بشر مثلكم» لما غلو فيه مثل هذا الغلو، ولما أعطوه من خصائص الرب جلّ وعلا » «تذكرة المؤتسي شرح عقيدة الحافظ عبد الغني المقدسي» (ص ٣٦٣).

فعن الرُّبَيِّع بِنْت مُعَوِّذٍ بْنِ عَفْرَاءَ قالت جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ فَدَخَلَ حِينَ بُنِيَ عَلَيَّ، فَجَلَسَ عَلَى فِرَاشِي كَمَجْلِسِكَ مِنِّي، فَجَعَلَتْ جُوَيْرِيَاتٌ لَنَا يَضْرِبْنَ بِالدُّفِّ وَيَنْدُبْنَ مَنْ قُتِلَ مِنْ آبَائِى يَوْمَ بَدْرٍ، إِذْ قَالَتْ إِحْدَاهُنَّ وَفِينَا نَبِيٌّ يَعْلَمُ مَا فِي غَدٍ. فَقَالَ «دَعِي هَذِهِ، وَقُولِي بِالَّذِي كُنْتِ تَقُولِينَ» (١).

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَجُلاً قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «أَجَعَلْتَنِي وَاللهَ عِدْلاً بَلْ مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ» (٢).

ونظير هذا كثير جدا في سنته ﷺ، فهو ﷺ بشر، ولكن ميزه الله بقوله: ﴿ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ ﴾:

النبوة منحة ربانية، ومنة إلهية، وهي أعظم منة وأكرم عطية من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لنبيه ومصطفاه، وقد بين الله ذلك في أكثر من آية فقال: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩ ﴿٥٨﴾ ﴾ [مريم:٥٨].

﴿ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾: وفي هذا إشارة للتوحيد، وكلمة التوحيد (لا إله إلا الله).

و«لهذه الكلمة الجليلة فضائلُ عظيمةٌ، وفواضلُ كريمةٌ، ومزايا جمّةٌ، لا يُمكن لأحد استقصاؤها، ومما ورد في فضل هذه الكلمة في القرآن الكريم أنَّ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ جعلها زبدةَ دعوة الرسل، وخلاصةَ رسالاتهم» (٣) كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي

(١) رواه البخاري (٥١٤٩).

(٢) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٧٨٣)، والنسائي في الكبرى (١٠٨٢٤)، وأحمد (١/ ٢٤١)، والبيهقي (٣/ ٢١٧)، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١٣٩).

(٣) «فقه الأدعية والأذكار» (١/ ١٥٠) لشيخنا عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر.

كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ﴾ [النحل: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وقال عَزَّوَجَلَّ ﴿ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾ [الزخرف: ٤٥].

وقال سبحانه: ﴿ ۞ وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحقاف: ٢١].

النذر: الرسل.

فزبدة دعوة المرسلين وخلاصة رسالتهم الدعوة إلى توحيد الله وإخلاص الدين لله.

﴿ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾ أي: لا ندّ له ولا شريك له سبحانه وتعالى، فهو جل وعلا إله واحد اتصف بصفات الكمال، ونعوت الجلال، له الأسماء الحسنى والصفات العليا، إله واحد استحق سبحانه وتعالى أن يُفرد بالعبادة وأن يُخلص له الدين، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ ﴾ [البينة: ٥].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الرُّسُلِ افْتَتَحُوا دَعْوَتَهُمْ بِالْأَمْرِ بِعِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ دُونَ مَا سِوَاهُ كَمَا أَخْبَرَ اللهُ عَنْ نُوحٍ وَهُودٍ وَصَالِحٍ وَشُعَيْبٍ، وَقَوْمُهُمْ كَانُوا مُقِرِّينَ بِالْخَالِقِ لَكِنْ كَانُوا مُشْرِكِينَ يَعْبُدُونَ غَيْرَهُ كَمَا كَانَتْ الْعَرَبُ الَّذِينَ بُعِثَ فِيهِمْ مُحَمَّدٌ ﷺ» «مجموع الفتاوى» (١٦/ ٣٣٢).

وانظر غير مأمور: «المجموع المفيد في بيان أهمية التوحيد» (ص٤٦) للشيخ عبد الرحمن العميسان، قرأه وقرظه العلامة عبد الله بن عقيل رَحِمَهُ ٱللَّهُ، والشيخ عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر.

ولهذا جاء عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا كما في تفسير الإمام ابن جرير وغيره في معنى «الله» «ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين»[١].

الألوهية: صفات الكمال والجلال والعظمة والجمال التي اتصف وتفرّد بها، فاستحق أن يُؤْلَه ويفرد له الدين.

العبودية: هي الوصف المتعلق بالعبد من هذا الاسم، فالعباد يعبدونه ويألهونه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ﴾ [الزخرف:٨٤].

فالعبودية هي فعل العبد التي يقتضيها إيمانه بربه كفعل العبد للصلاة والصيام، والخشوع والذل والخضوع والدعاء وغير ذلك[٢]، فالله عَزَّوَجَلَّ هو الواحد الذي يجب أن يفرد بالعبادة..

﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ ﴾ أي يخاف الوقوف بين يدي الله، ويدرك أنه سيبعث وأنه يلقى الله، وأنه سيحاسبه على أعماله في هذه الحياة الدنيا، من كان يدرك ذلك ويعيه ويفهمه ويعقله فليعد لهذا اللقاء زادًا، وليعد للسؤال جوابًا، وللجواب صوابًا، سَيُسْأل ويَقِف بين يدي الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ[٣].

---

(١) « جامع البيان في تأويل القرآن» (١/ ١٢١).

(٢) وانظر كلام شيخنا عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر حفظه الله في كتابيه: «فقه الأسماء الحسنى» (ص ٩٣)، و«شرح الأرجوزة الميئية في ذكر حال أشرف البرية» (ص ١٦).

(٣) قال الشيخ صالح الفوزان حفظه الله: «﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ ﴾ معناه: يخشى ويخاف.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ:

«﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ ﴾ أي: يؤمِّل رؤية الله يوم القيامة، لأن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة، ويتنعّمون برؤيته ﷺ أعظم مما يتنعّمون بنعيم الجنة» [«إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد» (٢/ ٩٢)].

قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ:

«يبعث -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- الناس يوم القيامة ويقومون بين يدي ربّ العالمين، ليجازي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته، وهيهات أن يسوي رب العالمين بين محسن ومسيء، وبين بر وفاجر، وبين مطيع وعاص، ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾﴾ [ص:٢٨]، فهذا لا يكون، بل يُنَزَّه عنه الرب تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

فهذه الآيات ونظائرها في كتاب ربنا عَزَّوَجَلَّ فيها إيقاظ للقلوب، وتبصرة للناس..

وفيها تنبيه للغافل وتذكير للمؤمن وتبصير للجاهل..

وفيها بيان لحقيقة عظيمة ينبغي أن تكون حاضرة في الذهن، كي لا تمضي بالإنسان سنونه وأيامه وأوقاته في الضياع والباطل، فالإنسان لم يخلق للباطل، ولم يوجد للعبث.

روى ابن أبي حاتم عن رجل من آل سعيد بن العاص رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: كان آخر خطبة عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن حمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد، فإنكم لم تُخلقوا عبثًا، ولن تُتركوا سدىً، وإنَّ لكم معاداً ينزل الله فيه للحكم بينكم، والفصل بينكم، فخاب وخسر من خرج من رحمة الله، وحُرم جنّة عرضها

«فقوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ﴾، المراد بالرجاء: الطلب والأمل، أي: من كان يؤمل أن يلقى ربه، والمراد باللقيا هنا الملاقاة الخاصة؛ لأن اللقيا على نوعين:

الأول: عامة لكل إنسان، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَـٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَـٰقِيهِ ﴿٦﴾﴾ ؛ [الانشقاق:٦]، ولذلك قال مفرعا على ذلك: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾﴾ ، ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾﴾، [الانشقاق:٧-١٠]، الآية.

الثاني: الخاصة بالمؤمنين، وهو لقاء الرضا والنعيم كما في هذه الآية، وتتضمن رؤيته تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، كما ذكر ذلك بعض أهل العلم» [«القول المفيد على كتاب التوحيد» (٢/ ١٢٧)].

السماوات والأرض، ألم تعلموا أنه لا يأمن غداً إلا من حذر اليوم وخافه، وباع نافذا بباق، وقليلاً بكثير، وخوفًا بأمان، ألا ترون أنكم من أصلاب الهالكين، وسيكون من بعدكم الباقين، حتى تردون إلى خير الوارثين؟ ثم إنكم في كل يوم تشيعون غاديًا ورائحًا إلى الله عَزَّوَجَلَّ، قد قضى نحبه، وانقضى أجله، حتى تغيِّبوه في صَدْع من الأرض، في بطن صدع غير ممهَّد ولا موسَّد، قد فارق الأحباب، وباشر التراب، وواجه الحساب، مُرْتَهَن بعمله، غنيٌّ عمَّا ترك، فقير إلى ما قدَّم، فاتقوا الله – عباد الله – قبل انقضاء مواثيقه، ونزول الموت بكم، ثم جعل طرف ردائه على وجهه فبكى وأبكى من حوله»[1].

وإذا أدرك المسلم هذا الأمر واستحضره وأيقن أنه لم يخلق باطلا، وأن الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ خلقه ليأمره وينهاه، فما الذي يجب عليه نحو ما أمره الله به ونحو ما نهاه الله عنه؟[2].

﴿ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾: هذه خلاصة ما تكون به النجاة يوم القيامة، وما يكون الفوز به في هذا اليوم، ولا فوز ولا نجاة إلا بهذين الأمرين:

١/ ﴿ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا ﴾

٢/ ﴿ وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾

﴿ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا ﴾: أي يجتهد أن تقع أعماله على الصلاح والسداد، وموافقة للحق والهدى، فالإنسان ليس له أن يعبد الله بما شاء من الآراء والمحدثات

---

(١) «تفسير ابن أبي حاتم» (٨/ ٢٠١٢).

(٢) «تعليقات على رسالة « واجبنا نحو ما أمرنا الله به» (ص١٣-١٥)» لشيخنا عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر.

والمخترعات وغير ذلك، بل المطلوب منه أن يعبد الله بما شرع، ولهذا قوله تعالى: ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا﴾: فيه إشارة للاتباع والاقتداء والاتساء بالنبي ﷺ لأن العمل الصالح هو ما جاء به الرسول ﷺ، وما سواه فمحدثات وبدع.

النّبي ﷺ ما ترك خيرا إلا ودل الأمة عليه، ولا شرا إلا وحذّر الأمة منه....، ولهذا قال ﷺ: «**مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ**»[(١)] حتى وإن استحسنه صاحبه ورآه من أجود وأنفس الأعمال فإنه لا يقبل منه، فالعمل لا يقبل حتى يكون صالحا ولا يكون صالحا حتى يكون موافقا للسنة [(٢)].

﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾: أي: لابد أن تكون أعماله خالصة لله لا يبتغي بها إلا وجه الله تعالى، وهذا فيه دليل على الإخلاص للمعبود سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وهو يتناول بعمومه إبطال الرياء ومن باب أولى الشرك «[(٣)]»، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ

---

(١) رواه مسلم (١٧١٨).

(٢) قال شيخنا عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر:

«وفي خضم غربة الدين وقلة المعرفة والدراية بهدي سيد الأنبياء والمرسلين ﷺ، نشأ في أوساط بعض المسلمين أمور غريبة ومحدثات عجيبة، أراد بعضهم التعبير من خلالها عن محبته ﷺ، فاتخذوا يوم مولده عيدا ويوم هجرته إلى المدينة محتفلا وليلة الإسراء به موسما ونحو ذلك من الأيام، فيجتمعون فيها على إنشاد القصائد وتلاوة المدائح وقراءة الأراجيز، وهؤلاء وإن كان قصدهم بذلك محبة النبي ﷺ وهو قصد حسن، إلا أن إظهار محبته عليه الصلاة والسلام لا تصح إلا باتباعه ولزوم نهجه وترسم خطاه، ولهذا لم ينقل عن أحد من الصحابة ولا التابعين ولا الأئمة المعتبرين شيء من هذه الأمور المحدثة، والموفق من اتبع خطاهم ولزم نهجهم وسلك سبيلهم، فهم أهدى أمة محمد ﷺ سبيلا، وأقومهم قيلا، وأحسنهم طريقا، ألحقنا الله وإياكم بهم، ورزقنا متابعتهم وسلوك سبيلهم، وجعلنا جميعا من عباده المتقين» «الفوائد المنثورة» (ص ٥٦).

(٣) قال الشيخ عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر حفظه الله:

«الشرك بالله جَلَّ وَعَلَا هو أعظم الذنوب وأخطرها، وهو أظلم الظلم، وأكبر الجرائم، وهو الذنب الذي لا يغفر، الشرك بالله هضم للربوبية، وتنقص للألوهية، وسوء ظن برب البرية جَلَّ وَعَلَا.

عَمَلٍ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [الفرقان:٢٣].

قال الله تعالى في الحديث القدسي: «**أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ**»(١).

وهذه الآية الكريمة جمعت بين شرطي قبول العمل وهما:

أ - **الإخلاص** للمعبود.

ب - **المتابعة** للرسول ﷺ.

قال الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ ﴾ [الملك:٢] قال الفضيل بن عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله تعالى: ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾.

قال: «أخلصُه وأصوبُه، قيل: يا أبا علي، ما أخلصه وأصوبه؟

قال: إنَّ العملَ إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لَم يُقبل، وإذا كان صوابـاً ولـم

الشرك بالله جَلَّ وَعَلَا تسوية لغيره به، تسوية للناقص الفقير بالغني العظيم جَلَّ وَعَلَا.

إن الشرك بالله جَلَّ وَعَلَا ذنب يجب أن يكون خوفنا منه أعظم من خوفنا من أي ذنب آخر...

ولقد دلت نصوص الكتاب والسنة أن الشرك نوعان: أكبر وأصغر وهما يختلفان في الحد والحكم.

أما حد الشرك الأكبر: فهو أن يسوي غير الله بالله سواء في الربوبية أو الأسماء والصفات أو الألوهية، فمن سوى غير الله بالله في شيء من خصائص الله فإنه يكون بذلك أشرك بالله شركا أكبر ينقل صاحبه من ملة الإسلام.

أما حد الشرك الأصغر: فهو ما جاء في النصوص وصفه بأنه شرك ولا يبلغ حد الشرك الأكبر، كالحلف بغير الله، وقول ما شاء الله وشئت، وقول: لولا كذا لكان كذا وكذا.. ونحو ذلك من الألفاظ التي فيها شرك لا يقصده قائلها...)» «التحذير من الشرك ووجوب الخوف منه» (ص ٤-١٤).

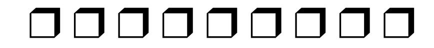
(١) رواه مسلم (٢٩٨٥).

يكـن خالصـًا لَـم يُقبل، حتى يكون خالصـًا صوابـًا، والخالصُ ما كان لله، والصواب مـا كان على السـنة »[١].

وهذا الأثر عظيم مروي عن هذا الإمام وهو من أجلة علماء التابعين[٢].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فَالْعَمَلُ الصَّالِحُ مَا أَحَبَّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ، وَهُوَ الْمَشْرُوعُ الْمَسْنُونُ، وَلِهَذَا كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ فِي دُعَائِهِ: «اللَّهُمَّ اجْعَلْ عَمَلِي كُلَّهُ صَالِحًا وَاجْعَلْهُ لِوَجْهِك خَالِصًا، وَلا تَجْعَلْ لأَحَدٍ فِيهِ شَيْئًا» [٣].

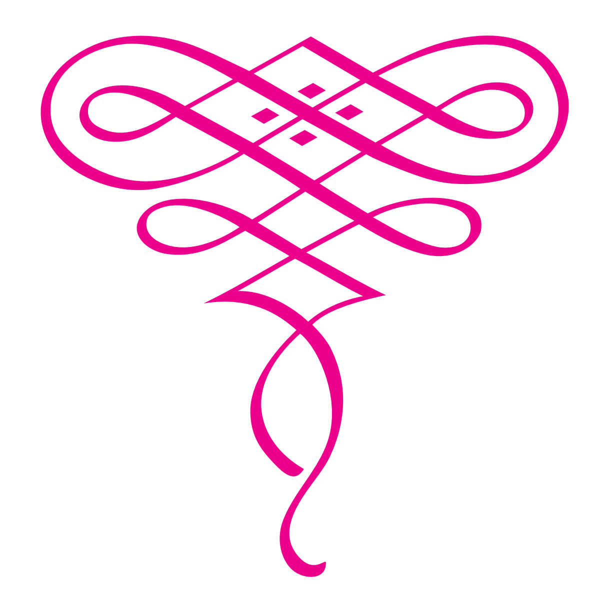
وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

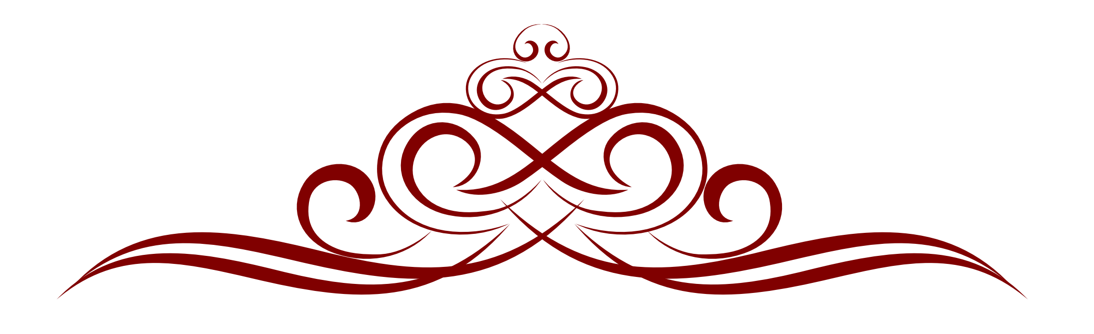


(١) «حلية الأولياء» (٨/ ٩٥).

(٢) الإمام القدوة الثبت، شيخ الإسلام، عابد الحرمين أبو علي **الفضيل بن عياض** رَحِمَهُ ٱللَّهُ ولد بسمرقند، ونشأ بأبيورد، وارتحل في طلب العلم، كان من الخوف نحيفا وللطواف أليفا، توفي في ١٨٦هـ وله نيف وثمانون سنة «حلية الأولياء» (٨/ ٨٤)، «سير أعلام النبلاء» (٨/ ٤٢١).

(٣) « مجموع الفتاوى (٢٥/ ٣١٧)».



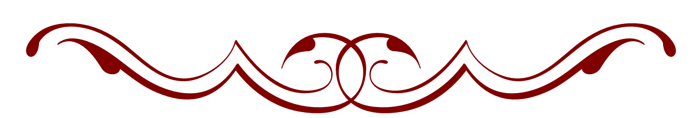


يَا حَامِلَ الجوَّال

المَسَاجِدُ لَهَا حُرْمَة

الشيخ
عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر

اعتنى بها وعلق عليها
أبو عبد العزيز منير الجزائري



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة المعتني:

الحمد لله الممتنّ على عباده المؤمنين بما دلَّهم عليه من معرفتِه، وشرح صدورَهم للإيمان به وتوحيده، وما افترض عليهم من الصلاة خضوعا لجلالِه، وخشوعا لعظمتِه، وتواضعـًا لكبريائه، ولم يفترض عليهم بعد توحيده والتصديق برسله وما جاء من عنده فريضة أولّ ولا أعظم من الصلاة، من حافظ عليها كانت له نورًا وبرهانًا ونجاة يوم القيامة، ومن لم يحافظ عليها لم يكن له نور ولا برهان يوم القيامة.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له؛ وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه وسلَّم تسليمًا كثيرًا؛ وبعد:

فهذه كلمة نافعة، ونصيحة ماتعة تتعلق ببعض آداب الجوال في المساجد لشيخنا عبد الرزاق بن عبد المحسن العباد البدر حفظهما الله مُستلَّة من كتابه «تعظيم الصَّلاة» رأيتُ أن أفردها في رسالة صغيرة لتكون أكثر تداولا ولتعُمَّ الفائدة بإذن الله، فاستشرت الشيخ في ذلك مع التعليق على بعض المواضع (يوم الأربعاء ٧جمادى الآخرة ١٤٣٤هـ) فما كان من الشيخ إلا الموافقة فجزاه الله خيرا.

أخي الحبيب المساجد في الإسلام لها المكانة العالية والمرتبة الغالية: «أحقُّ الأماكن بأن يصان ولا يهان، وأولَاها بأن ينحى عن مدرجة الاحتلال، ويرفع عن أن تتناوله يد الابتذال، مكان بُنِيَ ليجمع شمل التعبُّد، ويضُمَّ نشر التهجُّد، وتُرفع

منه الحوائج إلى من لا يضجر من السؤال، ولا يتبرَّم بكثرة التسآل، وهو الكبير المتعال، فإن صيانة هذا المكان صيانة للدِّين، بل صيانة الإسلام والمسلمين، وكبْت الكفر والكافرين، وما ظنُّك بموضع هو بيت من بيوت الله، ومظنَّة لقراءة وحي الله، تصف فيه الأقدام بين يدي الله، ويتميز فيه أولياء الله من أعداء الله، وهو من ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ ﴾ [النور:٣٦].

وهو مسكن من مساكن الأبرار، ومجلس من مجالس الأخيار، وحصن من حصون المسلمين على الكفار، وجسر بين الجنَّة والنَّار، دخوله عبادة، والمقام به سعادة، والاعتكاف فيه سنة مستحسنة، لا يأوي إليه كافر، ولا يقربُه إلَّا طاهر، من عمَّره عمَّر طريق الآخرة، ومن بناه بُني له بيت في الجنة»[١].

«ولكن ثمَّة ألم في قلوب كثير من المسلمين بسبب أمر يتكرر في زماننا في المساجد؛ في بيوت الله تبارك وتعالى فيه أذى عظيم للمسلمين في صلاتهم وعبادتهم، وإذهاب لخشوعهم وإقبالهم على ربهم تبارك وتعالى منْ أُناس رُبَّما بلغ الأمر بهم مَبْلَغَ اللامبالاة، وعدم الاكتراث؛ مع أن الأمر - إي والله - جدٌّ خطير: **إنه أصوات الموسيقى التي أصبح سماعها في المساجد متكررا**»[٢].

فمما ينبغي التنبيه عليه أنّ «آداب الهاتف الشرعية، مخرَّجة فقها على آداب الزيارة، والاستئذان، والكلام، والحديث مع الآخرين، في المقدار، والزمان، والمكان، وجنس الكلام، وصفته، وجميعها معلومة، أو في حكم المعلومة، في نصوص الشرع المطهّر، وجميعها أيضا تأتي في قائمة الفضائل، والمحاسن التي

(١) «جوامع الآداب في أخلاق الأنجاب» (ص١١٥).

(٢) من كلام شيخنا عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر حفظه الله في كتابه «تعظيم الصلاة ص ١٢١».

دعا إليها الإسلام، لبناء حياة المسلم على الفضل والفضيلة، والأخلاق العالية الكريمة، ثم جميعها مبني على الرّفق واللّطف، والتأسّي بنبيّ هذه الشّريعة المباركة العظيمة ﷺ »[١].

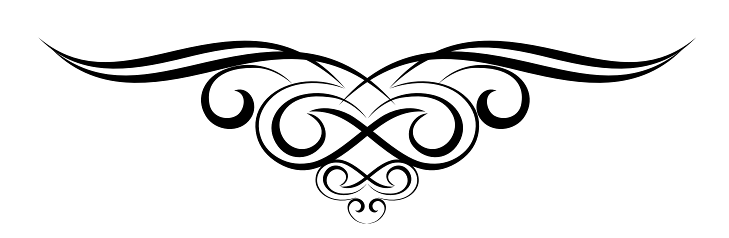
وفي الختام إنْ كان من جهد يُذْكر في هذه الرسالة فإنما هو من الشيخ حفظه الله، أما المعتني فقد قمت بالتعليق على بعض المواضع مع إضافة بعض الفوائد التي أراها نافعة والله الموفق.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

مُحِبُّكُم فِي الله

أبو عبد العزيز منير الجزائري

abou-abdelaziz@hotmail.fr



(١) «أدب الهاتف ص ٥».

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد:

إن خير بقاع الأرض وأحبها إلى الله عَزَّوَجَلَّ المساجد[1]، فهي مجامع الخير، وأماكن الطاعة، ومَوئِل الإيمان، ومهوى الأفئدة، أذنَ الله لعباده برفعها ليُذكر فيها اسمُه سبحانه، ولتُقام فيها الصلاة، ولتكونَ مُنطَلَقًا للعلم، ومرتكزًا لإشعاعه ونوره، ومنبرًا للهدى والخير، يَؤُمُّها المؤمنون ويجتمعُ فيها المتَّقون، ويتذاكر فيها المتذاكِرُون، ويكون فيها المسبِّحُ، والذَّاكِر، والدَّاعي، والتَّالي لكتاب الله، والرَّاكع والسَّاجد، والجميع خائف من يوم تتقلب فيه القلوب والأبصار.

وفي المسجد تطمئنُّ القلوب، وتسكُن النُّفوس، ويَذهب العَناء وتتحقَّق الرَّاحة، وتعظُم صِلة العبد بربِّه، فما أعظمَ أثرها، وما أجلَّ نفعَها وفائدتَها، فهي قُرَّة عيون المؤمنين، وأُنْسُ قلوب المتَّقين وبهجة نفوس المسلمين.

ورد في فضلها، وفضل بنائها، والعناية بها نصوص متكاثرة في القرآن والسنة، وهي تدل دلالة ظاهرة على عظم مكانتها، وجلالة قدرها وأهمية العناية بها بناء

(١) لحديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «أَحَبُّ الْبِلَادِ إِلَى اللهِ مَسَاجِدُهَا وَأَبْغَضُ الْبِلَادِ إِلَى اللهِ أَسْوَاقُهَا» رواه مسلم (٦٧١).

قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «قوله: «أحب البلاد إلى الله مساجدها» لأنها بيوت الطاعات وأساسها على التقوى.

قوله: «وأبغض البلاد إلى الله أسواقها» لأنها محل الغش، والخداع، والربا، والأيمان الكاذبة، وإخلاف الوعد، والإعراض عن ذكر الله، وغير ذلك مما في معناه» «شرح النووي على صحيح مسلم»(٥/ ١٧١).

ونظافة وعمارة لها بطاعة الله عَزَّوَجَلَّ، والله جَلَّوَعَلَا يقول: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾﴾ [سورة التوبة:١٨].

وللمسجد حرمته ومكانته في قلوب المؤمنين؛ يعرفون له قدره، ويهتمون بشأنه بحسب قوة إيمانهم بالله واليوم الآخر، وعمارة المسجد تشمل البناء، والتنظيف، والصلاة، وذكر الله، وغير ذلك.

ولكن ثمة ألم في قلوب كثير من المسلمين بسبب أمر يتكرر في زماننا في المساجد؛ بيوت الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ فيه أذى عظيم للمسلمين في صلاتهم وعبادتهم، وإذهاب لخشوعهم وإقبالهم على ربهم تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ، من أناس ربما بلغ الأمر بهم مبلغ اللامبالاة، وعدم الاكتراث؛ مع أن الأمر - إي والله - جِدٌّ خطيرٍ.

إنه أصوات الموسيقى التي أصبح سماعها في المساجد متكررا؛ بل لا تكاد تخلو صلاة أو ركوع أو سجود من سماع هذه الموسيقى، ولو قلت قبل عشرين سنة، أو ثلاثين سنة لشخص: هل تتصور أنه يوما من الأيام تسمع الموسيقى داخل المسجد؟ لقال لك: هذا ضرب من الخيال، ولا يمكن أبدا، ومن يُصَدِّق أنَّ ذلك يحصل في المساجد؟! (١).

---

(١) عن أبي مالك الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه سمع النبي ﷺ يقول: «**لَيَكُونَنَّ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ يَسْتَحِلُّونَ الحِرَ وَالحَرِيرَ وَالخَمْرَ وَالمعَازِفَ**».

أخرجه البخاري تعليقا (٥٥٩٠)، ووصله ابن حبان (٦٧٥٤)، والطبراني (١/ ١٦٧)، والبيهقي (٦٣١٧)، انظر «السلسلة الصحيحة» للألباني (١/ ١٣٩).

قال العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ: «دلالة الحديث على ذلك (أي: تحريم آلات العزف والطرب) من وجوه:

أ- قوله: «**يستحلون**» فإنه صريح بأن المذكورات ومنها المعازف هي في الشرع محرمة، فيستحلها أولئك

أبلغ الحال بنا - أُمَّة الإسلام - أَنْ تُضرَب هذه الموسيقى المُنْكَرَة السَّيِّئَة في بيوت الله؟! أين حرمة المساجد؟! أين مكانتها في قلوبنا؟! أين مراعاتنا لحقوق إخواننا المصلين؟! أين تقوانا لله عَزَّوَجَلَّ؟! أين تعظيمنا لشعائر الله جَلَّوَعَلَا إذا كانت حالنا بهذه الصفة في أمر متكرر؟! مع أن كل من يحمل هاتف الجوال يستطيع كل مرة يدخل فيها المسجد أن يغلق جواله، أو أن يجعله على الوضع الصامت؛ لكن كثيرا من الناس أصبح لا يبالي، ولا يكترث بهذا الأمر(١)، وأصبح المصلون وبشكل مستمر يسمعون الموسيقى وهم سجود، وهم ركع، وهم في دعائهم، وهم في تسبيحهم، بينما المسبح والذاكر لله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ وإذا بهذا الصوت الصَّاخب

القوم.

ب - قرن (المعازف) مع المقطوع حرمته: الزنا والخمر، ولو لم تكن محرمة ما قرنها معها إن شاء الله تعالى.

وقد جاءت أحاديث كثيرة بعضها صحيح في تحريم أنواع من آلات العزف التي كانت معروفة يومئذ، كالطبل والقنين وهو العود وغيرها، ولم يأت ما يخالف ذلك أو يخصه، اللهم إلا الدف في النكاح والعيد، فإنه مباح على تفصيل مذكور في الفقه، وقد ذكرته في ردي على ابن حزم. ولذلك اتفقت المذاهب الأربعة على تحريم آلات الطرب كلها، واستثنى بعضهم - بالإضافة إلى ما ذكرنا - الطبل في الحرب».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فَدَلَّ هَذَا الْحَدِيثُ عَلَى تَحْرِيمِ الْمَعَازِفِ؛ وَالْمَعَازِفُ هِيَ آلَاتُ اللَّهْوِ عِنْدَ أَهْلِ اللُّغَةِ وَهَذَا اسْمٌ يَتَنَاوَلُ هَذِهِ الْآلَاتِ كُلَّهَا» «مجموع الفتاوى» (١١/ ٥٣٥).

(١) سئل شيخنا العلامة عبد المحسن بن حمد العباد البدر حفظه الله:

هل من نصيحة للذين يستعملون في الجوال رنة الموسيقى مع العلم أن باستطاعتهم تغيير هذه الرنة؟

فأجاب: الواجب على الإنسان أن يتقي الله عَزَّوَجَلَّ، وإذا استعمل مثل هذا الجهاز وهذه الآلة للاستفادة منها فليحذر أن يضع فيها أو يجعلها على هيئة محرمة، كأن تكون رنة الهاتف موسيقى، فإن هذا غير سائغ للإنسان، ويزداد الأمر خطورة إذا حصل ذلك في المسجد، **بل الذي ينبغي أن الناس في المساجد يحرصون على أن يغلقوا جوالاتهم**، فإذا كان فيها موسيقى فإن ذلك حرام في جميع الأحوال، ولكنه يزداد خطورة ويزداد حرمة إذا كان يسمع ذلك الصوت الخبيث في المسجد؛ فإن ذلك شر على شر وبلاء على بلاء» «شرحه للحديث رقم: (٤٩٣٢) من «سنن أبي داود»».

العالي يضرب هنا وهناك داخل المساجد.

يا حامل الجوال المساجد لها حرمة: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ [الحج:٣٢]، والمصلون لهم احترام ولهم حق، وإذا كان لا يجوز داخل المسجد أن ترفع صوتك بالقرآن على أخيك، كما في حديث أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال اعْتَكَفَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي الْمَسْجِدِ فَسَمِعَهُمْ يَجْهَرُونَ بِالْقِرَاءَةِ فَكَشَفَ السِّتْرَ وَقَالَ: «**أَلاَ إِنَّ كُلَّكُمْ مُنَاجٍ رَبَّهُ فَلاَ يُؤْذِيَنَّ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، وَلاَ يَرْفَعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الْقِرَاءَةِ**» أَوْ قَالَ: «**فِي الصَّلاَةِ**»[(١)] فكيف إذا بهذه الأصوات السيئة المنكرة ؟[(٢)].

إن الأمر مؤسف للغاية، ويدل على ضعف الإيمان، ونقص الدين، وضعف الاحترام لبيوت الله - تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ - ومراعاة الحرمة لها، والواجب على هذا الذي أكرمه الله - جَلَّ وَعَلَا - بهاتف جوال أن يجعل من شكر الله - تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ - له على هذه النعمة - التي سهل الله له بها الاتصال على أهله وقرابته وأبنائه، وقضاء مصالحه وحاجاته - وأن يستعملها في طاعة الله[(٣)]، ومن استعملها في طاعة الله

---

(١) رواه أحمد (١١٨٩٦)، وأبو داود (١٣٣٢)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٢٣٩).

(٢) قال الإمام ابن عبد البر رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وإذا لم يجز للتالي المصلي رفع صوته لئلا يغلط ويخلط على مصل إلى جنبه، فالحديث في المسجد مما يخلط على المصلي أولى بذلك، وألزم وأمنع وأحرم، والله أعلم.

وإذا نهي المسلم عن أذى أخيه المسلم في عمل البر وتلاوة الكتاب فأذاه في غير ذلك أشد تحريما» [التمهيد (٢٣/ ٣١٩)].

(٣) قال العلامة الشيخ عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «والشكر يكون بالقلب: إقرارا بالنعم، واعترافا، وباللسان: ذكرا وثناء، وبالجوارح: **طاعة لله وانقيادا لأمره**، واجتنابا لنهيه، فالشكر فيه بقاء النعمة الموجودة، وزيادة في النعم المفقودة» «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان» (ص ٧٤).

- تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ - أن لا يحتوي على منكر؛ والموسيقى في الجوالات محرمة في كل حال[1]، بل ينبغي عليه أن يختار لجواله أصواتا ليست بأصوات الموسيقى، ويزداد الأمر خطورة عندما يكون هذا الصوت المنكر داخل بيوت الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-، فبيوت الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- محترمة ولها حرمتها، وإذا كان ذاك الذي أخذ يسأل عن حاجته في المسجد قال -عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ-: «**قُولُوا: لَا رَدَّ الله عَلَيْكَ ضَالَّتَكَ**»[2]؛ فكيف الأمر بهذا المنكر العظيم الشنيع؟ حتى لو كان بأدعية[3]، فالأدعية تشغل

(١) سئلت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء:

س: يوجد في كثير من هواتف الجوال، نغمات جرس موسيقية، فهل يجوز وضع هذه النغمات بدلا من الجرس العادي؟

عليه نأمل من سماحتكم الاطلاع، وتوجيهنا بما ترون، نفع الله بكم المسلمين، وشكر الله لكم، وحفظكم من كل سوء ومكروه.

ج: لا يجوز استعمال النغمات الموسيقية في الهواتف أو غيرها من الأجهزة؛ **لأن استماع الآلات الموسيقية محرم**، كما دلت عليه الأدلة الشرعية، ويستغنى عنها باستعمال الجرس العادي.

وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم» «فتاوى اللجنة الدائمة» (٢٦/ ٢٦١).

(٢) رواه الترمذي (١٣٢١)، وابن ماجه (٧٦٧)، والنسائي في «الكبرى» (٩٩٣٣) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال الترمذي: حسن غريب؛ وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٧٣).

سُئل سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ حفظه الله:

« هل من نصيحة للذين يتهاونون في نغمات الجوال في المساجد ويسببون الإزعاج للمصلين ؟

فأجاب: لا شك أن الجوال وسيلة اتصال نافعة، لكن بيوت الله لها حرمتها، وإذا كان إنشاد الضالة فيها محرما فكيف بهذه الأصوات المزعجة للمصلين والتالين والذاكرين! فيجب عليك البعد عن الإضرار بإخوانك، والحرص على احترام بيوت الله، فاحرص على إغلاق الجوال داخل المسجد أو على الأقل إغلاق صوته؛ احتراما لبيوت الله ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ ﴾[الحج:٣٢]» «مجلة البحوث الإسلامية العدد:٧٠» (ص٦٣).

(٣) بل وصل الأمر ببعض إخواننا - هدانا الله وإياهم - يجعلون الرنة آذانا بل قرآنا، ولا شك في تحريم هذا الفعل، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «وليس لأحد استعمال القرآن لغير ما أنزله الله له» «المستدرك على مجموع فتاوى شيخ الإسلام» (١/ ١٧٢).

المصلين، وتجدك وأنت تريد أن تقرأ اختلفت عليك قراءتك، أو تريد أن تدعو اختلف عليك دعاؤك، فينبغي أن تحترم بيوت الله، وأن يراعى للمصلين حرمتهم، وعلى حامل الجوال أن يذكر نعمة الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ عليه، ولا يجعله آلة يؤذي بها إخوانه المصلين.

فلنتق الله ولنحذر من موجبات سخط الله وعقابه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، والواجب على كل واحد منا أن يتقي الله -جَلَّوَعَلَا- في هذه المساجد، وبمجرد أن يدخل مع باب المسجد يقول: «بسم الله، والصلاةُ والسلام على رسول الله، اللَّهُمَّ افْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ» «أَعُوذُ بِاللهِ العَظِيمِ وَبِوَجْهِهِ الكَرِيمِ، وَسُلْطَانِهِ القَدِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ »[1]، ويصمت جواله ويدخل بيت الله محترما له، ولا يجعل

(١) قال الشيخ عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر حفظه الله في شرحه لهذه الأدعية:

«وهذا مجموع ما ورد مِمَّا يُستحبُّ للمسلم أن يقولَه عند دخول المسجد...، وإن طال عليه ذلك اقتصر على ما في« صحيح مسلم»، وهو أن يقول عند الدخول: «**اللَّهُمَّ افْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ**»، وعند الخروج: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ**».

قوله: «بسم الله» عند الدخول وعند الخروج، الباء للاستعانة، وكلُّ فاعل يقدر الفعل المناسب لحاله عند البسملة، والتقدير هنا بسم الله أدخل أي: طالبًا عونَه سبحانه وتوفيقه، وهكذا الشأن في الخروج.

قوله: «والصلاة والسلام على رسول الله» فيه فضل الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ عند دخول المسجد وعند الخروج منه، وهو من المواطن التي يُستحبُّ الصلاةُ فيها والسلامُ على رسول الله ﷺ، وقد فصَّلها ابن القيِّم رَحِمَهُٱللَّهُ في كتابه: «جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام».

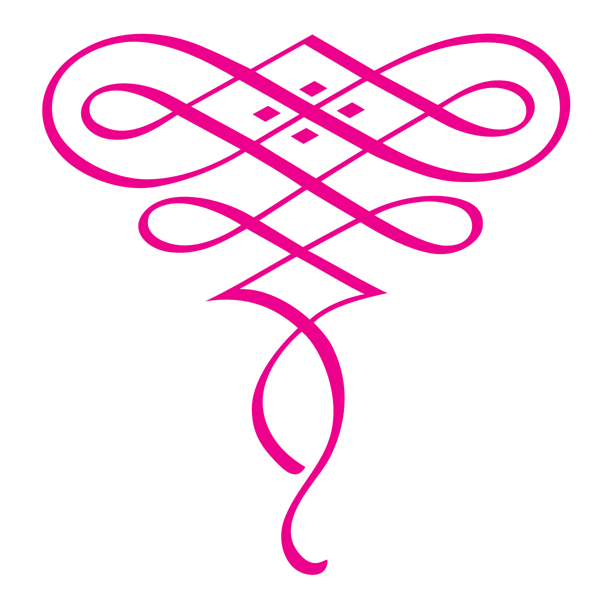
وفي قوله: «**اللَّهُمَّ افْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ** »، عند الدخول، و«**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ**»، عند الخروج حكمة، فقيل: لعلَّ ذلك لأنَّ الداخلَ طالبٌ للآخرة، والرَّحمةُ أخصُّ مطلوبٍ له، والخارجُ طالبٌ للمعاش في الدنيا وهو المراد بالفضل، وقد أشار إلى ذلك قولُه تعالى: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ﴾ [الجمعة: ١٠]، وقيل: لأنَّ مَن دخل المسجد فإنَّه ينشغل بما يقربه إلى الله ونيل ثوابه وجنَّته فناسبَ ذكرُ الرحمة، وإذا خرج من المسجد انتشر في الأرض ابتغاء فضل الله لرزقه الطيب والحلال فناسب ذكرُ الفضل، والله أعلم» «فقه الأدعية والأذكار» (٣/ ١٢١).

لهذه الأصوات المنكرة أي وجود في بيوت الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-، ومن ترك شيئا لله عوضه الله خيرا منه؛ فاتق الله في نفسك، وفي إخوانك المصلين، ولن يفوتك بهذا العمل بإذن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أي مصلحة من مصالحك ما دمت قمت به طاعة لله، ومراعاة لحرمة المسجد، وحفظا لحقوق إخوانك المصلين.

نسأل الله عَزَّوَجَلَّ بأسمائه الحسنى، وصفاته العليا أن يصلح أحوالنا أجمعين، وأن يوفقنا جميعا لاحترام بيوت الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-، وأن يجعلنا ممن يعظم شعائر الله، وأن يعيذنا جميعا من استعمال هذه الأجهزة في أي أمر أو مجال يسخط الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-، وأن يصلح لنا شأننا كله، إنه -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- سميع الدعاء، وهو أهل الرجاء، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

اللهم اغفر لمصنفها ولكاتبها ولقارئها وجميع المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات، ووفقنا أجمعين لتعظيم الصلاة والمحافظة عليها وحسن إقامتها، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا أبدا إلى يوم الدين.





كيف؟

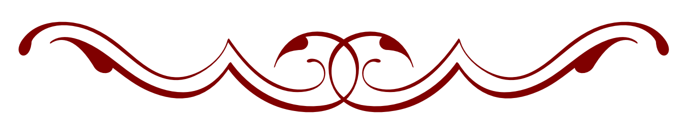
تَغُضُّ بَصَرَك

الشيخ

عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر

اعتنى بها وعلق عليها

أبو عبد العزيز منير الجزائري



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة المعتني:

الحمد لله المحمود على كل حال، الموصوف بصفات الكمال والجلال، له الحمد في الأولى والآخرة، وإليه الرُجْعى والمآل، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، تنزَّهَ عن الشريك والنَّديدِ والمثال، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله قدوة العباد في النِّيات والأقوال والأفعال، صلّى الله وسلّم وبارك عليه وعلى الصّحب والآل.

وبعد: فإنَّ هذا سؤال طُرح على شيخنا عبد الرزاق العباد البدر حفظه الله أثناء شرحه لكتاب: «التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح» للزبيدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، بالمسجد النبوي، وكان هذا الدرس يوم الثلاثاء ١٨ جمادى الأولى ١٤٣٣هـ، وقد كنت من الحاضرين ولله الحمد، فاستأذنت الشيخ في تفريغ الجواب ونشره لتعم الفائدة بإذن الله، فما كان من الشيخ إلا الموافقة ولله الحمد، فجزاه الله خيرا.

ولا يخفى عليك أخي الحبيب أهمية موضوع غضِّ البصر خاصة في هذه الأزمنة المتأخرة التي انتشر فيها التبرج والسفور وقنوات الفجور والعياذ بالله، ولقد وردت النصوص الكثيرة الآمرة بغض البصر الناهية عن إطلاقه، فمنها قوله تعالى:

﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [النور:٣٠].

وقَـالَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ لِعَلِـيٍّ: «**يَـا عَلِـيُّ، لاَ تُتْبِعِ النَّظْـرَةَ النَّظْرَةَ فَإِنَّ لَكَ الأُولَى وَلَيْسَـتْ لَـكَ الآخِرَةُ**»(١).

وجعل النبي ﷺ غض البصر من حق الطريق كما ورد في الحديث الصحيح.

عَـنْ أَبِـى سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَـنِ النَّبِـيِّ ﷺ قَـالَ: «**إِيَّاكُـمْ وَالْجُلُـوسَ عَلَـى الطُّرُقَـاتِ**»، **فَقَالُـوا مَـا لَنَـا بُـدٌّ، إِنَّمَـا هِـيَ مَجَالِسُـنَا نَتَحَدَّثُ فِيهَا، قَـالَ**: «**فَـإِذَا أَبَيْتُـمْ إِلاَّ الْمَجَالِسَ فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهَـا** »(٢).

قَالُـوا: وَمَـا حَـقُّ الطَّرِيـقِ؟ قَـالَ: «**غَـضُّ الْبَصَـرِ، وَكَـفُّ الأَذَى، وَرَدُّ السَّـلاَمِ، وَأَمْـرٌ بِالْمَعْـرُوفِ، وَنَهْـىٌ عَـنِ الْمُنْكَـرِ**»(٣).

ولغض البصر فوائد كثيرة ذكرها الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ، فقال:

«وفي غـض البصـر عـدة فوائـد أحدها تخليص القلب من ألم الحسـرة فـإن من أطلق نظره دامـت حسـرته فأضر شـيء على القلـب إرسـال البصـر فإنه يريـه ما يشـتد طلبه

(١) رواه أبو داود (٢١٤٩)، والترمذي (٢٧٧٧)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٧٩٥٣).

كما أن النبي ﷺ أرشد إلى أن الزواج من أهم أسباب غض البصر فقال: «**يَا مَعْشَـرَ الشَّبَابِ مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَـاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ فَإِنَّـهُ أَغَضُّ لِلْبَصَـرِ وَأَحْصَـنُ لِلْفَـرْجِ وَمَـنْ لَمْ يَسْـتَطِعْ فَعَلَيْـهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّـهُ لَهُ وِجَـاءٌ** » رواه البخاري (١٩٠٥) ومسلم (٣٣٩٨) واللفظ له.

(٢) نظم الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ آداب الطريق كما في «فتح الباري شرح صحيح البخاري» (١١/ ١١) فقال:

جمعت آداب من رام الجلوس على الـ — **طريق من قول خير الخلق إنسانا**
افش السلام وأحسن في الكلام وشـ — **مت عاطسا وسلاما رد إحسانا**
في الحمل عاون ومظلوما أعن وأغث — **لهفان أهد سبيلا وأهد حيرانا**
بالعرف مر، وانه عن نكر وكف أذى — **وغض طرفا وأكثر ذكر مولانا**

(٣) رواه البخاري (٢٤٦٥) ومسلم (٥٥٦٣).

ولا صبر له عنه ولا وصول له إليه وذلك غاية ألمه وعذابه.

الفائدة الثانية: أنه يورث القلب نورا وإشراقا يظهر في العين وفي الوجه وفي الجوارح، كما أن إطلاق البصر يورثه ظلمة تظهر في وجهه وجوارحه، ولهذا والله أعلم ذكر الله سبحانه آية النور في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [النور:٣٥] عقيب قوله: ﴿قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ﴾ [النور:٣٠].

الفائدة الثالثة: أنه يورث صحة الفراسة فإنها من النور وثمراته، وإذا استنار القلب صحت الفراسة لأنه يصير بمنزلة المرآة المَجْلُوّة تظهر فيها المعلومات كما هي، والنظر بمنزلة التنفس فيها فإذا أطلق العبد نظرة تنفست نفسه الصعداء في مرآة قلبه فطمست نورها..

الفائدة الرابعة: أنه يفتح له طرق العلم وأبوابه، ويسهل عليه أسبابه، وذلك بسبب نور القلب فإنه إذا استنار ظهرت فيه حقائق المعلومات، وانكشفت له بسرعة ونفذ من بعضها إلى بعض، ومن أرسل بصره تكدر عليه قلبه وأظلم وانسد عليه باب العلم وطرقه..

الفائدة الخامسة: أنه يورث قوة القلب وثباته، وشجاعته فيجعل له سلطان البصيرة مع سلطان الحجة..

الفائدة السادسة: أنه يورث القلب سرورا وفرحة وانشراحا أعظم من اللذة والسرور الحاصل بالنظر، وذلك لقهره عدوه بمخالفته ومخالفة نفسه وهواه، وأيضا فإنه لما كف لذته وحبس شهوته لله وفيها مسرة نفسه الأمارة بالسوء أعاضه الله سبحانه مسرة ولذة أكمل منها..

الفائدة السابعة: أنه يخلص القلب من أسر الشهوة، فإن الأسير هو أسير شهوته وهواه فهو كما قيل: **طليق برأي العين وهو أسير**

ومتى أسرت الشهوة والهوى القلب تمكن منه عدوه وسامه سوء العذاب..

الفائدة الثامنة: أنه يسد عنه بابا من أبواب جهنم، فإن النظر باب الشهوة الحاملة على مواقعة الفعل، وتحريم الرّب تعالى وشرعه حجاب مانع من الوصول، فمتى هتك الحجاب ضَرِيَ[1] على المحظور، ولم تقف نفسه منه عند غاية فإن النفس في هذا الباب لا تقنع بغاية تقف عندها، وذلك أن لذتها في الشيء الجديد، فصاحب الطارف لا يقنعه التليد، وإن كان أحسن منه منظرا وأطيب مخبرا، فغض البصر يسد عنه هذا الباب الذي عجزت الملوك عن استيفاء أغراضهم فيه.

الفائدة التاسعة: أنه يقوي عقله ويزيده ويثبته، فإن إطلاق البصر وإرساله لا يحصل إلا من خفة العقل وطيشه وعدم ملاحظته للعواقب، فإن خاصة العقل ملاحظة العواقب ومرسل النظر لو علم ما تجني عواقب نظره عليه لما أطلق بصره..

الفائدة العاشرة: أنه يخلص القلب من سكر الشهوة ورقدة الغفلة، فإن إطلاق البصر يوجب استحكام الغفلة عن الله والدار الآخرة ويوقع في سكرة العشق..

وفوائد غض البصر وآفات إرساله أضعاف أضعاف ما ذكرنا وإنما نبهنا عليه تنبيها..»[2].

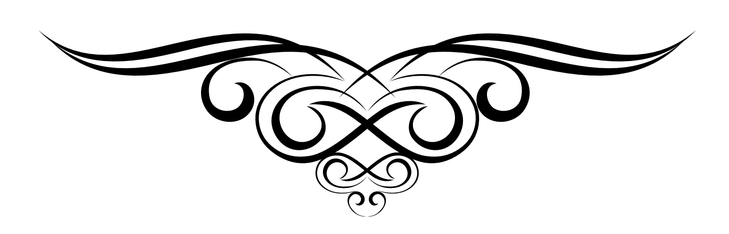
---

(١) لزِمَهُ وَأُولِعَ بِهِ، اعْتَادَهُ وَاجْتَرَأَ عَلَيْه،« المصباح المنير» (ص٢٩٤).

(٢) «روضة المحبين ونزهة المشتاقين» (ص ١٠٤) باختصار.

وفي الختام إنْ كان من جهد يُذْكر في هذه الرسالة فإنما هو من الشيخ أما الجامع لها، فما كان مني إلا التهذيب و الترتيب، بل حاولت المحافظة على كلام الشيخ بحروفه إلا ما يقتضيه المقام من إضافة ما يُربط به الكلام لتمام المعنى، كما أني قمت بالتعليق على بعض المواضع مع إضافة بعض الفوائد التي أراها نافعة والله الموفق، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

مُحِبُّكُم فِي الله
أبو عبد العزيز منير الجزائري
abou-abdelaziz@hotmail.fr



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

السؤال:

ابتُلِيتُ بكثرة المعاصي خاصة من جهة النَّظر، فما نصيحتكم لنا وكيف الطَّريق إلى التوبة؟

الجوابُ:

أسأل الله أن يشرح صدرك للتوبة، ويثبِّتك على الحق والهدى، وأن يوفقنا جميعا لسديد الأقوال وصالح الأعمال.

والَّذي أنصحك به في هذا المقام عدَّة أمور:

الأول: أن تعلم أن الله يراك

أن تتذكر دائما أكبر زاجر وأكبر رادع، وقد اتَّفق أهل العلم على أنَّ أكبر زاجرٍ، وأعظم رادعٍ أن تعلم أن الله يراك، فإذا حدَّثتك نفسُك بمعصية وخطيئة ذكِّرها برؤية الله لك[1]، واطلاعه سبحانه وتعالى عليك، قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ

(١) فإن من أسماء الله تعالى (البصير)، ومعناه كما قال شيخنا عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر حفظه الله: «الذي يرى جميع المبصرات، ويبصر كل شيء وإن دق وصغر، فيبصر دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء، ويرى مجاري القوت في أعضائها، ويرى جريان الدم في عروقها، ويبصر ما تحت الأرضين السبع كما يبصر ما فوق السموات السبع، ويرى تبارك وتعالى تقلبات الأجفان، وخيانات العيون...ثم إن لهذا الاسم العظيم مقتضياته من الذل والخضوع ودوام المراقبة والإحسان في العبادة والبعد عن المعاصي والذنوب..

قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «راود رجل امرأة في فلاة ليلا، فأبت، فقال لها: ما يرانا إلا الكواكب، قالت: فأين مُكوكبُها؟!».

أي: ألا يرانا، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ١٤﴾ [العلق: ١٤] وكفى بهذا زاجرا ورادعا» «فقه أسماء الله الحسنى»

﴿١٤﴾ [العلق: ١٤] هذا أكبر رادع.

ولهذا ترى أنَّ في القرآن الكريم آياتٌ كثيرةٌ تُختم بـ: ﴿وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾، ﴿بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ﴾، ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾.

فكلما ذكَّر الإنسان نفسه بذلك ردعه وزجره، «من كان بالله أعرف كان له أخوف»[1] كما قال ذلك أهل العلم رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ.

الثاني: الدعاء[2].

أن تكثر من الدعاء، ولا سيما التَّعوذ بالله من الشرور، ومن الدعوات المأثورة الثابتة في هذا المقام:

قوله ﷺ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ سمعي، وَمِنْ شَرِّ بصري، وَمِنْ شَرِّ لساني، وَمِنْ شَرِّ قلبي، وَمِنْ شَرِّ منيي**»[3].

(ص ١٥٦-١٦٠) باختصار.

(١) هو من قول أبي عبد الله الأنطاكي كما في الرسالة للقشيري (ص:١٤١).

(٢) قال شيخنا عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر حفظه الله:

«الدعاءُ شأنُه في الإسلام عظيمٌ، ومكانتُه فيه ساميةٌ، ومنزلتُه منه عالية؛ إذ هو أجلُّ العبادات وأعظمُ الطاعات وأنفعُ القربات، ولهذا جاءت النصوصُ الكثيرةُ في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ المبيِّنةُ لفضله والمُنَوِّهةُ بمكانته وعظم شأنه، والمرغِّبةُ فيه والحاثَّةُ عليه، وقد تنوَّعت دلالاتُ هذه النصوص المبيِّنة لفضل الدعاء، فجاء في بعضها الأمرُ به والحثُّ عليه، وفي بعضها التحذير من تركه والاستكبار عنه، وفي بعضها ذكرُ عِظم ثوابه وكبر أجره عند الله، وفي بعضها مدحُ المؤمنين لقيامهم به، والثناءُ عليهم بتكميله، وغيرُ ذلك من أنواع الدلالات في القرآن الكريم على عظم فضل الدعاء» «فقه الأدعية والأذكار» (١/ ٢٧٣).

(٣) رواه أبو داود (١٥٥١) والترمذي (٣٤٩٢) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٣٩٩).

قال في «عون المعبود شرح سنن أبي داود» (٤/ ٢٨٦): «(من شر سمعي) حتى لا أسمع به ما تكرهه، (ومن شر بصري): **حتى لا أرى شيئا لا ترضاه**، (ومن شر لساني): حتى لا أتكلم بما لا يعنيني، (ومن شر قلبي):

هذا من الدعاء المأثور الثابت عن النبي ﷺ، فتعتني بهذا الدعاء، ومما ثبت أيضا قوله ﷺ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ مُنْكَرَاتِ الأَخْلاَقِ وَالأَعْمَالِ وَالأَهْوَاءِ**»(١).

الأمر الثالث: اجتناب مواطن الفتنة أن تغلق المنافذ التي تعرف أنها توصلك إلى الشرِّ والفتنة، اغلق المنافذ لا تلق نفسك في موارد الفتن، ثم تطلب السلامة، بل تجنّب أماكنها(٢).

حتى لا أعتقد اعتقادا فاسدا ولا يكون فيه نحو حقد وحسد، وتصميم فعل مذموم أبدا، (ومن شر منيي): وهو أن يغلب المني عليه حتى يقع في الزنى أو مقدماته، يعني من شر فرجه وغلبة المني علي حتى لا أقع في الزنى **والنظر إلى المحارم**.

وقيل: هو جمع المنية بفتح الميم أي من شر الموت أي قبض روحه على عمل قبيح».

(١) رواه الترمذي (٣٥٩١) وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٢٩٨).

(٢) فاحذر أخي من الأماكن التي تعرف أنها أماكن يكثر فيها النساء وبخاصة المتبرجات، كالأماكن المختلطة والأسواق وغيرها، وهذا من أخذ الأسباب في اجتناب مواضع الفتن.

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى: «ولا ريب أن تمكين النساء من اختلاطهن بالرجال أصل كل بلية وشر، وهو من أعظم أسباب نزول العقوبات العامة، كما أنه من أسباب فساد أمور العامة والخاصة، واختلاط الرجال بالنساء سبب لكثرة الفواحش والزنا، وهو من أسباب الموت العام والطواعين المتصلة.

ولما اختلط البغايا بعسكر موسى وفشت فيهم الفاحشة أرسل الله عليهم الطاعون، فمات في يوم واحد سبعون ألفا والقصة مشهورة في كتب التفاسير.

فمن أعظم أسباب الموت العام: كثرة الزنا بسبب تمكين النساء من اختلاطهن بالرجال، والمشي بينهم متبرجات متجملات، ولو علم أولياء الأمر ما في ذلك من فساد الدنيا والرعية قبل الدين لكانوا أشد شيء منعا لذلك» «الطرق الحكمية في السياسة الشرعية» (ص٤٠٨).

وقد يلبّس الشيطان على بعضهم فيزور مثل هذه الأماكن بحجة قوة إيمانه - زعم - ثم ما يلبث إلا قليلا فتجده قد أثرت فيه فتنة النساء أيما تأثير والعياذ بالله، وكان الأسلم له أن لا يلج هذه الأماكن أصلا.

قال الله تعالى: ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ۝٢٨﴾ [النساء:٢٨].

قال سفيان الثوري رَحِمَهُ اللَّهُ في قوله تعالى: ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ «المرأة تمر بالرجل فلا يملك نفسه عن النظر إليها، ولا ينتفع بها فأي شيء أضعف من هذا» «ذم الهوى» (ص٨٩) للإمام ابن الجوزي رحمه الله تعالى.

الأمر الرابع: الاهتمام بالعبادة

اهتم بالعبادة[١]، بكِّر للمسجد ولا تسرع في الخروج منه، وأكثر من ذكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ .

ومن اللطائف الجميلة التي لم أتنبه إليها إلا اليوم[٢]، ولم أكن على علم بها أنه لما «**كَتَبَ مُعَاوِيَةُ إِلَى الْمُغِيرَةِ اكْتُبْ إِلَيَّ مَا سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ إِنَّ نَبِي اللهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلاَةٍ «لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، اللَّهُمَّ لاَ مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلاَ مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلاَ يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ**». **وَكَتَبَ إِلَيْهِ إِنَّهُ ﷺ: «كَانَ يَنْهَى عَنْ قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةِ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةِ الْمَالِ، وَكَانَ يَنْهَى عَنْ عُقُوقِ الأُمَّهَاتِ وَوَأْدِ الْبَنَاتِ وَمَنْعٍ وَهَاتِ**»[٣].

فسبحان الله هذه لطيفة عجيبة يُتَنَبَّه لها: إذا صليتَ وذكرتَ اللهَ، ومنَّ الله

وقال طاووس رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن هذه الآية ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾: «قال إذا نظر إلى النساء لم يصبر» ذكره الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «روضة المحبين ونزهة المشتاقين» (ص ٢٠٣).

(١) ومن أجمع التعاريف لها ما عرفها به شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه إذ قال: «العبادة: هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة، فالصلاة والزكاة والصيام والحج، وصدق الحديث وأداء الأمانة، وبرّ الوالدين وصلة الأرحام، والوفاء بالعهود والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد للكفار والمنافقين، والإحسان للجار واليتيم والمسكين وابن السبيل والمملوك من الآدميين والبهائم، والدعاء والذكر والقراءة وأمثال ذلك من العبادة.

وكذلك حب الله ورسوله، وخشية الله والإنابة إليه، وإخلاص الدين له والصبر لحكمه والشكر لنعمه، والرضا بقضائه والتوكل عليه والرجاء لرحمته والخوف من عذابه، وأمثال ذلك هي من العبادة لله.

وذلك أن العبادة لله هي الغاية المحبوبة له، والمرضية له التي خَلق الخلق لها كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذريات:٥٦]..» « العبودية» (ص٤٤).

(٢) أي: يوم الثلاثاء ١٨ جمادى الأولى ١٤٣٣هـ.

(٣) رواه البخاري (٧٢٩٢) ومسلم (١٣٣٨).

سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ عليك بهذه النعمة العظيمة، والمنة الكبيرة، احذر، صلَّيتَ وذكرتَ الله وجئتَ بهذه الأذكار، ونهضت من المسجد، تذكَّر كان ينهى ﷺ عن قيل وقال(١)، وكثرة السؤال(٢)، وإضاعة المال(٣)، وكان ينهى عن عقوق الأمهات(٤) ووأد البنات(٥) ومنع وهات(٦).

فالصلاة(٧) شأنها عجيب خاصة لمن يبكِّر إلى المسجد، ويطمئن في صلاته، ويأتي بالأذكار الواردة الثابتة، ثم يقوم بهذه الطمأنينة، وبهذا السكون يكون له النصيب الوافر من قوله تعالى: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ [البقرة:٤٥].

---

(١) هو الخوض في أخبار الناس وحكايات مالا يعني من أحوالهم وتصرفاتهم.

(٢) قيل: الاكثار من السؤال عما لم يقع، ولا تدعو إليه حاجة، وقيل المراد به سؤال الناس أموالهم وما في أيديهم.

(٣) فهو صرفه في غير وجوهه الشرعية وتعريضه للتلف.

(٤) اقتصر هنا على الأمهات لأن حرمتهن آكد من حرمة الآباء.

(٥) هو دفنهن في حياتهن فيمتن تحت التراب وهو من الكبائر الموبقات لأنه قتل نفس بغير حق ويتضمن أيضا قطيعة الرحم وإنما اقتصر على البنات لأنه المعتاد الذي كانت الجاهلية تفعله.

(٦) نهى أن يمنع الرجل ما توجه عليه من الحقوق أو يطلب مالا يستحقه.

استفدته من «شرح النووي على صحيح مسلم» (١٢/ ١٢ ـ ١٣).

(٧) قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُٱللَّهُ: «الصلاة مجلبةٌ للرزق، حافظة للصحة، دافعة للأذى، مطردة لـلأدواء، مقوِّية للقلب، مبيِّضة للوجه، مُفْرِحةٌ للنفس، مُذهبة للكسل، منشِّطةٌ للجوارح، ممدَّة للقُوَى، شارِحة للصَّدر، مغذِّية للروح، مُنوِّرة للقلب، حافِظةٌ للنعمة، دافعة للنقمة، جالِبة للبركة، مُبعِدة من الشيطان، مُقرِّبة من الرحمن.

وبالجملة.. فلها تأثير عجيب في حفظ صحة البدن والقلب، وقواهما، ودفع المواد الرديئة عنهما، وما ابتُلى رجلان بعاهةٍ أو داءٍ أو مِحنةٍ أو بَليةٍ إلا كان حظُّ المُصَلِّى منهما أقلَّ، وعاقبتُه أسلم.

وللصلاة تأثيرٌ عجيب في دفع شُرور الدنيا، ولا سِيَّما إذا أُعطيت حقها من التكميل ظاهراً وباطنـاً، فما استُدْفِعَتْ شرورُ الدُّنيا والآخرة، ولا استُجْلِبَت مصالِحُهُمَا بمثل الصلاة، وسِرُّ ذلك أنَّ الصلاة صِلةٌ بالله عَزَّوَجَلَّ، وعلى قدر صِلَةِ العبد بربه عَزَّوَجَلَّ تُفتح عليه من الخيرات أبوابُها، وتُقطعُ عنه من الشرور أسبابُها، وتُفِيضُ عليه موادَ التوفيق مِن ربه عَزَّ وجَلَّ، والعافية والصحة، والغنيمة والغِنى، والراحة والنعيم، والأفراح والمسرَّات، كلها محضرةٌ لديه، ومسارِعةٌ إليه» «زاد المعاد في هدي خير العباد» (٤/ ٣٣٢).

الأمر الخامس: الرفقة الصالحة[١].

أن تحرص على الرفقة الصالحة، وأن تحذر من رفقاء السوء، فإن الصاحب ساحب، وفي رفيقه مؤثر، فاحذر من الرفقة، فكم من رفقة أعقبت رفيقها وأهلكته، وأوردته الموارد، ولهذا قال ﷺ: «**الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ**»[٢].

---

(١) عَنْ أَبِي مُوسَى رضى الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالسَّوْءِ كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ، فَحَامِلُ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الْكِيرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً**» رواه البخاري (٥٥٣٤) ومسلم (٦٦٩٢).

(٢) رواه الإمام أحمد بهذا اللفظ (٨٤١٧)، ورواه أبو داود (٤٨٣٣) والترمذي(٢٣٧٨) بلفظ: (الرجل على دين خليله). وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٣٥٤٥).

قال العلامة عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«من أعظم نعم الله على العبد المؤمن: أن يوفقه لصحبة الأخيار، ومن عقوبته لعبده: أن يبتليه بصحبة الأشرار.

صحبة الأخيار توصل العبد إلى أعلى عليين، وصحبة الأشرار توصله إلى أسفل سافلين.

صحبة الأخيار توجب له العلوم النافعة، والأخلاق الفاضلة، والأعمال الصالحة، وصحبة الأشرار تَحْرِمُه ذلك أجمع: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾﴾ [الفرقان: ٢٧ - ٢٩]» «بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار» (ص ١٨٩).

وفيه كلام جميل ذكره الإمام القرطبي في فضل الصحبة الصالحة عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ۖ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ ۚ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾﴾ [الكهف].

فقال: «إذ كان بعض الكلاب قد نال هذه الدرجة العليا بصحبته ومخالطته الصلحاء والأولياء حتى أخبر الله تعالى بذلك في كتابه جَلَّ وَعَلَا، فما ظنك بالمؤمنين الموحدين، المخالطين المحبين للأولياء والصالحين، بل في هذا تسلية وأنس للمؤمنين المقصرين عن درجات الكمال، المحبين للنبي ﷺ وآله خير آل» «الجامع لأحكام القرآن» (١٠/ ٣٧٢).

قلت: ومن فقه شيخنا عبد الرزاق العباد حفظه الله إشارته إلى خطر القنوات الفضائية ومواقع الانترنت

وإذا قيل: احذر رفقة السوء، فإنه في زماننا هذا قد استجد نوع جديد من الرفقة والأصحاب لم يكن له وجود من قبل، وهو مصاحبة الإنسان للقنوات الفضائية ومواقع الانترنت، فهذه أصبحت رفيقا لكثير من الناس، يجلس معهم الأوقات الطويلة والساعات الكثيرة، وإذا كانت تلك المواقع أو تلك القنوات التي يشاهدها ويستمع إلى ما فيها مواقع ذات شبهات أو إثارة للشهوات، فما أعظم هذا الأمر لمن يصاحب تلك القنوات وتلك المواقع.

❒❒❒❒❒❒❒❒❒

وجعلها كرفقاء السوء، وقد أشار فضيلته إلى خطرها في مقال آخر بعنوان: «خطورة القنوات الفضائية» فقال:

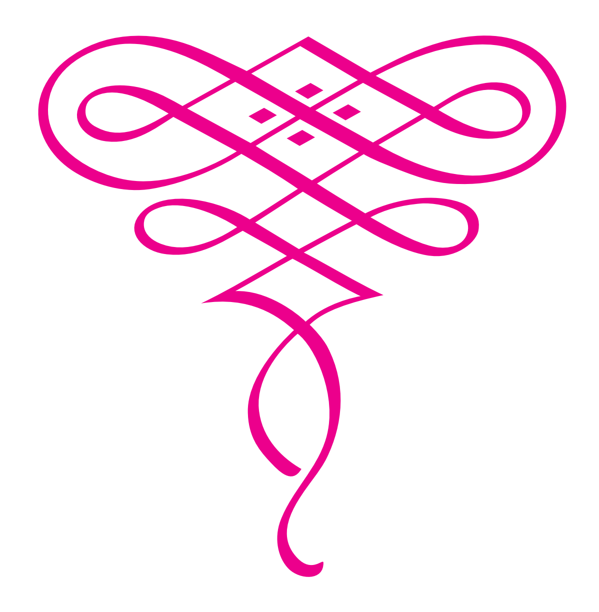
«إنَّ من يتأمل الأضرار والأخطار التي يجنيها من يشاهد ما يبثّه هؤلاء، يجدها كثيرة لا تحصى وعديدة لا تستقصى، أضرار عقائدية، وأضرار اجتماعية، وأضرار أخلاقية، وأضرار فكرية ونفسية، فمن الأضرار العقائدية خلخلة عقائد المسلمين والتشكيك فيها ليعيش المسلم في حيرة واضطراب، وشك وارتياب، وإضعاف عقيدة الولاء والبراء والحب والبغض ليعيش المسلم منصرفا عن حب الله وحب دينه وحب المسلمين إلى حب زعماء الباطل ورموز الفساد ودعاة المجون، إضافة إلى ما فيها من دعوات صريحة إلى تقليد النصارى وغيرهم من الكفار في عقائدهم وعاداتهم وتقاليدهم وأعيادهم وغير ذلك.

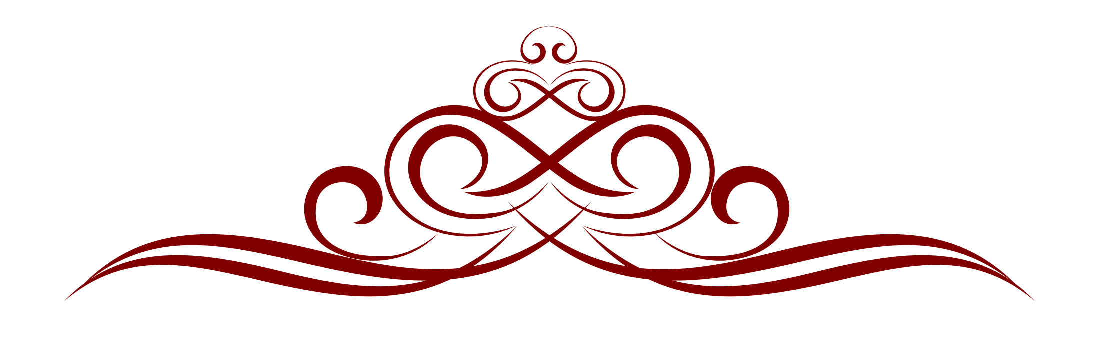
ومن الأضرار الاجتماعية والأخلاقية ما تبثه تلك القنوات الآثمة من الدعوة إلى الجريمة بعرض مشاهد العنف والقتل والخطف والاغتصاب، والدعوة إلى تكوين العصابات للاعتداء والإجرام، وتعليم السرقة والاحتيال والاختلاس والتزوير، والدعوة إلى الاختلاط والسفور والتعري وتشبه الرجال بالنساء والنساء بالرجال، والدعوة إلى إقامة العلاقات الجنسية الفاسدة لتشيع الفاحشة وتنتشر الرذيلة..

ناهيك عما تسببه تلك المشاهدات من إضاعة الفرائض والواجبات وإهمال للطاعات والعبادات، ولا سيما الصلوات الخمس التي هي ركن من أركان الإسلام، إلى غير ذلك من الأضرار والأخطار التي يصعب حصرها ويطول عدها ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ﴿١٧﴾﴾ [الطارق]» «الفوائد المنثورة» (ص١١٤-١١٥).

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

❒❒❒❒❒❒❒❒❒





حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ

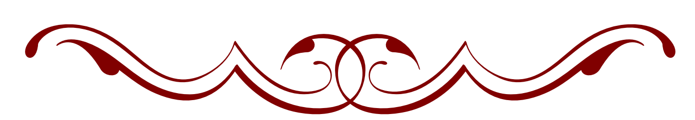
قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا

الشيخ

عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر

اعتنى بها وعلق عليها

أبو عبد العزيز منير الجزائري



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة المعتني:

الحمد لله عَظِيمِ الإحسان، وَاسِع الفَضْل والجُود والامْتِنَان، أَحْمَدُه سبحانه على جَزِيل نَعْمَائه وَوَافِر فَضْلِه وكَرِيم عَطَائه، وَأَشْهَد أَنْ لا إِلَه إِلَّا الله الحَقّ المُبين، وأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُه ورَسُوله الدَّاعي إِلَى صِرَاطِ الله المُسْتقيم، صَلَّى الله عليه وَعَلَى آله وَصَحْبِه أَجْمَعين إلى يَوْم الدِّين.

أَمَّا بَعْدُ:

فَهَذِه كَلِمَةٌ مُخْتَصَرَةٌ لشيخنا عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر حفظه الله عَنْ مُحَاسَبَة النَّفْس وأهميتها وطُرُقها، أَلْقَاهَا أَثْنَاء زيارته للجزائر (وهران في ١٢ جمادى الأولى ١٤٣٤ هـ).

فاسْتَأْذَنْتُ الشيخ في تَفْرِيغِها مَعَ التَّعْلِيق عَلَى بَعْض المَوَاضِع مِنْها (يوم الأربعاء ٧ جمادى الآخرة ١٤٣٤هـ)، فما كان مِنَ الشيخ إِلَّا المُوَافقة فجزاه الله خير الجزاء.

إِنَّ مِنَ الأخلاق النَّبيلة والخِصَال الجَلِيلَة: مُحَاسَبَةُ النَّفْس، فَقَدْ وَرَدَ الحَثُّ عليها في العَدِيد مِنَ النُّصُوص الشَّرعيَّة (آيات قرآنية وأحاديث نبوية) وآثار سلفية.

أَمَّا مُحَاسَبَةُ النَّفْس نَوْعان: نَوْعٌ قبل العَمَل، وَنَوْعٌ بعده.

فَأَمَّا النَّوْعُ الأَوَّل: فَهُو أَنْ يقف عِنْدَ أَوَّل هَمِّه وإرادته، وَلَا يُبَادِر بالعمل حَتَّى يَتَبَيَّن له رُجْحانه على تركه...

وَأَمَّا النَّوْعُ الثَّانِي: فهو مُحَاسَبَةُ النَّفْس بعد العمل وهو ثلاثة أنواع :

أَحَدُهَا: مُحَاسَبَتُها على طاعةٍ قَصَّرَت فيها مِنْ حَقِّ الله تعالى فَلَمْ تُوقِعها عَلَى الوجه الذي ينبغي..

الثَّانِي: أَنْ يُحَاسِبَ نَفْسَهُ على كُلِّ عَمَل كَانَ تَرْكُه خَيْرًا له مِنْ فِعْلِه.

الثَّالِثُ: أَنْ يُحَاسِب نَفْسَه على أمرٍ مُبَاح أو مُعْتاد: لِمَ فَعَلَه وهل أراد به الله والدَّار الآخرة فَيَكُون رَابِحًا أَوْ أَرَاد به الدُّنيا وعاجِلَها فَيَخْسِر ذلك الرِّبح ويَفُوته الظَّفر به [١]

وَلِمُحَاسبة النَّفس فَوَائِدُ عديدة ذكرها الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ فقال:

« وَفِي مُحاسبة النَّفس عِدَّةُ مصالح منها :

الاطِّلَاعُ على عُيُوبِهَا ومَنْ لَمْ يطَّلع عَلَى عيب نَفْسه لَمْ يمكنه إزالته فإذا اطَّلَع على عَيْبِها مَقَتَها في ذات الله تعالى... وَمَقْتُ النَّفْسِ في ذات الله مِنْ صِفَات الصِّدِّيقِين، وَيَدْنُو العبدُ به مِنَ الله تعالى في لَحْظَةٍ وَاحِدَةٍ أَضْعَاف أَضْعَافَ ما يَدْنُو بالعمل..

وَمِنْ فَوَائِدِ مُحَاسَبَة النَّفْس: أَنَّهُ يَعْرِفُ بذلك حَقَّ الله تعالى، وَمَنْ لَمْ يَعْرِف حَقَّ الله تعالى عليه فَإِنَّ عبادته لا تَكَادُ تُجْدِي عَلَيْه وَهِيَ قَلِيلَةُ المَنْفعة جِدًّا... فَمَنْ نَظَرَ في هذا الحقِّ الَّذي لربِّه عليه عَلِمَ عِلْمَ اليَقِين أَنَّه غير مُؤَدٍّ له كَمَا يَنْبَغي، وَأَنَّه لا يَسَعُهُ إِلَّا العَفْو والمَغْفِرة، وأَنَّه إِنْ أُحِيل على عمله هلك، فَهَذَا مَحَلُّ نَظَرِ أهل المعرفة بالله تعالى وبنفوسهم، وهذا الَّذي أَيْأَسهم مِنْ أَنْفُسِهم وعلَّق رَجَاءَهم كُلّه

(١) «إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان» (١/ ٨١) باختصار.

بِعَفْـو الله وَرَحْمَتِه...

وَمِـنْ فَوَائِـد نَظَـرِ العبـد في حـقِّ الله عليـه أَنْ لا يتركـه ذلـك يـدل بعمـل أَصْـلًا كَائِنًـا مَا كان وَمَـنْ أدل بعملـه لَـمْ يَصْعَـدْ إلـى الله تعالـى »[1]

وفي الختـام إنْ كان مِـنْ جُهْـد يُذْكـر في هـذه الرِّسـالة فَإِنَّمـا هُوَ مِنَ الشَّـيخ أَمَّـا الجامع لهـا، فَمَـا كَانَ مِنِّـي إِلَّا التَّهذيـب و التَّرتيـب ، والتَّوثيـق والتَّدقيـق ، بَـلْ حَاوَلْـتُ المُحَافَظَـة على كلام الشَّـيخ بِحُرُوفِـه إِلَّا مَـا يَقْتَضِيـه المَقَـامُ مِـنْ إِضَافَـة مَـا يُربط بـه الـكَلَام لِتَمَـام المَعْنـى، وَكَان الغَالِـبُ في ذلـك بالرُّجُـوع إلـى مُؤَلَّفاته حفظـه الله، كَمَّا أَنِّـي قُمْـتُ بالتَّعليـق على بعض المـواضع مع إضافة بعـض الفـوائد التـي أَرَاهَا نافعة، وَسـمَّيْتُهَا: «**حاسـبوا أنفسـكم قبـل أن تحاسـبوا**»[2] والله الموفـق.

مُحِبُّكُم فِي الله

أبو عبد العزيز منير الجزائري

abou -abdelaziz @hotmail .fr

(١) «إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان» (١/ ٨٤) باختصار.

(٢) فقد ورد عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: «**حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا**، وَزِنُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُوزَنُوا، وَتَزَيَّنُوا لِلْعَرْضِ الْأَكْبَرِ، يَوْمَ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ» رواه ابن المبارك في الزهد (٣٠٦)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٣٤٤٥٩)، وابن أبي الدنيا في محاسبة النفس (٢).

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨﴾ [الحشر: ١٨](1)

في الآية الكريمة أَعْظَمُ حثٍّ على مُحَاسبة النَّفْس، بل إِنَّها مِنْ أعظم الآيات في هذا الباب.

وَأَنْفَعُ ما تكون المُحَاسَبَةُ للنَّفس بِأَنْ يُذَكِّر المرءُ نفسه مَاذَا أَعَدَّ لغدٍ: ﴿وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖ﴾

تَنْظُرُ في ذلك اليوم أيَّ شيء قَدَّمَتْ له.

وهذا الغَد(2) بالنسبة لكل واحد مِنَّا أمره مجهول، قَدْ يَكُون الغَدّ المذكور في الآية يأتي الإنسان بعد يوم، وقد يكون بعد يومين، وقد يكون بعد شهر، وقد يكون بعد شهرين أو سنة أو أكثر...أَمْرٌ لا يعلمه الإنسان، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي

---

(١) قال العلامة عبد الرَّحْمن السَّعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «هذه الآية الكريمة أصل في محاسبة العبد نفسه، وأنه ينبغي له أن يتفقَّدَها، فإن رأى زللا تداركه بالإقلاع عنه، والتَّوبة النَّصوح، والإعراض عن الأسباب الموصلة إليه، وإن رأى نفسه مقصِّرًا في أمرٍ من أوامر الله، بَذَلَ جُهْده واستعان بربِّه في تكميله وتتميمه، وإتقانه، ويقايس بين مِنَنِ الله عليه وإحسانه وبين تقصيره، فإنَّ ذلك يوجب له الحياء بلا محالة» «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان» (ص ٨٥٣).

(٢) «قيل: ذَكَرَ الغدّ تنبيها على أَنَّ السَّاعة قريبة؛ كما قال الشاعر: **وَإِنَّ غَدًا للنَّاظِرِين قَرِيبُ**

وقال الحسن وقتادة: قَرَّب السَّاعة حتَّى جعلها كغد.

ولا شك أَنَّ كُلَّ آتٍ قريب؛ والموت لا محالة آت» «الجامع لأحكام القرآن» (١٨/ ٤٣).

نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ ﴿٣٤﴾ [لقمان: ٣٤]

ولهذا فإنَّ من تمام محاسبة النَّفس فيما يتعلَّق **بتقوى الله**[1] أَنْ يُحقِّق ما جاء في الحديث: «عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ أَخَذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِمَنْكِبِي فَقَالَ: « **كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ، أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ** » .

وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: «إِذَا أَمْسَيْتَ فَلاَ تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلاَ تَنْتَظِرِ الْمَسَاءَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ»[2].

وبهذه المُحَاسَبَة الدَّقِيقة للنَّفس، عَمَلًا بالطَّاعات وتجنُّبًا للمَنْهيات يكون بذلك قد تزوَّد بخير زاد وهو التقوى، كما ورد في قول الله تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿١٩٧﴾﴾ [البقرة: ١٩٧]

والمُحَاسَبَةُ للنَّفس تَكُونُ بِنَظَرِ العَبْدِ إلى أَعْمَالِه التي يَقُومُ بِهَا في أَيَّامِه وَلَيَالِيه، وَهَلْ هَذِه الأَعْمَال يَسُرُّه أَنْ يلقى الله سبحانه وتعالى بها أم لا؟

فَيَنظُرُ إلى أعماله بدءًا بفرائض الدِّين وَوَاجِبَات الإسلام، وأيضا فيما يَتَعَلَّق بالمَنْهِيَات: الأُمُور الَّتِي حرَّمها الله سبحانه وتعالى على عباده، ثُمَّ بعد ذلك يرتقي إلى الرَغَائِب والمُسْتَحَبَّات، لكن تكون المحاسبة بالدَّرجة الأولى فيما يَتَعلَّق

---

(١) قال العلامة محمد الأمين الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «في هذه الآية الكريمة (أي: [الحشر: ١٨]) **حثٌّ على تقوى الله** في الجملة، واقترنت بالحثّ على النّظر والتأمّل فيما قدّمت كُلُّ نفس لغد، وتكرّر الأمرُ فيها **بتقوى الله** مِمَّا يَدُلُّ على شِدَّة الاهتمام والعناية **بتقوى الله** » «أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن» (٨/ ٤٩).

(٢) رواه البخاري (٦٤١٦).

قال الإمام ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن هذا الحديث: «وهذا الحديث أصلٌ في قِصَر الأمل في الدنيا، وأنَّ المؤمنَ لا ينبغي له أن يتَّخذ الدُّنيا وطنًا ومسكنًا، فيطمئنّ فيها، ولكن ينبغي أنْ يكونَ فيها كأنَّه على جناح سفر: يُهَيِّئُ جهازَه للرَّحيل» «جامع العلوم والحكم» (ص٣٧٩).

بواجبات الدِّين وفرائض الإسلام[١].

مِنَ المُحَاسَبَة للنَّفس: أَنْ تَنْظُرَ إلى صلاتك الَّتي افْتَرَضَها الله عليك، هَلْ أَنْتَ تُؤَدِّيها بِشُرُوطها، أَرِكَانها، وَاجِبَاتِها، في أوقاتها، مع جماعة المسلمين[٢]..

تَنْظُر في واجبات الدِّين الأُخرى، تَنْظُر أيضا في الأُمُور الَّتي نهى الله سبحانه وتعالى عباده عنها، هل حَقَّقْتَ المأمور فِعْلًا له، والمنهي تَجَنُّبًا وتَرْكًا أم لديكَ تقصيرٌ وإخلال؟!

فَإِذَا حَاسَبَ المَرْءُ نَفْسَه ودَقَّق في أعماله، إِنْ وَجَدَ خَيْرًا يحمدُ الله وَيَسْأله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ الثَّبات عليه، وَإِن وَجَدَ خِلَاف ذلك فالفُرْصَةُ له مواتية بِأَنْ يَتُوب مادام هو في دار العمل، أَمَّا يوم القيامة فقد جاء في الحديث القدسي: «**يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِي أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللهَ وَمَنْ**

---

(١) قال شيخنا عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر حفظه الله:

«حاسب نفسك في باب الأوامر وباب النواهي، في باب الأوامر؛ اعرض الأوامر التي وردت في الكتاب والسنة على نفسك، هل فعلت هذه الأوامر أم لم تفعلها؟

وفي باب النواهي؛ أوقف النفس عند النهي، هل تركت وابتعدت عن الأمور التي نهى الله عنها والتي توجب العقوبة والغضب والسخط من الله سبحانه وتعالى » «شرح المنظومة الميمية في الوصايا والآداب العلمية» (٢٤٥).

(٢) رحم الله الإمام ابن القيم لمَّا قال: « لاَ رَيْبَ أَنَّ الصَّلاَةَ قُرَّةُ عُيون المُحِبِّين، وَ لَذَّةُ أَرْوَاح المُوَحِّدين، وَبُسْتان العابدين، وَ لَذَّةُ نُفُوس الخَاشِعِين، وَ مَحَكُّ أحوال الصَّادقين، و ميزانُ أحوال السَّالكين وهي رحمةُ الله المهداة إلى عباده المُؤْمنين» « أسرار الصلاة» (ص٢٢٨).

تَنْبِيهٌ: مثَّل شيخُنا بالصَّلاة لِعِظَم مَنْزِلَتها في الإسلام، وإن كانت المُحَاسبة تُنَزَّل على باقي شرائع الإسلام، والله الموفق.

ولشيخنا كتاب ماتع ومصنف نافع حول موضوع الصلاة بعنوان:«تَعْظِيمُ الصَّلَاةِ»، فانظره غير مأمور.

وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلاَ يَلُومَنَّ إِلاَّ نَفْسَهُ »(١)

لأنَّ مَجَال التَّوبة ليس مُتَأَتِّيًا لَكِن مَا دَام العَبْد في دار العمل فَإِنَّ الفُرْصة مُوَاتِيَة له لِأَنْ يَتُوب ويُنِيب وَيَعُود إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ(٢).

في بَابِ **المُحَاسَبَة للنَّفْسِ** يُذْكَرُ في ترجمة غير واحد من السَّلف أنَّه لو قِيلَ له: إِنَّ مَلَكَ المَوْتِ بِبَابِك (أي: وصل لقبض روحك) مَاذَا تُرِيد؟

لَمْ يَكُن عِنْدَهُ مَزِيدُ عَمَل(٣)، لأنَّهُ في كلِّ الْأُمُور مُنْتظم: في المُحَافَظَة عليها وأَدَائِها، لَكِنْ مِنَ النَّاس لَو قُدِّرَ وَقِيلَ لَهُ: مَلَكُ المَوْتِ بِبَابِك جَاءَ لِقَبْضِ رُوحك، مَاذَا تُرِيد؟

يَجِدُ أَمَامَهُ أُمُورًا كَثِيرَةً، يَقُول: والله عِنْدِي مظالم كثيرة.. في أَمْوَالٍ ليستْ لي

---

(١) رواه مسلم (٢٥٧٧).

(٢) مِمَّا وَرَدَ مِنْ نُصُوصٍ في تَحْدِيد وَقْتِ التَّوْبَة:

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: « **إِنَّ اللهَ يَقْبَلُ تَوْبَةَ الْعَبْدِ مَا لَمْ يُغَرْغِرْ**» رواه الترمذي (٣٨٨٠) وابن ماجة (٤٢٥٣) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١٩٠٣).

عَنْ أَبِي مُوسَى عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: « **إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا**» رواه مسلم (٢٧٥٩)

(٣) ذكر الإمام الذهبي رَحِمَهُ اللهُ في كتابه «سير أعلام النبلاء» أمثلة كثيرة في ذلك منها:

«قال بكير بن عامر رَحِمَهُ اللهُ: كان لو قيل لـ(عبدالرحمن بن أبي نعم): قَدْ توجَّه إِلَيْك مَلَكُ المَوْت مَا كَان عِنْدَه زِيَادة عَمَل، وَكَان يَمْكُثُ جُمُعَتَين لا يأكل» (٥/ ٦٢).

«عن أنس بن عياض رَحِمَهُ اللهُ قال: رأيتُ صفوان بن سليم رَحِمَهُ اللهُ ولو قيل له: غَدًا القيامة، ما كان عِنْده مَزِيدُ على مَا هُو عَلَيْه مِنَ العِبَادَة» (٥/ ٣٦٦).

«قال هشيم رَحِمَهُ اللهُ: كان منصور بن زاذان رَحِمَهُ اللهُ لو قيل له: إِنَّ مَلَكَ المَوْت على الباب مَا كَانَ عِنْدَه زِيَادَة في العمل» (٥/ ٤٤٢).

أَخَذْتُهـا، في صَلَـوَاتٍ مُقَصَّرٌ فيهـا، في أشـخاص آذيتهـم.. أُرِيـدُ طَلَـبَ العَفْـوِ مِنْهُـمْ..
﴿لَعَلِّىٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ١٠٠﴾ [المؤمنون: ١٠٠]

أُمُورٌ كَثِيرة يُرِيدُ التَّخَلُّص مِنْهَا في تلك اللَّحظة، لَكِنَّ الموت يأتي فَجْأَة، وهُنَا يَظْهَرُ دور المحاسبة وأهميتها في حياة المسلم[١].

وَلَا يَزَالُ العبدُ بِخَيْرٍ ما كَانَ مُحَاسِبًا لنفسه، يَنْظُر في أعماله التي يُبَاشِرُها في أيَّامه ولياليه، وَيَنْظُر النَّظْرة الأخرى في مدى موافقتها للشَّرع أَوْ بُعْدُها عنه[٢].

فالمُوَافق للشَّرْع يَحْمَد الله تعالى، ويَسْأَلُهُ الثَّبَات، والمُخَالفُ يَبْدَأُ في مُجَاهَدَة النَّفْس في البُعْد عَنْ ذلك، والتَّوْبَة والإنابة إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

ولا شك أَنَّ النَّفس تحتاجُ إلى جهاد[٣]، وتحتاجُ إلى مُتَابَعَة، وقد يَجِدُ الإِنْسَانُ في

---

(١) قال شيخنا عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر حفظه الله في كتابه «شرح المنظومة الميمية» (ص٢٣٨):
«ومِنَ الأخطاء الشَّائعة الدَّعوة إلى الثِّقة بالنَّفس، والثِّقة توكّل، بل هي خُلَاصَةُ التوكّل ولبّه، وهو لا يكون إلا بالله؛ وفي الدعاء المأثور:

« اللَّهُمَّ رَحْمَتَكَ أَرْجُو فَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ وَأَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ »؛ قال الشيخ محمد بن إبراهيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في جواب مَنْ سَأَلَ عَنْ قَوْلِ مَنْ قَالَ: تَجِبُ الثِّقَةُ بالنَّفس؟ قال: «لا تجب ولا تجوز الثقة بالنفس، في الحديث: « فَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ »» «فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن إبراهيم» (١/ ١٧٠)، وانظر «معجم المناهي اللفظية» للشيخ بكر أبو زيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ص١٨٥).

(٢) قال العلامة حافظ حكمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

بالشَّرْعِ زِنْ كُلَّ أمْرٍ ما هَمَمْتَ بِهِ ... فإنْ بَدَا صالحًا أقْدِمْ ولاتجِمِ

وانظر شرح شيخنا عبد الرزاق البدر لهذا البيت «شرح المنظومة الميمية» (ص٢٣٩)، ورسالته «المقالة المفيدة شرح حديث جامع في العقيدة» (ص٢٩)

(٣) انظر كلام شيخنا عبد الرزاق البدر عن جهاد النفس في كتابه «القطوف الجياد من حكم وأحكام الجهاد

بداية الأمر شيئًا مِنَ المَشَقَّة وشيئًا مِنَ الصُّعُوبة، وإذا مَضَى مُسْتَعِينًا بالله، بلغ بإذن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ مَبْلَغًا عَظِيمًا مُبَارَكًا في تزكيته لنفسه[1].

وهذه الكلمات هي تذكير لنفسي ولإخواني، من باب الذِّكْرَى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الذاريات:٥٥].

وَأَسْأل الله عَزَّوَجَلَّ أَنْ يُصْلح لَنَا أَجْمَعِين دِينَنَا الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِنا، وَأَن يُصْلِح لَنا دُنْيَانا الَّتِي فِيها مَعَاشُنا، وَأَن يُصْلِح لنا آخِرَتَنا الَّتِي فِيهَا مَعَادُنا، وَأَنْ يَجْعَل الْحَيَاةَ زِيَادَةً لنا فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَأَنْ يَجْعَلَ الْمَوْتَ رَاحَةً لَنا مِنْ كُلِّ شَرٍّ.

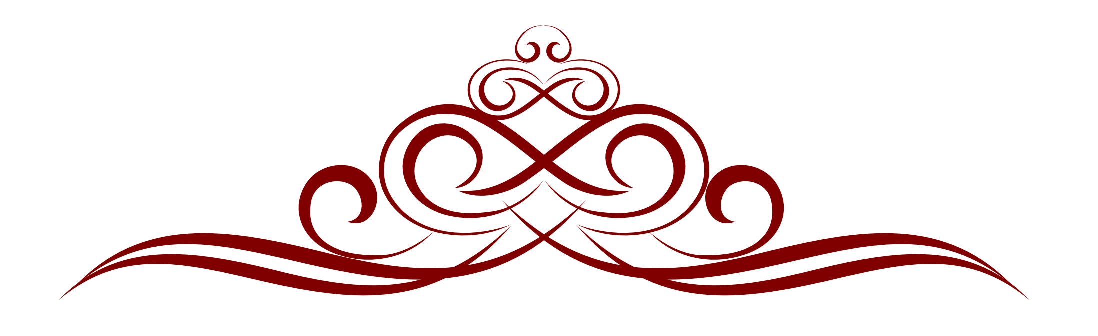
اللَّهُمَّ اغْفِر لنا ولوالدينا، وللمُسْلمين والمُسْلِمات، والمُؤْمِنِين والمُؤْمِنَات، الأَحْيَاء مِنْهم والأَمْوات، إِنَّه تَبَارَك وتعالى سميعٌ قريبٌ مجيبٌ، والله تعالى أعلم.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



» (ص٦) و «خطب ومواعظ من حجة الوداع» (ص٥٣).

(١) «العلم وأثره في تزكية النفوس» (ص١٩) لشيخنا عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر.



كِلمَات في مُنَاسَبَات

أصل هذه الكلمات: مطويات طُبعت في بعض المناسبات، ثم تقرر جمعها في رسالة واحدة ليسهل الرجوع إليها والانتفاع بها خاصة في الخطب وإلقاء الكلمات، والله الموفق.

الشيخ

عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر

اعتنى بها وعلق عليها

أبو عبد العزيز منير الجزائري



كَلِمَاتٌ فِي مُنَاسَبَاتٍ
وَصَايَا لِلشَّبَابِ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحَمْدُ للهِ الَّذِي خَلَقَ الإِنْسَانَ أَطْوَارًا وَفَضَّلَهُ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خلَقَ تَفْضِيلاً، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَه؛ أعَدَّ الجَنَّةَ لِعِبَادِهِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَا يَبْغُونَ عَنْها تَحْويلاً وَلَا يَرْضَوْنَ بِسِوَاهَا بَدِيلاً، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، وَصَفْوَتُهُ مِنْ خَلْقِهِ وخَلِيلُهُ، اصْطَفَاهُ رَبُّهُ فَأَقَامَ بِهِ المِلَّةَ وَكَمَّلَ بِهِ الأَخْلَاقَ تَكْمِيلاً، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ تَسَامَوْا إِلَى العُلَا شَبَابًا وَكُهُولاً، وَصَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ ومِنْهم مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً. **أَمَّا بَعْدُ:**

فَلَا يَخْفَى أَنَّ مَرْحَلَةَ الشَّبَابِ مَرْحَلَةٌ مُهِمَّةٌ جِدًّا فِي حَيَاةِ الإِنْسَانِ؛ لِأَنَّهَا مَرْحَلَةُ القُوَّةِ وَالنَّشَاط، وَسُهُولَةِ الحَرَكَةِ، وَقُوَّةِ الأَعْضَاءِ، وَسَلَامَةِ الحَوَاس، بَيْنَمَا إِذَا كَبُرَ الإِنْسَانُ تَضْعُفُ مِنْهُ حَوَاسُهُ وَقِوَاهُ.

وَقَدْ أَوْلَى الإِسْلَامُ هَذِهَ المَرْحَلَةَ اهْتِمَامًا خَاصًّا، وَرِعَايَةً عَظِيمَةً، وَجَاءَتْ النُّصُوصُ مُؤَكِّدَةً عَلَى عِظَمِ شَأْنِ هَذِهِ المَرْحلَةِ وَأَهَمِّيَّتِهَا، فَقَدْ حَثَّ نَبِيُّنَا ﷺ عَلَى المُبَادَرَةِ عَلَى اغْتِنَامِهَا، وَالحَذَرِ مِنْ إِضَاعَتِهَا.

فَعَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِرَجُلٍ وَهُوَ يَعِظُهُ: «**اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ**»(١).

فَمَرْحَلَةُ الشَّبَابِ دَاخِلَةٌ فِي عُمُومِ قَوْلِهِ ﷺ: «**وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ**»؛ لَكِنَّهُ

(١). أَخْرَجَهُ الحَاكِمُ فِي «المُسْتَدْرَك» (٧٨٤٦)، وَصَحَّحَهُ وَوَافَقَهُ الذَّهَبِي، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِي فِي «صَحِيح الجَامِع» (١٠٧٧).

ﷺ خَصَّ هَذِهِ المَرْحَلَةَ بِالذِّكْرِ لِعِظَمِ أَهَمِّيَّتِهَا وَكَبِيرِ شَأْنِهَا، فَيَنْبَغِي التَّيَقُّظِ لِذَلِكَ وَعَدَمِ التَّهَاوُنِ بِهَا.

وَعَنْ عَبْدِ الله بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**لَا تَزُولُ قَدَمَا ابْنِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ خَمْسٍ: عَنْ عُمْرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ شَبَابِهِ فِيمَا أَبْلَاهُ، وَمَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ، وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَمَاذَا عَمِلَ فِيمَا عَلِمَ**»(١).

فَأَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ المَرْءَ يُسْأَلُ يَوْمَ القِيَامَةِ عَنْ حَيَاتِهِ بِسُؤَالَيْنِ:

الأَوَّلُ: عَنْ حَيَاتِهِ عُمُومًا، مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى آخِرِهَا.

الثَّانِي: عَنْ مَرْحَلَةِ الشَّبَابِ خُصُوصًا، مَعَ أَنَّهُ إِذَا سُئِلَ عَنْ حَيَاتِهِ فَإِنَّ مَرْحَلَةَ الشَّبَابِ دَاخِلَةٌ فِيهَا؛ لَكِنَّهُ يُسْأَلُ يَوْمَ القِيَامَةِ عَنْهَا سُؤَالًا خَاصًّا.

وَلِهَذَا يَنْبَغِي عَلَى الشَّابِ أَنْ يَنْتَبِهَ لِأَهَمِّيَّةِ هَذِهِ المَرْحَلَة، وَيَتَذَكَّرُ دَائِمًا أَنَّ رَبَّهُ عَزَّوَجَلَّ سَيَسْأَلُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ مَاذَا عَمِلَ فِيهَا، إِضَافَةً إِلَى السُّؤَالِ عَنْ عَمَلِهِ فِي عُمْرِهِ كُلِّهِ المُتَضَمِّنِ لِمَرْحَلَةِ الشَّبَابِ؛ لِأَنَّهَا مَرْحَلَةُ القُوَّةِ وَالنَّشَاطِ، وَيُسْرِ الحَرَكَةِ، وَقُوَّةِ الأَعْضَاءِ وَاكْتِمَالِ الحَوَاسِ.

وَلِهَذَا حَثَّ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الشَّبَابَ - كَمَا فِي الحَدِيثِ السَّابِقِ - عَلَى اغْتِنَامِ هَذِهِ المَرْحَلَةِ، اغْتِنَامًا عَظِيمًا.

وَأَوْصَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَيْضًا أَهْلَ العِلْمِ وَالمُعْتَنِينَ بِالتَّرْبِيَةِ وَالدَّعْوَةِ وَالتَّعْلِيمِ بِالشَّبَابِ؛ لِأَنَّ الشَّابَ يَحْتَاجُ إِلَى عِنَايَةٍ وَمُلَاطَفَةٍ، وَرِفْقٍ وَتَوَدُّدٍ، وَتَحْبِيبٍ لَهُ فِي الخَيْرِ وَأَهْلِهِ، حَتَّى لَا يَتَخَطَّفَهُ أَهْلُ البَاطِلِ وَأَرْبَابُ المُحَرَّمَاتِ.

وَلِهَذَا حَرِصَ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عَلَى تَحْقِيقِ هَذِهِ المَعَانِي الجَلِيلَة كَمَا جَاءَ عَنْ أَبِي

(١). أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِي (٢٤١٦)، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِي فِي «السِّلْسِلَة الصَّحِيحَة» (٩٤٦).

سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ كَانَ إِذَا رَأَى الشَّبَابَ قَالَ: «**مَرْحَبًا بِوَصِيَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ؛ أَوْصَانَا رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ نُوَسِّعَ لَكُمْ فِي الْمَجْلِسِ، وَأَنْ نُفَهِّمَكُمُ الْحَدِيثَ فَإِنَّكُمْ خُلُوفُنَا، وَأَهْلُ الْحَدِيثِ بَعْدَنَا**»، وَكَانَ يُقْبِلُ عَلَى الشَّابِّ فيَقُولُ لَهُ: «يَا ابْنَ أَخِي؛ إِذَا شَكَكْتَ فِي شَيْءٍ فَسَلْنِي حَتَّى تَسْتَيْقِنَ، فَإِنَّكَ إِنْ تَنْصَرِفْ عَلَى الْيَقِينِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ تَنْصَرِفَ عَلَى الشَّكِّ»(١).

وَكَانَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِذَا رَأَى الشَّبَابَ يَطْلُبُونَ العِلْمَ قَالَ: «**مَرْحَبًا بِيَنَابِيعِ الحِكْمَةِ وَمَصَابِيحِ الظُّلَمِ، خُلْقَانِ الثِّيَابِ، جُدُدِ القُلُوبِ، حُبُسِ البُيُوتِ، رَيْحَانِ كُلِّ قَبِيلَةٍ**»(٢).

وَوَصَايَا السَّلَفِ رَحِمَهُمُ اللَّهُ لِلْشَّبَابِ وَعِنَايَتِهِمْ بِهَذِهِ المَرْحَلَةِ كَثِيرَةٌ جِدًّا(٣)؛ وَهَذِهِ وَصَايَا أَنْصَحُكَ بِهَا نَصِيحَةَ مُحِبٍّ مُشْفِقٍ؛ إِنْ أَخَذْتَ بِهَا كَانَتْ مُوجِبَةً لِنَجَاتِكَ وَسَبَبًا لِفَلَاحِكَ وَسَعَادَتِكَ فِي دُنْيَاكَ وَأُخْرَاكَ:

◂ عَلَيْكَ -**أَيُّهَا الشَّابُ**- أَنْ تَعْمَلَ عَلَى صِيَانَةِ شَبَابِكَ وَحِفْظِهِ بِأَنْ تَتَجَنَّبَ الشُّرُورَ وَالفَسَادَ بِأَنْوَاعِهِ مُسْتَعِينًا فِي ذَلِكَ بِاللهِ مُتَوَكِّلًا عَلَيْهِ وَحْدَهُ جَلَّ فِي عُلَاه، وَكُلَّ بَابٍ أَوْ مُدْخَلٍ أَوْ طَرِيقٍ يُفْضِي بِكَ إِلَى شَرٍّ أَوْ فَسَادٍ فَاجْتَنِبْهُ وَاحْذَرْهُ غَايَةَ الحَذَرِ(٤).

---

(١) أَخْرَجَهُ البَيْهَقِيُّ فِي كِتَابِهِ «شُعَب الإِيمَان» (١٦١٠).

(٢) أَخْرَجَهُ ابْنُ عَبْدِ البَرِّ فِي «جَامِع بَيَان العِلْم وَفَضْله» (٢٥٦).

(٣) «مِنْ وَصَايَا السَّلَف لِلْشَّبَاب» (ص ١-٥) لِشَيْخِنَا عَبْد الرَّزَّاق بْن عَبْد المُحْسِن البَدْر حَفِظَه الله.

(٤) وَمِنْ أَعْظَمِ الأَبْوَابِ الَّتِي يَدْخُلُ مِنْهَا الشَّيْطَانُ عَلَى العَبْدِ لِيُوقِعَهُ فِي الشُّرُورِ وَالفَسَادِ: فُضُول الكَلَامَ وَالنَّظَر، قَالَ الإِمَامُ ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَأَكْثَرُ المَعَاصِي إِنَّمَا تَوَلُّدُهَا مِنْ فُضُولِ الكَلَامِ وَالنَّظَر **وَهُمَا أَوْسَعُ مَدَاخِلِ الشَّيْطَانِ**؛ فَإِنَّ جَارِحَتَيْهِمَا لَا يَمَلَّانِ وَلَا يَسْأَمَانِ بِخَلَافِ شَهْوَةِ البَطْنِ فَإِنَّهُ إِذَا امْتَلَأَ لَمْ يَبْقَ فِيهِ إِرَادَةٌ لِلْطَّعَامِ وَأَمَّا العَيْنُ وَاللِّسَانُ فَلَوْ تُرِكَا لَمْ يَفْتَرَا مِنَ النَّظَرِ وَالكَلَامِ فَجِنَايَتُهُمَا مُتَّسِعَةُ الأَطْرَافِ كَثِيرَةُ الشُّعَبِ عَظِيمَةُ الآفَاتِ، وَكَانَ السَّلَفُ يُحَذِّرُونَ مِنْ فُضُولِ النَّظَرِ كَمَا يُحَذِّرُونَ مِنْ فُضُولِ الكَلَامِ وَكَانُوا يَقُولُونَ: مَا شَيْءٌ أَحْوَجُ إِلَى طُولِ السِجْنِ مِنَ اللِّسَانِ»«بَدَائِعُ الفَوَائِد» (٢/ ٤٩٨).

وَمِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ النَّجَاةِ وَالعِصْمَةِ مِنَ الوُقُوعِ فِي حَبَائِلِ الشَّيْطَانِ: التَّوَكُّلُ عَلَى اللهِ وَتَحْقِيقُ العُبُودِيَّةِ لَهُ،

◂ وَعَلَيْكَ -أَيُّهَا الشَّابُ- أَنْ تَكُونَ مُحَافِظًا تَمَامَ المُحَافَظَةِ عَلَى فَرَائِضِ الإِسْلَامِ وَوَاجِبَاتِ الدِّينِ وَلَاسِيمَا الصَّلَاة، فَإِنَّ الصَّلَاةَ عِصْمَةٌ لَكَ مِنَ الشَّرِّ وَأَمَنَةٌ لَكَ مِنَ البَاطِلِ، فَإِنَّ الصَّلَاةَ مَعُونَةٌ عَلَى الخَيْرِ وَمُزْدَجَرٌ عَنْ كُلِّ شَرٍّ وَبَاطِلٍ(١).

◂ وَعَلَيْكَ -أَيُّهَا الشَّابُ- أَنْ تَكُونَ مُؤَدِّيًا حُقُوقَ العِبَادِ الَّتِي أَوْجَبَهَا اللهُ عَلَيْكَ وَأَعْظَمَهَا حَقّ الأَبَوَيْنِ فَإِنَّهُ حَقٌّ عَظِيمٌ، وَوَاجِبٌ جَسِيمٌ(٢).

◂ وَعَلَيْكَ -أَيُّهَا الشَّابُ- أَنْ تَكُونَ قَرِيبًا مِنْ أَهْلِ العِلْمِ وَأَكَابِرِ أَهْلِ الفَضْلِ؛ تَسْتَمِعُ إِلَى أَقْوَالِهِمْ، وَتَسْتَرْشِدُ بِفَتَاوَاهِمْ، وَتَنْتَفِعُ بِعُلُومِهِمْ، وَتَسْتَشِيرُهُمْ فِيمَا أَهَمَّكَ(٣).

قَالَ اللهُ تَعَالَى مُخَاطِبًا إِبْلِيس: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [سُورَةُ الحِجْر].
«فَلَمْ يَجْعَلْ لِعَدُوِّهِ سُلْطَانًا عَلَى عِبَادِهِ المُؤْمِنِينَ فَإِنَّهُمْ فِي حِرْزِهِ وَكَلَاءَتِهِ وَحِفْظِهِ وَتَحْتَ كَنَفِهِ» «الوَابِل الصَّيِّب» (ص١١).

(١) لِأَنَّ اللهَ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ﴾ [سُورَةُ العَنكَبُوت: ٣٥]، قَالَ شَيْخُنَا عَبْدُ الرَّزَّاق بْن عَبْد المُحْسِن البَدْر حَفِظَهُ الله: «وَوَجْهُ كَوْنِ الصَّلَاةِ تَنْهَى عَنْ الفَحْشَاء وَالمُنْكَر: أَنَّ العَبْدَ المُقِيم لَهَا، المُتَمِّم لِأَرْكَانِهَا وَشُرُوطِهَا وَخُشُوعِهَا، يَسْتَنِيرُ قَلْبُهُ، وَيَتَطَهَّرُ فُؤَادُهُ، وَيَزْدَادُ إِيمَانُهُ، وَتَقْوَى رَغْبَتُهُ فِي الخَيْرِ،
وَتَقِلُّ أَوْ تَنْعَدِمُ رَغْبَتُهُ فِي الشَّرِّ، فَبِالضَّرُورَةِ مُدَاوَمَتُهَا وَالمُحَافَظَةُ عَلَيْهَا عَلَى هَذَا الوَجْهِ تَنْهَى عَنْ الفَحْشَاءِ وَالمُنْكَرِ، فَمَا أَعْظَمَ شَأْنَ هَذِهِ الصَّلَاة لَوْ أَقَمْنَاهَا كَمَا يَنْبَغِي» «تَعْظِيمُ الصَّلَاة» (ص١١٠).

(٢) قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۖ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [سُورَةُ النِّسَاء: ٣٦]، قَالَ العَلَّامَةُ السَّعْدِي رَحِمَهُ اللهُ: «أَحْسِنُوا إِلَيْهِمْ بِالقَوْلِ الكَرِيم وَالخِطَابِ اللَّطِيف وَالفِعْلِ الجَمِيل بِطَاعَةِ أَمْرِهِمَا وَاجْتِنَابِ نَهْيِهِمَا وَالإِنْفَاقِ عَلَيْهِمَا وَإِكْرَام مَنْ لَهُ تَعَلُّقٌ بِهِمَا وَصِلَةِ الرَّحِمِ الَّتِي لَا رَحِمَ لَكَ إِلَّا بِهِمَا» «تَيْسِير الكَرِيم الرَّحْمَن» (ص١٧٧).
وَلْيَحْذَر الشَّابُ كُلَّ الحَذَر مِنْ عُقُوقِ الوَالِدَيْنِ فَإِنَّ عَاقِبَتَهُ وَخِيمَةٌ وَهِيَ مُعَجَّلَةٌ فِي الدُّنْيَا قَبْلَ الآخِرَة؛ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**بَابَان مُعَجَّلَان عُقُوبَتُهُمَا فِي الدُّنْيَا: البَغْيُ وَ العُقُوق**» رَوَاهُ الحَاكِمُ فِي «مُسْتَدْرَكِهِ» (٧٣٥٠)، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِي فِي «صَحِيح الجَامِع» (٥١٢١).

(٣) لَقَدْ أَرْشَدَنَا النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ البَرَكَةَ مَعَ الأَكَابِر، فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**الْبَرَكَةُ مَعَ أَكَابِرِكُمْ**» رَوَاهُ ابْنُ حِبَّان فِي «صَحِيحِهِ» (٥٥٩)، وَالحَاكِم فِي «مُسْتَدْرَكِهِ» (٢١٠)، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِي فِي «صَحِيح الجَامِع» (٢٨٨٤).

◂ وَعَلَيْكَ -**أَيُّهَا الشَّابُ**- أَنْ تَكُونَ مُحَقِّقًا مَا أَوْجَبَهُ الله عَلَيْكَ مِنْ سَمْعٍ وَطَاعَةٍ لِوَلِيِّ أَمْرِكَ؛ فَإِنَّ فِي ذَلِكَ النَّجَاة، وَأَمَّا الطَّرَائِقُ القَائِمَةُ عَلَى الافْتِيَاتِ عَلَى وُلَّاةِ الأَمْرِ وَالخُرُوجِ عَنْ الجَمَاعَةِ وَنَزْعِ اليَدِ مِنَ الطَّاعَةِ فَإِنَّهَا لَا تُفْضِي بِأَهْلِهَا إِلَّا إِلَى الشُّرُورِ وَالهَلَكَةِ(١).

◂ وَعَلَيْكَ -**أَيُّهَا الشَّابُ**- أَنْ تَعْمَلَ فِي أَيَّامِكَ وَلَيَالِيكَ عَلَى تَحْصِينِ نَفْسِكَ بِذِكْرِ الله جَلَّ وَعَلَا، وَأَنْ تَكُونَ مُوَاظِبًا عَلَى الأَذْكَارِ المُوَظَّفَةِ فِي الصَّبَاحِ وَالمَسَاءِ وَأَدْبَارِ الصَّلَوَاتِ وَالدُّخُولِ وَالخُرُوجِ وَالرُّكُوبِ وَنَحْوِ ذَلِكَ، فَإِنَّ ذِكْرَ الله عَزَّوَجَلَّ عِصْمَةٌ

قَالَ شَيْخُنَا عَبْد الرَّزَّاق بن عَبْد المُحْسِن البَدْر حَفِظَهُ الله: «أَنْ نَتَأَمَّلَ الحَالَةَ الَّتِي كَانَ عَلَيْهَا سَلَفُنَا الصَّالِح؛ مِنْ أَدَبٍ مَعَ الكِبَار، وَاحْتِرَام لَهُمْ، وَتَوْقِيرٍ وَتَقْدِيرٍ، وَقِيَامٍ بِحُقُوقِهِمْ، فَتَرْعَى ذَلِكَ الأَمْرَ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ سَلَفُنَا الصَّالِح، فَإِذَا طَالَعْتَ كُتُبَ السِّيَر؛ سِيَر الصَّحَابَة وَمَنْ اتَّبَعَهُمْ بِإِحْسَانٍ تَجِدُ أَخْبَارًا عَذْبَةً وَسِيرَةً عَطِرَةً كَانُوا يَعِيشُونَهَا، وَتَجِدُ أَنَّ شَبَابَ الصَّحَابَةِ وَشَبَابَ التَّابِعِينَ فِي غَايَةِ الأَدَبِ، وَفِي غَايَةِ الاحْتِرَام لِلْكِبَارِ، فَتَتَعَلَّم مِنْ خِلَالِ تِلْكَ السِّيَرِ الأَدَبَ الكَرِيم، وَالخُلُقَ الرَّفِيع، لَكِنْ مَنْ مَضَتْ حَيَاتُهُ وَانْصَرَمَتْ زَهْرَةُ شَبَابِهِ وَهُوَ مَفْتُونٌ بِمُطَالَعَةِ أَخْبَارِ اللَّاعِبِينَ وَالفَنَّانِينَ، وَأَشْبَاهَ أُولَئِكَ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَتَعَرَّفَ عَلَى هَذِهِ الأَخْلَاقِ الفَاضِلَةِ النَّبِيلَةِ الَّتِي كَانَ عَلَيْهَا سَلَفُنَا الصَّالِح الرَّعِيل الأَوَّل المُبَارَك» «حُقُوقُ كِبَارِ السِّنِّ» ضِمْنَ «سِلْسِلَة رَسَائِل الفَضِيلَة» (ص٣٩٥)، وَانْظُرْ كَذَلِكَ مَقَالًا لِشَيْخِنَا بِعُنْوَان (الرُّجُوع إِلَى العُلَمَاء فِي النَّوَازِل) ضِمْنَ «الفَوَائِد المَنْثُورَة» (ص٧٣).

(١). «وَإِنَّ مِنْ نَهْجِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ وَسَبِيلِهُمْ مَعَ وُلَاةِ أَمْرِهِمْ: أَنَّهُمْ يَرَوْنَ وُجُوبَ السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ لَهُمْ فِي المَنْشَطِ وَالمَكْرَهِ أَبْرَارًا كَانُوا أَوْ فُجَّارًا، وَإِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي المَعْرُوف، فَإِنْ أَمَرُوا بِمَعْصِيَةِ الله فَلَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الخَالِقِ، وَيَنْصَحُونَ لَهُمْ، وَلَا يَدْعُونَ عَلَيْهِمْ بَلْ يَدْعُونَ لَهُمْ بِالصَّلَاحِ وَالمُعَافَاة، وَلَا يَرَوْنَ جَوَازَ الخُرُوجِ عَلَيْهِمْ وَلَا قِتَالَهُمْ وَلَا نَزْعِ يَدِ الطَّاعَةِ مِنْهُمْ، وَإِنْ جَارُوا وَظَلَمُوا، بَلْ يَعُدُّونَ ذَلِكَ مِنَ البِدَعِ المُحْدَثَةِ» مِنْ كَلَامِ شَيْخِنَا فِي تَحْقِيقِهِ لِـ «قَاعِدَة مُخْتَصَرَة فِي وُجُوبِ طَاعَةِ الله وَرَسُولِه وَوُلَاةِ الأُمُور» (ص ٨).

وَهَذِهِ الطَّرَائِق القَائِمَة الَّتِي ذَكَرَهَا الشَّيْخُ إِنَّمَا هُمْ طُلَّابُ دُنْيَا فَحَسْب كَمَا كَانَ أَسْلَافُهُمْ، قَالَ الإِمَامُ ابْنُ كَثِير رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَوَّلُ بِدْعَةٍ وَقَعَتْ فِي الإِسْلَامِ فِتْنَةُ الخَوَارِج، **وَكَانَ مَبْدَؤُهُمْ بِسَبَبِ الدُّنْيَا**» «تَفْسِيرُه» (٢/ ١٠)، وَمَصِيرُهُمْ دَوْمًا إِلَى زَوَال كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**كُلَّمَا خَرَجَ مِنْهُمْ قَرْنٌ قُطِعَ**» رَوَاهُ أَحْمَد (٦٨٧١)، وَابْنُ مَاجَه (١٧٤)، وَحَسَّنَهُ الأَلْبَانِي فِي «صَحِيح ابْنِ مَاجَه» (١٤٤).

مِنَ الشَّيْطَانِ وَأَمَنَةٌ لِصَاحِبِهِ مِنَ الضُرِّ وَالبَلاَءِ (١).

◄ وَعَلَيْكَ -**أَيُّهَا الشَّابُ**- أَنْ يَكُونَ لَكَ وِرْدٌ يَوْمِيٌّ مَعَ كِتَابِ الله لِيَطْمَئِنَّ قَلْبُكَ؛ فَإِنَّ كِتَابَ الله عَزَّوَجَلَّ طُمَأْنِينَةٌ لِلْقُلُوبِ وَسَعَادَةٌ لَهَا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾ [سُورَةُ الرَّعْدِ](٢).

◄ وَعَلَيْكَ -**أَيُّهَا الشَّابُ**- أَنْ تُكْثِرَ مِنْ دُعَاءِ الله عَزَّوَجَلَّ أَنْ يُثَبِّتَكَ عَلَى الحَقِّ وَالهُدَى وَأَنْ يُعِيذَكَ مِنَ الشَّرِّ وَالرَّدَى، فَإِنَّ الدُّعَاءَ مِفْتَاحُ كُلِّ خَيْرٍ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ(٣).

◄ وَعَلَيْكَ -**أَيُّهَا الشَّابُ**- أَنْ تَكُونَ حَرِيصًا عَلَى مُرَافَقَةِ الأَخْيَارِ وَمُصَاحَبَةِ الأَبْرَارِ، وَأَنْ تَجْتَنِبَ أَهْلَ الشَّرِّ وَالفَسَادِ؛ فَإِنَّ فِي صُحْبَةِ أَهْلِ الشَّرِّ العَطَبَ(٤).

---

(١). قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: « **إِنَّ اللهَ أَمَرَ يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ يَعْمَلَ بِهَا وَيَأْمُرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهَا... وَآمُرُكُمْ أَنْ تَذْكُرُوا اللهَ فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ خَرَجَ الْعَدُوُّ فِي أَثَرِهِ سِرَاعًا حَتَّى إِذَا أَتَى عَلَى حِصْنٍ حَصِينٍ فَأَحْرَزَ نَفْسَهُ مِنْهُمْ كَذَلِكَ الْعَبْدُ لاَ يُحْرِزُ نَفْسَهُ مِنَ الشَّيْطَانِ إِلاَّ بِذِكْرِ اللهِ** » رَوَاهُ التِّرْمِذِي (٢٨٦٣)، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِي فِي «صَحِيح الجَامع» (١٧٢٤)، وَلِشَيْخِنَا عَبْد الرَّزَّاق بن عَبْد المُحْسِن البَدْر حَفِظَهُ الله كِتَابٌ صَغِيرُ الحَجْم كَبِيرُ النَّفْعِ بِعُنْوَان «كِتَابُ الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ فِي ضَوْءِ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ» جَمَعَ فِيهِ الأَذْكَارَ النَّبَوِيَّة وَالأَدْعِيَة المَأْثُورَة عَنْ النَّبِيِّ ﷺ.

(٢). وَهَذِهِ نَصِيحَةٌ فِي غَايَةِ الأَهَمِّيَّة، وَفِي المُقَابِلِ فَلْيَحْذَرْ المُسْلِمُ مِنَ التَّفْرِيطِ وَالتَّقْصِيرِ فِي تِلاَوَةِ القُرْآنِ (أَيْ: هَجْره) فِي يَوْمِه وَلَيْلِهِ خَاصَّةً إِذَا كَانَ يَبْحَثُ عَنْ صَلاَحِ قَلْبِهِ وَتَحْسِينِ عَلاَقَتِهِ بِرَبِّهِ، قَالَ الإِمَامُ ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ اللهُ: «وَبِالجُمْلَةِ فَلاَ شَيْءَ أَنْفَعَ لِلْقَلْبِ مِنْ قِرَاءَةِ القُرْآنِ بِالتَّدَبُّرِ وَالتَّفَكُّرِ فَإِنَّهُ جَامِعٌ لِجَمِيعِ مَنَازِلِ السَّائِرِين، وَأَحْوَالِ العَامِلِين، وَمَقَامَاتِ العَارِفِين، وَهُوَ الَّذِي يُورِثُ المَحَبَّةَ وَالشَّوْقَ وَالخَوْفَ وَالرَّجَاءَ وَالإِنَابَةَ وَالتَّوَكُّلَ وَالرِّضَا وَالتَّفْوِيضَ وَالشُّكْرَ وَالصَّبْرَ وَسَائِرَ الأَحْوَالِ الَّتِي بِهَا حَيَاةُ القَلْبِ وَكَمَالُهُ، وَكَذَلِكَ يَزْجُرُ عَنْ جَمِيعِ الصِّفَاتِ وَالأَفْعَالِ المَذْمُومَةِ وَالَّتِي بِهَا فَسَادُ القَلْبِ وَهَلاَكُهُ، **فَلَوْ عَلِمَ النَّاسُ مَا فِي قِرَاءَةِ القُرْآنِ بِالتَّدَبُّرِ لاشْتَغَلُوا بِهَا عَنْ كُلِّ مَا سِوَاهَا**» «مِفْتَاحُ دَارِ السَّعَادَة» (١/ ١٨٧).

(٣). لَمَّا سُئِلَتْ أُمُّنَا أُمُّ سَلَمة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا عَنْ أَكْثَرِ دُعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ إِذَا كَانَ عِنْدَهَا فَقَالَتْ: كَانَ أَكْثَرُ دُعَائِهِ « **يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ** »، قَالَتْ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا لأَكْثَرِ دُعَائِكَ يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ؟ قَالَ: « **يَا أُمَّ سَلَمَةَ إِنَّهُ لَيْسَ آدَمِيٌّ إِلاَّ وَقَلْبُهُ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللهِ فَمَنْ شَاءَ أَقَامَ وَمَنْ شَاءَ أَزَاغَ** » رَوَاهُ التِّرْمِذِي (٣٥٢٢)، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِي فِي «صَحِيح التِّرْمِذِي» (٢٧٩٢).

(٤). وَكَمَا يُقَالُ: (الصَّاحِب سَاحِب)، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: « **الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ**

◄ وَعَلَيْكَ -أَيُّهَا الشَّابُ- أَنْ تَكُونَ عَلَى حَذَرٍ شَدِيدٍ مِنْ هَذِهِ الوَسَائِلِ الَّتِي غُزِيَ الشَّبَابُ مِنْ خِلَالِهَا وَلَا سِيَمَا شَبَكَة المَعْلُومَات لِيَسْلَمَ لَكَ دِينُكَ وَلِتَكُونَ فِي عَافِيَةٍ مِنْ أَمْرِكَ، وَالعَافِيَةُ لَا يَعْدِلُهَا شَيْءٌ(١).

◄ وَعَلَيْكَ -أَيُّهَا الشَّابُ- أَنْ تَكُونَ عَلَى ذِكْرٍ دَائِمًا أَنَّكَ سَتَقِفُ يَوْمًا بَيْنَ يَدَيْ اللهِ وَيَسْأَلُكَ فِيهِ عَنْ هَذَا الشَّبَابِ فِيمَا أَمْضَيْتَهُ وَأَفْنَيْتَهُ ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾﴾ [سُورَةُ الطُّورِ]. وَأَسْأَلُ اللهَ عَزَّوَجَلَّ أَنْ يَحْفَظَكَ بِمَا يَحْفَظُ بِهِ عِبَادَهُ الصَّالِحِينَ(٢).

وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِين.

كَتَبَهَا / عَبْدُ الرَّزَّاقِ بْنُ عَبْدِ المُحْسِنِ البَدْرِ

فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ» رَوَاهُ أَبُو دَاوُد (٤٨٣٣)، وَالتِّرْمِذِي (٢٣٧٨)، وَحَسَّنَهُ الأَلْبَانِي فِي «السِّلْسِلَة الصَّحِيحَة» (٩٢٧).

شَرْحُ الحَدِيث: «قَوْلُهُ (الرَّجُلُ) يَعْنِي الإِنْسَانَ (عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ) أَيْ عَلَى عَادَةِ صَاحِبِهِ وَطَرِيقَتِهِ وَسِيرَتِهِ (فَلْيَنْظُرْ) أَيْ: فَلْيَتَأَمَّلْ وَلْيَتَدَبَّرْ (مَنْ يُخَالِلْ) مِنَ الْمُخَالَّةِ وَهِيَ الْمُصَادَقَةُ وَالْإِخَاءُ فَمَنْ رَضِيَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ خَالَلَهُ وَمَنْ لَا تَجَنَّبَهُ فَإِنَّ الطِّبَاعَ سَرَّاقَةٌ وَالصُّحْبَةُ مُؤَثِّرَةٌ فِي إِصْلَاحِ الْحَالِ وَإِفْسَادِهِ» «تُحْفَةُ الأَحْوَذِي» (٧/ ٤٢).

(١). مَا ظَهَرَ فِي هَذِهِ الأَزْمَانِ المُتَأَخِّرَةِ مِنْ شَبَكَات المَعْلُومَات وَ القَنَوَات الفَضَائِيَّة يَكْمُنُ خَطَرُهَا فِي فِتْنَتَيْ الشَّهَوَات وَالشُّبُهَات (إِذَا لَمْ تُسْتَغَل فِيمَا يَنْفَع)، «قَالَ بَعْضُ السَّلَف : مَا أَمَرَ اللهُ تَعَالَى بِأَمْرٍ إِلَّا وَلِلشَّيْطَانِ فِيهِ نَزْغَتَان : إِمَّا إِلَى تَفْرِيطٍ وَتَقْصِيرٍ، وَإِمَّا إِلَى مُجَاوَزَةٍ وَغُلُوٍّ؛ وَلَا يُبَالِي بِأَيِّهِمَا ظَفَر» «إِغَاثَةُ اللَّهْفَان» (١/ ١١٦).

(٢). أَخِي الحَبِيب: خُذْ بِهَذِه النَّصَائِحِ الثَّمِينَةِ النَّافِعَة فِي طَرِيقِكِ إِلَى اللهِ وَالدَّارِ الآخِرَة، وَهِي كَمَا قَالَ شَيْخُنَا: «إِنْ أَخَذْتَ بِهَا كَانَتْ مُوجِبَةً لِنَجَاتِكَ وَسَبَبًا لِفَلَاحِكَ وَسَعَادَتِكَ فِي دُنْيَاكَ وَأُخْرَاكَ».

وَرَحِمَ اللهُ الحَسَنَ البَصْرِيّ لَمَّا قَالَ: «إِنَّ الإِيمَانَ لَيْسَ بِالتَّحَلِّي، وَلا بِالتَّمَنِّي، إِنَّمَا الإِيمَانُ مَا وَقَرَ فِي الْقَلْبِ **وَصَدَّقَهُ الْعَمَلُ**» رَوَاهُ ابْنُ أَبِي شَيْبَة فِي «مُصَنَّفِه» (٣٠٩٨٨)، وَالبَيْهَقِي فِي «شُعَب الإِيمَان» (٦٦).

«وَقَالَ بَعْضُ العُلَمَاء غَفَرَ اللهُ لَهُم: إِنَّ لِلْبَاقِي بِالمَاضِي مُعْتَبَرًا، وَلِلْآخِرِ بِالأَوَّلِ مُزْدَجَرًا، وَالسَّعِيدُ مَنْ لَا يَغْتَرُّ بِالطَّمَع، وَلَا يَرْكَنُ إِلَى الخُدَع، وَمَنْ ذَكَرَ المَنِيَّة نَسِيَ الأُمْنِيَّة، وَمَنْ أَطَالَ الأَمَل نَسِيَ العَمَل، وَغَفَلَ عَنْ الأَجَل» «الجَامِع لِأَحْكَام القُرْآن» (١٧/ ٢٤٧).



كَلِمَاتٌ فِي مُنَاسَبَاتٍ

رسالة مقترحة

مِنْ أَبٍ لابْنِهِ فِي الحَثِّ عَلَى الصَّلاةِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ابْنِي الوَفِيّ الكَرِيم[1] / .... **حَفِظَكَ الله وَبَلَّغَكَ رِضَاه وَأَسْعَدَكَ فِي دُنْيَاك وَأُخْرَاك، آمِين.**

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ الله وَبَرَكَاتُه.

وَبَعْدُ:

فَهَذِهِ رِسَالَةُ حُبٍّ وَتَذْكِيرٍ أَكْتُبُهَا بِمِدَادِ قَلْبِ أَبٍ عَطُوفٍ، وَوَالِدٍ مُشْفِقٍ لِقُرَّةِ عَيْنِهِ وَفَلْذَةِ كَبِدِهِ رَاجِيًا سَعَادَتَهُ وَمُبْتَغِيًا فَوْزَهُ وَطَامِعًا فِي نَجَاتِهِ، وَاللهَ وَحْدَهُ أَسْأَلُ أَنْ يَتَوَلَّاكَ بِتَوْفِيقِهِ وَيَكْلَأَكَ بِرِعَايَتِهِ وَتَسْدِيدِهِ.

اعْلَمْ ابْنِي الكَرِيم أَنَّ أَهَمَّ أُمُورِ العَبْدِ الصَّلَاة؛ فَمَنْ حَافَظَ عَلَيْهَا وَحَفِظَهَا حَفِظَ دِينَه، وَمَنْ ضَيَّعَهَا كَانَ لِمَا سِوَاهَا مِنْ عَمَلِهِ أَشَدَّ إِضَاعَةً، وَهِيَ عَمُودُ الإِسْلَام وَقَبُولُ سَائِرِ الأَعْمَالِ مَوْقُوفٌ عَلَى قَبُولِ الصَّلَاة، فَإِذَا رُدَّتْ رُدَّتْ عَلَيْهِ سَائِرُ الأَعْمَال، وَهِيَ أَوَّلُ فُرُوضِ الإِسْلَام، وَهِيَ آخِرُ مَا يُفْقَدُ مِنَ الدِّين، فَهِيَ أَوَّلُ الإِسْلَام وَآخِرُه، وَلَا يَسْتَقِيمُ دِينُ المُسْلِمِ، وَلَا تَصْلُحُ أَعْمَالُه، وَلَا يَعْتَدِلُ سُلُوكُه فِي شُؤُونِ دِينِه وَدُنْيَاه، حَتَّى يُقِيمَ هَذِهِ الصَّلَاة عَلَى وَجْهِهَا المَشْرُوع.

ابْنِي الكَرِيم: اعْلَمْ أَنَّ لَكَ مَوْقِفَين تَقِفُهُمَا بَيْنَ يَدَيْ الرَبِّ؛ أَحَدُهُمَا فِي هَذِهِ الحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَالآخَرُ يَوْمَ تَلْقَى الله جَلَّوَعَلَا يَوْمَ القِيَامَة، وَيَتَرَتَّبُ عَلَى صَلَاحِ المَوْقِفِ

---

(١) قَالَ شَيْخُنَا عَبْدُ الرزَّاق بن عَبْد المُحْسِن البَدْر حفظه الله فِي سَبَبِ تَحْرِير هَذِه الرِّسَالَة:

«نظَرًا لِشَكْوَى عَدَدٍ مِنَ الآبَاءِ مِنْ تَفْرِيطِ أَبْنَائِهِمْ فِي المُحَافَظَةِ عَلَى الصَّلَاةِ وَكَسَلِهِمْ عِنْدَ إِيقَاظِهِمْ لَهَا حُرِّرَتُ هَذِهِ الرِّسَالَةُ تَعَاوُنَنَا فِي نُصْحِ الأَبْنَاء جَعَلَهُمْ الله لَنَا أَجْمَعِين قُرَّة أَعْيُنٍ، وَأَصْلَحَهُمْ وَجَعَلَهُمْ مِنَ المُقِيمِين الصَّلَاة بِمَنِّه وَكَرَمِه».

الأَوَّلِ فَلَاحُكَ وَسَعَادَتُكَ فِي المَوْقِفِ الثَّانِي، وَيَتَرَتَّبُ عَلَى فَسَادِ حَالِ العَبْدِ فِي المَوْقِفِ الأَوَّلِ ضَيَاع أَمْرِهِ وَخُسْرَانه فِي المَوْقِفِ الثَّانِي(١).

المَوْقِفُ الأَوَّلُ: هُوَ هَذِه الصَّلَاة الَّتِي كَتبَهَا اللهُ جَلَّوَعَلَا عَلى عِبَادِهِ وَافْتَرَضَهَا عَلَيْهِمْ خَمْسَ مَرَّاتٍ فِي اليَوْمِ وَاللَّيْلَةِ؛ فَمَنْ حَافَظَ عَلَى هَذِهِ الصَّلَاة، وَاعْتَنَى بِهَا، وَأَدَّاها فِي أَوْقَاتِهَا، وَحَافَظَ عَلَى شُرُوطِهَا وَأَرْكَانِهَا وَوَاجباتِها هَانَ عَلَيْه المَوقِفُ يَوْمَ القِيَامَة، وَأَفْلَحَ وَأَنْجَحَ، وَأَمَّا إِذَا اسْتَهانَ بِهَذَا المَوْقِفِ؛ فَلَمْ يُعْنَ بِهَذِهِ الصَّلَاة، وَلَمْ يُوَاظِبْ عَلَيْهَا، وَلَمْ يُحَافِظْ عَلَى أَرْكَانِهَا وَشُرُوطِهَا وَوَاجِبَاتِهَا عَسُرَ عَلَيْهِ مَوْقِفُ يَوْمِ القِيَّامَة.

رَوَى التِّرْمِذِي وَالنَّسَائِي وَغَيْرُهُمَا عَنْ حُرَيث بن قَبيصَة رَحِمَهُ اللهُ قَالَ: أَتَيْتُ المَدِينَةَ فَسَأَلْتُ اللهَ جَلَّوَعَلَا أنْ يَرْزُقَنِي جَلِيسًا صَالِحًا، فَجَلَسْتُ إِلَى أَبِي هُرَيْرَة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَقُلْتُ لَهُ: يَا أَبَا هُرَيْرَة! إِنِّي سَأَلْتُ الله أَنْ يَرْزُقَنِي جَلِيسًا صَالِحًا؛ فَعَلِّمْنِي حَدِيثًا سَمِعْتَه مِنْ رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَعَلَّ الله أَنْ يَنْفَعَنِي بِه!

فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ العَبْدُ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنْ عَمَلِهِ صَلَاتُهُ؛ فَإِنْ صَلحَتْ فَقَدْ أَفْلَحَ وَأَنْجَحَ، وَإِنْ فَسَدَتْ فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ**»(٢)، وَهُوَ حَدِيثٌ صَحِيحٌ. فتأمَّل ابْنِي رعاك اللهُ: تَرَتُّبُ صَلَاحِ المَوْقِفِ الثَّانِي عَلَى صَلَاحِ المَوْقِفِ الأَوَّل،

(١) وَكَمَا قِيل: الجَزَاءُ مِنْ جِنْسِ العَمَل.

قَالَ الإِمَامُ ابنُ القيِّم رَحِمَهُ اللهُ: «لِلْعَبْدِ بَيْنَ يَدَيْ الله مَوْقِفَان:

مَوْقِفٌ بَيْنَ يَدَيْهِ فِي الصَّلَاة، وَمَوْقِفٌ بَيْنَ يَدَيْهِ يَوْمَ لِقَائِه؛ فَمَنْ قَامَ بِحَقِّ المَوْقِفِ الأَوَّل هُوِّنَ عَلَيْهِ المَوْقِفُ الآخر، وَمَنْ اسْتَهَانَ بِهَذَا المَوْقِفِ وَلَمْ يُوَفِّه حقَّه شُدِّدَ عَلَيْهِ ذَلِكَ المَوْقِف، قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٢٧﴾﴾ [سُورَةُ الإِنسَانِ]» «الفوائد» (ص ٢٠٠).

(٢) رَوَاهُ التِّرْمِذِي (٤١٣)، وَالنَّسَائِي (٤٦٥)، وَقَالَ الأَلْبَانِي صَحِيحٌ لِغَيْرِهِ فِي «صَحِيح التَّرْغِيب» (٥٤٠).

والخُسْرَانُ فِي المَوْقِفِ الثَّانِي عَلَى الخُسْرَانِ فِي المَوْقِفِ الأَوَّل.

فاتَّقِ اللهَ فِي هَذِه الصَّلَاة، وَحَافِظْ عَلَى هَذَا المَوْقِف بَيْنَ يَدَيْ الله جَلَّجَلَالُهُ، عَظِّمْ هَذِه الصَّلَاة يَعْظُمْ أَمْرُكَ عِنْدَ الله، وَتَعْلُو مَكَانَتُك عِنْدَه. يَا أَيُّها الابْنُ المُوَفَّق! إذَا أَكْرَمَكَ اللهُ جَلَّوَعَلَا بَأَبٍ يَعْتَنِي بِكَ فِي هَذِهِ الصَّلَاة حَثًّا وَحَضًّا وَتَرْغِيبًا؛ فَإِيَّاكَ ثُمَّ إِيَّاكَ أَنْ تنزَعِج مِنْه، أَوْ أَنْ تَتَضَجَّرَ مِنْ مُتَابَعَتِهِ لَك؛ فَإِنَّه - والله - يَعْمَلُ عَلَى إِنْقَاذِكَ مِنْ سَخَطِ الله، وَيَعْمَلُ عَلَى إِيصَالِكَ إِلَى مَرْضَاةِ الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ، فَإِنَّ الله جَلَّوَعَلَا لَا يَرْضَى عَنْكَ إِلَّا إِذَا كُنْتَ مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الصَّلَاة مُحَافَظَةً عَلَيْهَا وَأَدَاءً لَهَا[1].

ابْني الكَرِيم وَإِنَّ مِنْ تَعْظِيمِ الصَّلَاةِ أَنْ تَنْهَضَ لَهَا إِذَا دُعِيتَ إِلَيْهَا بِانْشِرَاحٍ وَقُوَّةٍ وَرَغْبَةٍ وَمُجَانَبَةٍ لِلْارْتِخَاءِ وَالتَّكَاسُل.

رَوى قوام السُّنَّة أَبُو القَاسِم الأَصْبَهَانِي في «التَّرغيب والتَّرهيب» [2] عَنْ عَبْدِ الله بن عبَّاس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: «يُكْرَهُ أَنْ يَقُومَ الرَّجُلُ إِلَى الصَّلَاة وَهُوَ كَسْلَان، وَلَكِنْ يقُومُ إِلَيْهَا طَلْقَ الوَجْهِ، عَظِيمَ الرَّغْبَةِ، شَدِيدَ الفَرَحِ، فَإِنَّهُ يُنَاجِي اللهَ جَلَّجَلَالُهُ، وَإِنَّ اللهَ جَلَّجَلَالُهُ أَمَامَهُ يَغْفِرُ لَهُ وَيُجِيبُه إِذَا دَعَاهُ، وَيَتْلُو هَذِهِ الآيَة: ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ ﴾ [سُورَةُ النِّسَاءِ: ١٤٢].

فَإِنَّ الفُتُورَ وَالتَّوَانِي وَالتَّرَاخِي وَالكَسَل إِنْ وُجِدَ فِي العَبْدِ فَهُوَ رَاجِعٌ إِلَى ضُعْفِ القُلُوبِ وَوَهَنِهَا، وَعَدَم مَعْرِفَتِهَا بِقِيمَةِ الصَّلَاة وَمَكَانَتِهَا. وَلَقَدْ بَلَغَ مِنْ اهْتِمَامِ صَدْرِ هَذِهِ الأُمَّةِ بِصَلَاةِ الجَمَاعَةِ مَا رَوَاهُ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

(١) وَهُوَ مُمْتَثِلٌ لِقَوْلِ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦﴾ [سُورَةُ التَّحْرِيمِ].

(٢) (١٩٠٤).

قَالَ: «لَقَدْ رَأَيْتُنَا - يَعْنِي أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ وَمَا يَتَخَلَّفُ عَنْهَا - أَيْ الصَّلَاة - إِلَّا مُنَافِقٌ مَعْلُومُ النِّفَاقِ، وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ يُؤْتَى بِهِ يُهَادَى بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ حتَّى يُقَامَ فِي الصَّفِّ»[1]؛ فَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ مِنْهُمْ لاَ يَسْتَطِيعُ المَشْيَ لِمَرَضٍ أَوْ كِبَرٍ؛ أَخَذُوا بعَضُدَيْهِ، وَسَاعَدُوهُ عَلَى المَشْيِ حَتَّى يُقِيمُوهُ فِي صَفِّ المُسْلِمِينَ لِلْصَّلَاة، كُلُّ ذَلِكُمْ؛ لِأَنَّ قُلُوبَهُمْ مُدْرِكَةٌ تَمَامَ الإِدْرَاكِ مَكَانَةَ الصَّلَاةِ وَقِيمَتَهَا؛ فَلَمَّا عَظُمَتْ مَكَانَةُ الصَّلَاةِ فِي القُلُوبِ تَحَرَّكَتْ تِلْكَ الأَبْدَانُ الضَّعِيفَةُ إِلَى المَسَاجِدِ مَعَ ضعْفِهَا الشَّدِيدِ[2].

وَلِصَلَاةِ الفَجْرِ الَّتِي تَأْتِي فِي مُفْتَتَحِ اليَوْمِ وَفِي بِدَايَتِهِ وَأَوَّلِه شَأْنٌ خَاصٌّ، فَالمُحَافَظَةُ عَلَيْهَا عُنْوَانٌ عَلَى فَلَاحِ الإِنْسَانِ وَسَعَادَتِهِ فِي يَوْمِه كُلِّه، وَإِضَاعَتُهَا إِضَاعَةٌ - إِي واللهِ - لِلْيَوْمِ كُلِّه، وَذَهَابٌ لِبَرَكَتِه.

وَلْيُتأَمَّلْ فِي هَـذَا المَعْنَى مَا ثَبَتَ فِي «الصَّحِيحين»[3] مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ إِذَا هُوَ نَامَ ثَلَاثَ عُقَدٍ؛ يَضْرِبُ كُلَّ عُقْدَةٍ: عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ فَارْقُدْ، فَإِنِ اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ اللهَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ صَلَّى انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ؛ فَأَصْبَحَ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ، وَإِلَّا أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسْلَانَ**»؛ هَذَا شَأْنُ تَارِكِ صَلَاةِ الفَجْرِ: نَفْسُهُ خَبِيثَةٌ، وَيَوْمُه كُلُّه فِي كَسَلٍ، بَيْنَمَا إِذَا حَافَظَ عَلَى صَلَاةِ الفَجْرِ وَأَدَّاهَا فِي وَقْتِهَا مَعَ

(١) رَوَاهُ مُسْلِم (٦٥٤).

(٢) سَمِع عَامِر بن عَبْد الله رَحِمَهُ اللَّهُ، المُؤَذِّنَ وَهُوَ يَجُودُ بِنَفْسِه وَمَنْزِلُه قَرِيبٌ مِنَ المَسْجِدِ قال: خُذُوا بِيَدِي.

فَقِيلَ لَه: إِنَّك عَلِيل.

فَقَالَ: أَسْمَعُ دَاعِيَ الله فَلَا أُجِيبُه؟!

فَأَخَذُوا بِيَدِه، فَدَخَلَ فِي صَلَاة المَغرِب فَرَكَعَ مَعَ الإِمَام رَكْعَة ثُمَّ مَاتْ» «صِفَةُ الصَّفْوَة» (٢/ ١٣١)، «سِيَرُ أَعْلَامِ النُّبَلَاء»(٥/ ٢٢٠).

(٣) رَوَاهُ البُخَارِي (١١٤٢)، وَمُسْلِم (٧٧٦).

جَمَاعَةِ المُسْلِمِينَ كَانَتْ عُنْوَانَ البَرَكَةِ وَالخَيْرِ وَالسَّعَادَة فِي يَوْمِه.

وَلْيُتَأَمَّلْ أَيْضًا مَا رَوَاهُ البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ عَنْ عَبْدِ الله بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: (ذُكِرَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ رَجُلٌ نَامَ لَيْلَهُ حتَّى أَصْبَحَ قَالَ: « **ذَاكَ رَجُلٌ بَالَ الشَّيْطَانُ فِي أُذُنَيْهِ - أَوْ قَالَ - فِي أُذُنِهِ** »)[1].

وَقَدْ بَيَّنَ أَهْلُ العِلْمِ أَنَّ الشَّيْطَانَ يَبُولُ فِي أُذُنَيْهِ بَوْلًا حَقِيقِيًّا، فَمَا حَالُ مَنَ كَانَ هَذَا شَأْنُهُ: يَقُومُ وَأُذُنُهُ مُمْتَلِئَةٌ بِبَوْلِ الشَّيْطَان القَذِرِ!!

وَهِي حَالُ مَنْ يَتْرُكُ صَلَاةَ الفَجْرِ مُسْتَغْرِقًا فِي نَوْمِهِ.

وَلْيُتَأَمَّلْ أَيْضًا مَا رَوَاهُ البُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِه» مِنْ حَدِيثِ سَمُرة بْنِ جُنْدُبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي سِيَاقٍ طَوِيلٍ فِيهِ ذِكْرُ رُؤْيَا النَّبِيِّ ﷺ الَّتِي رَآهَا، وَفِيهَا:

قَالَ: «**وَإِنَّا أَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُضْطَجِعٍ وَإِذَا آخَرُ قَائِمٌ عَلَيْهِ بِصَخْرَةٍ، وَإِذَا هُوَ يَهْوِي بِالصَّخْرَةِ لِرَأْسِهِ فَيَثْلَغُ رَأْسَهُ، فَيَتَدَهْدَهُ الحَجَرُ هَهُنَا، فَيَتْبَعُ الحَجَرَ فَيَأْخُذُهُ فَلاَ يَرْجِعُ إِلَيْهِ حتَّى يَصِحَّ رَأْسُهُ كَمَا كَانَ، ثمَّ يَعُودُ عَلَيْهِ فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ المَرَّةَ الأُولَى**» ثُمَّ قَالَ فِي تَمَامِه: «**أَمَّا الرَّجُلُ الأَوَّلُ الَّذي أَتَيْت عَلَيْهِ يُثْلَغُ رَأْسُهُ بِالحَجَرِ؛ فَإِنَّهُ الرَّجُلُ يَأْخُذُ القُرْآنَ فَيَرْفُضُهُ، وَيَنَامُ عَنِ الصَّلاة المَكْتُوبَة**»[2]، وجُعِلت العُقُوبَةُ فِي رَأْسِهِ لِنَوْمِهِ عَنْ الصَّلَاة، وَالنَّوْمُ مَوْضِعُهُ الرَّأْس.

ابْنِي الكَرِيم لِيَكُنْ لَكَ فِي سَلَفِكَ الصَّالِحِ أُسْوَةٌ:

قَالَ وَكِيعُ بْنُ الجَرَّاحِ رَحِمَهُ اللهُ: «كانَ الأعمشُ رَحِمَهُ اللهُ قَرِيبًا مِنْ سَبْعِينَ سَنَةً لَمْ تَفُتْهُ

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِي (١١٤٤)، وَمُسْلِم (٧٧٤).

(٢) رَوَاهُ البُخَارِي (٧٠٤٧).

التَّكْبِيرَةُ الأُولَى، وَاخْتَلَفْتُ إِلَيْهِ قَرِيبًا مِنْ سَبْعِينَ؛ فَمَا رَأَيْتُهُ يَقْضِي رَكْعَةً»(١).

وَقَالَ غَسَّان رَحِمَهُ اللَّهُ: «حَدَّثَنِي ابْنُ أَخِي بِشْرُ بْنُ مَنْصُور رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: مَا رَأَيْتُ عَمِّي فَاتَتْهُ التَّكْبِيرَةُ الأُوْلَى» (٢).

وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ المُسَيِّب رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَا فَاتَتْنِي التَّكْبِيرَةُ الأُوْلَى مُنْذُ خَمْسِينَ سَنَةً، وَمَا نَظَرْتُ إِلَى قَفَا رَجُلٍ فِي الصَّلَاةِ مُنْذُ خَمْسِينَ سَنَة»(٣)، لِمُحَافَظَتِهِ عَلَى الصَّفِّ الأَوَّلِ.

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ سَماعة رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَكَثْتُ أَرْبَعِينَ سَنَةً لَمْ تَفُتْنِي التَّكْبِيرَةَ الأُوْلَى مَعَ الإِمَامِ إِلَّا يَوْمَ مَاتَتْ فِيه أُمِّي فَفَاتَتْني صَلَاةٌ وَاحِدَةٌ فِي الجَمَاعَة»(٤).

وَقَالَ أَبُو دَاوُد رَحِمَهُ اللَّهُ: «كَانَ إِبْرَاهِيمُ الصَّائِغ رَجُلًا صَالِحًا، قَتَلَه أَبُو مُسْلِم بعَرَنْدَس، قَالَ: وَكَانَ إِذَا رَفَعَ المِطْرَقَةَ فَسَمِعَ النِّدَاءَ سَيَّبَهَا» (٥).

وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ التَّيْمِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «إِذَا رأيتَ الرَّجُل يتهَاوَنُ فِي التَّكْبِيرَةِ الأُوْلَى فَاغْسِلْ يدَكَ مِنْه»(٦).

ابْنِي الكَرِيم إِنَّ الصَّلَاةَ نُورُ المُؤْمِنِين، وَضِيَاءُ أَفْئِدَتِهِم، وَهِي الصِّلَةُ بَيْنَ العَبْدِ وَبَيْنَ ربِّه، وَإِذَا كَانَتْ صَلَاةُ العَبْدِ صَلَاةً كَامِلَةً، مُجْتَمِعًا فِيهَا مَا يَلْزَمُ فِيهَا وَمَا يُسَنُّ، وَحَصَلَ فِيهَا حُضُورُ القَلْبِ الَّذِي هُوَ لُبُّهَا، فَصَارَ العَبْدُ إِذَا دَخَلَ فِيهَا اسْتَشْعَرَ دُخُولَهُ عَلَى رَبِّه، وَوُقُوفَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ مَوْقِفَ العَبْدِ الخَاشِعِ المُتَأَدِّب، مُسْتَحْضِرًا لِكُلِّ

(١) «سِيَرُ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ» (٦/ ٢٢٨).
(٢) « سِيَرُ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ » (٨/ ٣٦٠).
(٣) «حِلْيَةُ الأَوْلِيَاء» (٢/ ١٦٣).
(٤) «تَارِيخُ بَغْدَاد» (٣/ ٢٩٨)، « سِيَرُ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ » (١٠/ ٦٤٦).
(٥) «سُنَنُ أَبِي دَاوُد» (٣٢٥٤).
(٦) «حِلْيَةُ الأَوْلِيَاء» (٤/ ٢١٥)، « سِيَرُ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ » (٥/ ٦٢).

مَا يَقُولُهُ وَمَا يَفْعَلُهُ، مُسْتَغْرِقًا بِمُنَاجَاةِ رَبِّهِ وَدُعَائِهِ؛ فَلَا جَرَمَ أَنَّهَا مِنْ أَكْبَرِ المَعُونَةِ عَلَى جَمِيعِ الفَضَائِلِ وَالخَيْرَاتِ، وَأَعْظَمِ مُزْدَجَرٍ عَنْ الفَوَاحِشِ وَالمُنْكَرَاتِ.

وَمِنْ آثَارِ الصَّلَاةِ العَظِيمَةِ، وَثِمَارِهَا الجَلِيلَةِ أَنَّهَا أَعْظَمُ بَابٍ لِلْغُفْرَانِ وَحَطِّ الأَوْزَارِ وَتَكْفِيرِ السَّيِّئَاتِ، فَفِي «الصَّحِيحَيْنِ» عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهَرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسًا؛ مَا تَقُولُ ذَلِكَ يُبْقِي مِنْ دَرَنِهِ؟**

قَالُوا: لَا يُبْقِي مِنْ دَرَنِهِ شَيْئًا.

قَالَ: **فَذَلِكَ مِثْلُ الصَّلَوَاتِ الخَمْسِ يَمْحُو اللهُ بِهَا الخَطَايَا**»[(١)].

أَسْأَلُ اللهَ الكَرِيمَ أَنْ يُوَفِّقَكَ لِتَعْظِيمِ الصَّلَاةِ وَالمُحَافَظَةِ عَلَيْهَا وَحُسْنِ إِقَامَتِهَا، وَأَنْ يَشْرَحَ صَدْرَكَ، وَيُيَسِّرَ أَمْرَكَ، وَيُعْلِيَ فِي الدَّارَينِ قَدْرَكَ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ.

وَالِدُكَ المُحِبّ.



(١) رَوَاهُ البُخَارِي (٥٢٨)، وَمُسْلِم (٦٦٧).


كَلِمَات فِي مُنَاسَبَات
فَضْلُ
شَهْر
رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله الَّذي جعل الصِّيَام حِصنـًا حصينـًا مِنَ النَّار وجُنَّة، وجعله مرتقىً لكلِّ خير وسبيلاً إلى الجَنَّة، وأشهدُ أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له عظُمَت منه على عباده المِنَّة، وأشهدُ أنَّ محمَّداً عبده ورسوله لَا خير إلَّا فيما دعا إليه وسَنَّه؛ صلَّى الله وسلَّم عليه وعلى آله الأخيار وصحابته الأبرار وسلَّم تسليمـًا كثيرًا.

أمَّا بعد:

معاشر المؤمنين عباد الله: أوصيكم ونفسي بتقوى الله، فإنَّ مَنْ اتَّقى الله وقاه وأرشده إلى خير أمور دينه ودنياه، ثمَّ اعلموا رعاكم الله أنَّ نعمة الله جَلَّوَعَلَا علينا عظيمة بهذا الشَّهر العظيم والموسم الكريم؛ موسم شهر رمضان المبارك الَّذِي تعدَّدَت خيراته وتنوَّعت بركاته وتعدَّدت فضائله وميزاته؛ شهر اصطفاه الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ واختاره من بين بقيَّة الشُّهور وجعله للطَّاعة موسمـًا عظيما وللخيرات كلِّها مرتقى كريما، ولقد تعدَّدت الأحاديث عباد الله عن النَّبيِّ ﷺ مبيِّنة عظيم مكانة هذا الشهر وكبير فضله وتعدد خيراته وبركاته.

وهذه وقفةٌ مع حديثٍ واحد مِنْ أحاديث الرَّسول الكريم ﷺ المُنَوِّهة بهذا الشَّهر المبيِّنة لعظيم فضله وكبير مكانته:

روى الترمذي وابن ماجه وغيرهما من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: **«إِذَا كَانَتْ أَوَّلُ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ صُفِّدَتْ الشَّيَاطِينُ وَمَرَدَةُ الْجِنِّ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ فَلَمْ يُفْتَحْ مِنْهَا بَابٌ، وَفُتِحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ فَلَمْ يُغْلَقْ مِنْهَا بَابٌ، وَنَادَى مُنَادٍ: يَا بَاغِيَ الْخَيْرِ أَقْبِلْ، وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ، وَلِلَّهِ عُتَقَاءُ مِنْ النَّارِ وَذَلِكَ فِي كُلِّ**

لَيْلَةٍ»[١] .

تأمَّل - عبد الله - هذا الحديث العظيم الدَّال على عظيم مكانة هذا الشَّهر وما خصَّه الله عَزَّوَجَلَّ به مِنْ فضائل ومزايَا وخصائص عظيمة؛ شهرٌ تصفَّد فيه مردة الشَّياطين، وتفتَّح فيه أبواب الجنَّة، وتغلَّق فيه أبواب النَّار، وكلُّ ذلك عباد الله محرِّكٌ للقلوب المؤمنة، مهيِّجٌ للنُّفُوس المطمئنَّة لتقبِل على أبواب الخير وسبله ولِتَنْكَفَّ عن أبواب الشَّر وسبله، أبواب الجنَّة مفتَّحة لأهلها؛ أهل الخير والفضائل أهل المسابقة للخيرات والمنافسة للطَّاعات، وأبواب النَّار مغلَّقة لأنَّ أهل الإيمان أحرص ما يكونون في هذا الشَّهر على البعد عمَّا يُسخطُ الله جَلَّوَعَلَا وعن كلِّ ما يغضبه خوفًا من عقاب الله وخوفًا من سخطه سبحانه وناره، والشَّياطين الَّذِين كانوا يصدُّون النَّاس عن دين الله ويصرفونهم عن سواء السَّبيل؛ مِنَّةُ الله على عباده عظيمة في هذا الشَّهر بتصفيدهم فلا يخلصون إلى ما كانوا يخلصون إليه في غير رمضان[٢] .

وتأمَّل رعاك الله ؛ تأمَّل كثيرًا ومليًّا داعي الله عَزَّوَجَلَّ المتكرِّر في كلِّ ليلة من ليالي رمضان « **يَا بَاغِيَ الْخَيْرِ أَقْبِلْ، وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ** » ؛ داعٍ ينادي في كلِّ ليلة من ليالي رمضان، وإنْ كنَّا - عباد الله - لا نسمعُ نداء هذا الدَّاعي في كلِّ ليلة إلَّا أنَّنا من ندائه على يقين؛ لأنَّ الَّذِي أخبرنا بوجود هذا النِّداء هو رسولنا الكريم ﷺ الَّذِي ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ ﴾ [سُورَةُ النَّجْمِ]، إننا - عباد الله - على يقينٍ تام وثقةٍ جازمة بأنَّ لله عَزَّوَجَلَّ مناديا ينادي كلَّ ليلة، وقد جاء في بعض الروايات أنه

(١) رواه الترمذي (٦٨٢)، وابن ماجه (١٦٤٢)، وصحَّحه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٥٩).

(٢) فهذه من مزايا وعطايا ربِّ البرايا سبحانه وتعالى، فاللهم لك الحمد حمدًا كثيرًا طيِّبًا مباركًا فيه.

قال الإمام ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « إذا غُلِّقت في شهركم أبواب النِّيران، وفتِّحت أبواب الجنان، وصُفِّد فيه الملعون الشَّيطان؛ فأولى أن لا يسكنكم مولاكم دار العقوبة والهوان، وأن يمنحكم بمنِّه وفضله دار الخلود والرِّضوان، كما فضلنا بشهر التَّجاوز والغفران، وهو الكريم المتفضِّل المنَّان»«بستان الواعظين» (ص٢٢٨).

ملَك من الملائكة ينادي بأمر الله، ينادي كلَّ ليلة من ليالي رمضان « **يَا بَاغِيَ الْخَيْرِ أَقْبِلْ، وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ** ».

وتأمَّل هنا لتجد أنَّ ألوف النَّاس على قلبين:

* قلب يبغي الخير ويطلبه وينشده ويتحرك في طلبه، وإلى هؤلاء يأتي النِّداء: «**يَا بَاغِيَ الْخَيْرِ أَقْبِلْ**»؛ فأنت في موسم الخيرات وَوَقْتُ المنافسة في فعل الطَّاعات والجِدِّ والاجتهاد في العبادات، فزِدْ تَحَرُّكًا ونشاطًا وإقبالاً على طاعة الله جَلَّوَعَلَا؛ « **يَا بَاغِيَ الْخَيْرِ أَقْبِلْ** ».

* وقلبٌ آخر ـ عباد الله ـ الشَّرُّ فيه متحرّك والإقبال فيه على الشَّر متهيِّج، وإلى هذا الصِّنف من النَّاس يأتي النداء: «**يَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ** »؛ أمسك عن الشر وامنع نفسك عنه وعن أبوابه فإنَّك في وقت فضيل وفي موسمٍ عظيم، فلا أقلَّ مِنْ أَنْ تكون في هذا الشَّهر مانعًا لنفسك وحاجزاً لها عن الوقوع في المحرمات وغَشَيان النَّواهي والممنوعات، «**يَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ**» نداء يتكرَّر كلَّ ليلة مِنْ ليالي رمضان.

فَمَا حظُّنا – عباد الله – من الاستجابة لهذين النداءين؟ نداء الخير والإقبال عليه، ونداء التَّحذير من الشَّر و الانكفاف عنه.

وهنا – عباد الله – لابدَّ من وقفة في بيان أحوال النَّاس مع الاستجابة إلى هذا النِّداء الكريم والدَّاعي العظيم إلى رضوان الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ والجنَّة:

* هناك صنف مِنَ النَّاس وفَّقهم الله جَلَّوَعَلَا وأخذ بنواصيهم إلى الخير، فقلوبهم على الخير مقبِلة وأوقاتهم في الطاعات عامرة بين ذكرٍ لله وصيامٍ وقيامٍ وتلاوةٍ للقرآن وعيادةٍ للمرضى أو صلةٍ للأرحام أو غير ذلك من أبوابٍ الخير المتنوعة وسبله العديدة.

* وصنف آخر مِنَ النَّاس أَسَرتْهم نفوسهم، وقيَّدتهم شهواتهم، وكبَّلهم تتبعهم لحظوظ نَفْسهم، فَهُم عن الخير غافلون، وعلى الشر مقبِلون؛ وهذه مصيبة عظمى تمرُّ هذه اللَّيالي الكريمة والمواسم الفَضِيلة والقلب لا يتحرك للخير ولا يطلبه ويكون في غاية الانصراف عنه والإقبال على الشر وسبله عياذاً بالله.

وهنا – عباد الله – تأتي نداءات شرٍّ تصرف النَّاس عن الخير وتصدهم عن أبوابه وسبله، وإنَّ من أعظمها نكايةً وأشدَّها خطرًا وأعظمها أثراً وبلاءً: تلك القنوات الفضائية العاهرة الفاجرة[1] الَّتِي يتبارى أربابها ويتنافس أصحابها في هذا الموسم العظيم والشهر الفضيل في اصطياد المغفَّلين من أبناء المسلمين لصدِّهم عن الخير وشغْلهم في اللهو والباطل، ومن عجيب مكر أولئك – عباد الله – أنَّهم جعلوا لأفلامهم السَّاقطة ورقصاتهم الآسِنة ومسلسلاتهم الرَّدِيئة جعلوا لهم شعاراً يتَّصل برمضان، فمنهم من يقول: « جرِّب الإفطار معنا »، ومنهم من يقول: « معنا جرِّب رمضان»، ونحو ذلك من النِّدَاءات والدَّعوات الآثمة ليُقبِل النَّاس بعد الإفطار على موائد الإثم والرّذيلة ومجالات السُّفول والانحطاط، كيف يليق بمسلم صام على طاعة الله أن يفطر على الإثم والعصيان ومشاهدة الإثم والحرام؟!

ماذا تصنع تلك الأفلام وتلك المشاهد المشينة في قلوب من يشاهدها ونفوس من يطالعها؟!

أتحرك في قلوبهم قيام الليل؟!

أتدعوهم إلى الصِّيَام والقيام والطاعة وتلاوة القرآن؟!

أم أنَّها تهيِّج في نفوسهم حبَّ الشر والفساد والبحث عن أماكن الرَّذيلة والكساد.

---

(١) ولشيخنا عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر حفظه الله مقال نافع بعنوان: «خطر القنوات الفضائية»، ضمن «الفوائد المنثورة» (ص ١١٢).

قال الله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [سُورَةُ النُّورِ: ٣٠].

عباد الله: وصنف آخر من الناس لا يعرفون في ليالي رمضان إلَّا جلوس مجالس الغيبة والنَّميمة والسُّخريَّة والاستهزاء والتَّهكُّم بالنَّاس ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ [سُورَةُ الحُجُرَاتِ].

أوقاتٌ فاضلةٌ تُهدر ومواسم عظيمة تُضيَّع، وآخر مِنَ النَّاس - عباد الله - لا يعرفون في هذه الليالي الفاضلة إلَّا اللعب والبَطالَة والتسكُّع في الشَّوارع والذَّهاب إلى الأسواق لمشاهدة النِّساء والاحتكاك بهن وفعل ما يسخط الله عَزَّوَجَلَّ، أهكذا ليالي رمضان ؟!

ولهذا - عباد الله - ينبغي علينا أجمعين أنْ نكرِّر هذا النِّداء في أذهاننا وأن نديره في خيالنا «**يَا بَاغِيَ الْخَيْرِ أَقْبِلْ، وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ**» ؛ إن قصُرت نفسك أيُّها المؤمن عن فعل الخيرات والإقبال على الطاعات والمنافسة في العبادات فلا أقلَّ من أن تقصر نفسك عن الشَّر وأن تمنعها من الوقوع فيه وأن تحول بينها وبينه مستعيناً بالله تبارك وتعالى معتمداً عليه جَلَّوَعَلَا .

عباد الله : ثم قال ﷺ: «**وَلِلَّهِ عُتَقَاءُ مِنْ النَّارِ وَذَلِكَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ**»، وجاء في حديث آخر رواه ابن ماجة في «سننه» أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**إِنَّ لِلَّهِ عِنْدَ كُلِّ فِطْرٍ عُتَقَاءَ وَذَلِكَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ**»[1]؛ وتأمَّل هذا - رعاك الله - عند كلِّ إفطار من هذه الطَّاعة العظيمة

(١) برقم: (١٦٤٣).

ورحم الله الإمام ابن رجب لمَّا قال:

« هذا عباد الله ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ و في بقيَّته للعابدين مستمتع، و هذا كتاب الله يتلى

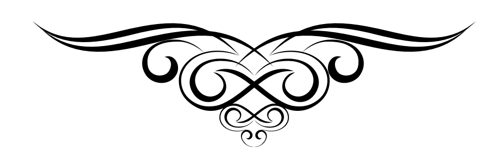
والعبادة الجليلة يعتق الله عَزَّوَجَلَّ رقابـًا من النار في كلِّ ليلةٍ من ليالي رمضان، وهنا يسأل المؤمن نفسه: أقلبي يتحرك شوقًا وطمعا ورغبةً في أن أكون من هؤلاء الذين يعتق الله عَزَّوَجَلَّ رقابهم من النار في ليالي رمضان الفاضلة؟

أأكون من هؤلاء أم أنِّي لَا حظَّ لي ولا نصيب من ذلك؟

علينا – عباد الله – أنْ نتأمَّل في هذا المقام العظيم والملحظ الشَّريف، ولنحرِّك في قلوبنا حبَّ ذلك بأنْ نكون عتقاء الله عز وجل من النَّار.

والله تعالى أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.





فيه بين أظهركم و يُسْمع، و هو القرآن الَّذي لو أُنزل على جبل لرأيته خاشعًا يتصدَّع، و مع هذا فلا قلب يخشع و لا عين تدمع، و لا صيام يصان عن الحرام فينفع، و لا قيام استقام فيرجى في صاحبه أَنْ يشفع، قلوب خلت مِنَ التَّقوى فهي خراب بلقع، و تراكمت عليها ظلمة الذنوب فهي لا تبصر و لا تسمع، كم تتلى علينا آيات القرآن و قلوبنا كالحجارة أو أشد قسوة؟!

و كم يتوالى علينا شهر رمضان و حالنا فيه كحال أهل الشقوة؟! لا الشاب منا ينتهي عن الصبوة! و لا الشيخ ينزجر عن القبيح فيلتحق بالصفوة!

أين نحن من قوم إذا سمعوا داعي الله أجابوا الدَّعوة؟! و إذا تليت عليهم آيات الله جَلَتْ قلوبهم جلوة؟! وإذا صاموا صامت منه الألسنة و الأسماع و الأبصار أفما لنا فيهم أسوة؟! ..كلما حسنت منا الأقوال ساءت الأعمال، فلا حول و لا قوة إلا بالله العلي العظيم، و حسبنا الله»«لطائف المعارف» (ص٢٣٩).


كَلِمَاتٌ فِي مُنَاسَبَاتٍ
رمضان
شَهْرُ الصَّبْرِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فَلَا مُضلَّ له، ومنْ يضلل فلا هادي له، وأشهدُ أنْ لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهدُ أنَّ محمَّداً عبده ورسوله، صلَّى الله وسلَّم عليه وعَلَى آله وصحبه أجمعين.

أمَّا بعد:

أيُّها المؤمنون: اتَّقُوا الله تعالى، وراقبوه جلَّ في علاه في السرِّ والعلانية والغيب والشَّهادة مراقبة مَنْ يعلم أنَّ ربَّه يسمعُه ويراه.

وتقوى الله جَلَّوَعَلَا: عملٌ بطاعة الله على نورٍ من الله رجاء ثواب الله، وتركٌ لمعصية الله على نورٍ من الله خيفة عذاب الله[(١)].

أيُّها المؤمنون عباد الله: ما أعظم هذه العبادة وما أجلَّ شأنها؛ عبادة الصِّيَام الَّتي افترضها الله جَلَّوَعَلَا على عباده في هذا الشَّهر المبارك، وكم لهذه العبادة من الآثار المباركة، والفوائد العظيمة، والخيرات المتنوعة الَّتي يجنيها الصَّائمون في دنياهم وأخراهم.

أيُّها المؤمنون: إنَّ هذه العبادة «**عبادة الصِّيام**» لها شأنٌ عظيم في تهذيب النُّفوس،

---

(١) قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «كما قال طلق بن حبيب: إذا وقعت الفتنة فأطفئوها بالتقوى، قالوا: وما التقوى؟

قال: أنْ تعمل بطاعة الله على نور مِنَ الله، ترجوا ثواب الله، وأنْ تترك معصية الله على نور مِنَ الله، تخاف عقاب الله.

وهذا أحسن ما قيل في حَدِّ التَّقوى»«الرِّسالة التبوكيَّة» (ص١٠).

وتقويم السُّلوك، وتقوية الإيمان، وإقامة النَّفس على طاعة الرَّحمن، والبُعد بها عن رعوناتها وسفهها وغيِّها؛ فكم له من الآثار، وكم له من الثِّمار ولا سيمَا -عباد الله- لمن وفَّقه الله تعالى لتكميل صيامه وتتميمه.

أيُّها المؤمنون: وهذه وقفةٌ مع درسٍ عظيم مِنْ دروس الصِّيام في عِظم أثره وكبير عائدته على الصَّائمين في تهذيب سلوكهم وإقامة نفوسهم على الطَّاعة وزمِّها بزمام الشَّرع؛ روى الإمام أحمد في «مسنده» عن أبي قتادة ﵁ أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**صَوْمُ شَهْرِ الصَّبْرِ وَثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ صَوْمُ الدَّهْرِ**»[١].

وروى البزَّار في «مسنده» عن علي ﵁ أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**صَوْمُ شَهْرِ الصَّبْرِ وَثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ يَذْهَبْنَ بِوَحَرِ الصَّدْرِ**»[٢] أي: غِلِّه وحقدَه وحسدَه.

وروى النَّسائي عن الباهلي ﵁ أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال له: «**صُمْ شَهْرَ الصَّبْرِ وَثَلَاثَةَ أَيَّامٍ مِنَ الشَّهْرِ**»[٣].

أيُّها المؤمنون: تأمَّلوا في هذه الأحاديث كيف وصف النَّبيُّ ﷺ شهر رمضان بأنَّه شهر الصَّبر؛ وذلك -عباد الله- لما في عبوديَّة الصِّيام من تحقيقٍ للصَّبر، بل إنَّ الصِّيام نفسه صبرٌ بمعاني الصَّبر الثلاثة، فهو صبرٌ على طاعة الله، وصبرٌ عن معصية الله، وصبرٌ على أقدار الله المؤلمة؛ وهذه المعاني الثَّلاثة للصَّبر جميعها مجتمعة في عبوديَّة الصِّيام[٤]؛ فالصِّيام -يا معاشر المؤمنين- صَبرٌ تتهذَّب فيه النُّفوس، ويستقيم فيه السُّلوك، ويصلح فيه الحال والعمل.

---

(١) رواه أحمد (٧٥٧٧)، والنَّسائي (٢٤٠٨)، وصحَّحه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٧١٨).

(٢) رواه البزَّار (٦٨٨)، وقال الألباني: في «صحيح التَّرغيب» (١٠٣٢) حسن صحيح.

(٣) رواه النسائي في «السُّنن الكُبرى» (٢٧٥٦).

(٤) بعض أهل العلم يعبِّر عن أنواع الصَّبر: الصَّبر على المأمور، الصَّبر على المَحْظور، والصَّبر على المقدور «عدة الصابرين» (ص٣٨).

نَعَمْ -عباد الله-؛ ولهذا فإنَّ الصَّائم لابدَّ أن يكون في جهادٍ مع نفسه لتكميل صيامه وتَتميمه لينال تلك الفوائد وليحصل تلك العوائد.

وأمَّا إذا فرَّط في هذا التَّتميم والتَّكميل خرج بدون عائدة ومضى في صيامه بدون فائدة، فقد قال النَّبيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالعَمَلَ بِهِ فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ**»(١).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**رُبَّ صَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ صِيَامِهِ إِلاَّ الْجُوعُ، وَرُبَّ قَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ قِيَامِهِ إِلاَّ السَّهَرُ**»(٢).

وفي هذا المعنى أحاديث كثيرة عن رسول الله ﷺ.

ولهذا -عباد الله- ينبغي أن نعلم أنَّ الصيام صبر، ومن لم يكن له صبر في صيامه لم يستفد من درس الصِّيام وعبرته العظيمة ولم يحقِّق ما يُرجى مِنَ الصِّيام من آثار وثمار، يقول الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾**﴾ [سُورَةُ البَقَرَةِ].

أيُّها المؤمنون: ولهذا فسَّر بعض السلف قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿**وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴿٤٥﴾**﴾ [سُورَةُ البَقَرَةِ] بأنَّ الصَّبر هو الصِّيام(٣)، وفسَّر بعض السَّلف قول النبي ﷺ: «وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ»(٤) بأنَّ الصَّبر هنا هو الصِّيام؛

---

(١) رواه البخاري (١٩٠٣).

(٢) رواه ابن ماجه (١٦٩٠)، وأحمد (٩٦٨٥)، وصحَّحه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٤٨٨).

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «فالصَّوم هو صوم الجوارح عَنْ الآثام، وصوم البطن عَن الشَّراب والطَّعام؛ فكما أنَّ الطَّعام والشَّراب يقطعه ويفسده، فهكذا الآثام تقطع ثوابه وتفسد ثمرته، فتُصَيِّره بمنزلة مَنْ لم يصم» «الوابل الصيب» (ص٤٣).

(٣) روى ابن أبي حاتم رَحِمَهُ اللَّهُ في «تفسيره» (٤٨٠) عن مجاهد رَحِمَهُ اللَّهُ قال عن هذه الآية: «الصَّبرُ الصِّيام».

(٤) رواه مسلم (٢٢٣).

وهذا التَّفسير في الآية ليس تفسيرًا بالمطابق للمعنى، وإنَّما هو تفسير بفردٍ من أفراده، فما من شك أنَّ الصِّيام صبر، وما من شك أنَّ الصِّيام ضياء لصاحبه، ولكن إنَّما يكون ذلك إذَا تمَّمَ صيامه وكمَّله.

أيُّها المؤمنون: جدير بكلِّ مؤمن أن يُعنى بهذه العبادة «عبادة الصيام» تتميمًا وتكميلا، وكم هو قبيح بالمرء المسلم أنْ يصومَ نهار رمضان عنْ الطَّعام والشَّراب والمنكح ثم إذا جاء وقت الإفطار أفطر على المعصية والمأثم عياذًا بالله؛ ولاسيما -عباد الله- أنَّ النَّاس في هذا الزَّمان مستهدفون في عباداتهم وفي صيامهم وفي عموم طاعاتهم من قبل أعداء الدِّين وخصوم الشَّريعة، ولاسيما -عباد الله- من خلال القنوات الفضائيَّة ومواقع الانترنت الَّتِي تعبثُ بالعقول عبثًا عظيمًا وبخاصة في شهر رمضان.

وإذا كانت الشَّياطين تُصفَّد في هذا الشَّهر فإنَّ هؤلاء ينطلقون انطلاقةً كبيرة صَدًّا عن دين الله وحرفًا للنَّاشئة والشَّباب عن طاعة الله مِنْ خلال ما يُبَثُّ ويشاهدُ ويُقدَّم في تلك القنوات، ولهذا لابدَّ من الصِّيام، ولابدَّ من الصَّبر، ولابدَّ مِنَ المحاسبة للنَّفس، ولابدَّ مِنْ زمِّها بزمام الشَّرع حتَّى يكون الصِّيام مُثمرًا وحتَّى تكون العوائد كثيرة والفوائد متنوعَّة، لَا أَنْ يُضيَّع صيام المرء مِنْ خلال عبث هؤلاء ومكرهم ودسهم .

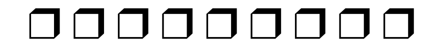
كفَى الله شبابنا وناشئة المسلمين شر الأشرار وكيد الفجَّار بمنِّه وكرمه.

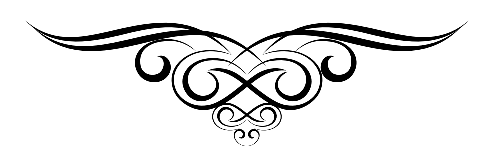
أيُّها المؤمنون: لنجاهد أنفسنا على تكميل صيامنا وتتميم عبادتنا فإنَّ الله جَلَّوَعَلَا يقول : ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩﴾ [سُورَةُ العَنكَبُوتِ] .

أيُّها المؤمنون: وفي قول نبيِّنا ﷺ: «**يَذْهَبْنَ بِوَحَرِ الصَّدْرِ**» - أي صيام شهر الصبر وثلاثة أيام من كل شهر- فائدة عظيمة جليلة القدر ينبغي على الصَّائم أَنْ يتفطَّن لها أَلَا وهي عِبَاد الله: أنَّ الصِّيام ولاسيما صيام رمضان وهو صيام فريضة يعدُّ مدرسةً عظيمة تربوية لتهذيب السُّلوك وإصلاح النَّفس، فهي فرصةٌ ثمينةٌ لا تعوَّض أَنْ يعالج المرء نفسه من خلال عبادة الصِّيام؛ وذلك بالعمل على تنقية قلبه من دسائس القلوب وأحقادها وأضغانها وخباياها مِنَ الأعمال القبيحة والأمور السَّيِّئَة والسخائم الشنيعة التي تنطوي عليها القلوب.

ولهذا عباد الله: إنَّها لفرصة عظيمة أن يداوي المرء نفسه في إصلاح قلبِه بإخراج الأحقاد والحسد والضغائن ونحو ذلك من الأعمال القبيحة الَّتِي قد تنطوي عليها القلوب وربما تمتلأ بها كثير مِنَ النُّفوس، ففرصةٌ عظيمة من خلال عبوديَّة الصِّيام فرضها ونفلها أن يذهب ما في قلب المرء من وحر الصَّدر غِلًّا وحقدًا وحسدًا وغير ذلك، وإن لم تذهب هذه الأشياء وأحس المرء ببقائها في نفسه فليعلم أن في صيامه دخن.

والله تعالى أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.







كَلِمَات فِي مُنَاسَبَات
مِنْ صِفَاتِ
الزَّوْجَةِ الصَّالِحَةِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيِّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمَّدًا عبده ورسوله، صلَّى الله وسلَّم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين، أمَّا بعد:

فأسأل الله جَلَّ وَعَلَا لي ولكم جميعًا التوفيق والسداد والهداية والرَّشاد، وأن يمنَّ علينا بالعلم النَّافع والعمل الصالح، وأن يعلِّمنا ما ينفعنا وأن ينفعنا بما علَّمنا وأن يزيدنا علمًا إنه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ سميع الدعاء وهو أهل الرَّجاء وهو حسبنا ونعم الوكيل.

ثمّ إنَّ موضوع هٰذه المطوية التي هي بعنوان: « **مِنْ صِفَاتِ الزَّوْجَةِ الصَّالِحَةِ** » ليس الكلام والخطاب فيها مختصا بالشابة المقبِلة على الزَّواج الرَّاغبة في معرفة صفات الزَّوجة لتتحلَّى بها ولتهيِّئ نفسها لتحقيقها وتتميمها وتكميلها، وليس أيضًا مختصًّا بالمرأة المتزوِّجة التي قد أحبّت لنفسها صفات الزَّوجة الصالحة لتحافظ عليها ولتحققها في حياتها، كما أنه ليس مختصًّا بالمرأة المقصِّرة لعلاج ما عندها من تقصير وتذكيرها بجوانب النَّقص لتتدارك أمْرها وحياتها الزَّوجية الكريمة؛ بل إنَّه خطابٌ وتذكرةٌ أعمّ من هٰذا كله؛ فهو تذكرةٌ للأب الذي يُريد لبناته ومن تحت يده نشأةً طيِّبةً وحياةً كريمةً ودخولًا للحياة الزّوجية على وفق مراد الله ومراد رسوله ﷺ، لتكون عونًا له ليذكِّرهن بالضَّوابط الشَّرعية والصِّفات المرعية التي ينبغي على الفتاة أن تنشأ عليها، وتَذْكِرةٌ للأم وهي راعية في بيتها ومسؤولةٌ عن بناتها، وموجِّهةٌ لهنَّ، وكثيرٌ من البنات ينشأن على أنواع من

الأخلاق والصِّفات اكتسبنها من الأم ، وهو تَذكِرةٌ كذٰلك للدُّعاة للعناية بهٰذا الأمر والاهتمام به، والسَّعي في نشر هٰذه الصِّفات الفاضلة والأخلاق الحميدة والخلال المباركة لتكون صفاتٍ للبنات والنِّساء في مجتمع الإيمان وفي ديار المُؤمنين ؛ لاسيَّما ونحن نعيش زمنًا غُزيت فيه المرأة غزوًا لم يحْصل لها في أيِّ فترة من فترات التَّاريخ السَّابقة، عبر مجالات عديدة وقنوات كثيرة ووسائل متعدِّدة تهدف للإطاحة بعفّة المرأة وشرفها وكمالها وحِلْيتها وزينتها وإيمانها وأخلاقها وفضيلتها.

فهذه كلمات عن صفات الزوجة الصالحة، أسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يكتب فيها خيرا ونفعا، وأن يجعلها مفتاح خير مغلاق شر، وأن يجعل فيها هداية للقلوب، وصلاحا للنفوس، وصلة برب العالمين، لتحقيق رضاه، ونيل محابه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ والبعد عما يسخطه ويغضبه جَلَّوَعَلَا، فأقول وبالله أستعين:

وأول ما أبدأ به ما جاء في «سورة النساء» في ذكر صفات الزوجة الصالحة:

قال الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ: ﴿ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلۡغَيۡبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ﴾ [النساء: ٣٤].

لقد أتى هذا الجزء من الآية على مجامع الأمور في هذا الباب، واستوعب بدلالته وجمعه كل صفة فاضلة ونعت كريم للمرأة الصالحة، وهي مَنْ جَمَعَتْ بين صفتين:

الصفة الأولى: تتعلق بصلتها بربها، ففي قوله سبحانه : ﴿ قَٰنِتَٰتٌ ﴾، والقنوت هو المداومة على طاعة الله، والمحافظة على عبادة الله، والالتزام بطاعة الله، والعناية بفرائض الإسلام وواجبات الدين، وعدم إهمالها وإضاعتها.

الصفة الثانية: تتعلق بصلتها بزوجها، في قوله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿ حَٰفِظَٰتٞ لِّلۡغَيۡبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ﴾، أي: حافظة لحق زوجها في الغيب، وكذلك في الشهادة، تحفظه في ماله، تحفظه في فراشه، تحفظه في حقوقه، تحفظه في واجباته.

ويدخل في قوله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿ قَٰنِتَٰتٌ ﴾ حفظ المرأة لفرائض الإسلام وواجبات الدين.

وقد جاء في هذا المعنى قول النبي ﷺ: «**إِذَا صَلَّتْ الْمَرْأَةُ خَمْسَهَا، وَصَامَتْ شَهْرَهَا، وَحَصَّنَتْ فَرْجَهَا، وَأَطَاعَتْ بَعْلَهَا، دَخَلَتْ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ شَاءَتْ**»[1].

❍ ثم من صفات الزوجة الصالحة: **الحذر من الشيطان الرجيم**، والشيطان مهمته في هذه الحياة الإفساد: إفساد الدين، وإفساد الخلق، وإفساد المعاملة، وإفساد العشرة، وإفساد الأخوة، وإفساد كل ما هو خير، وفي كل يوم يَبْعَثُ بعوثا ويرسل جنودا للقيام بهذه المهام.

وتأمل معي هذا الحديث[2]، قال النبي ﷺ: «**إِنَّ إِبْلِيسَ يَضَعُ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ ثُمَّ يَبْعَثُ سَرَايَاهُ**» أي: يرسل الجنود والبعوث للإفساد، «**فَأَدْنَاهُمْ مِنْهُ مَنْزِلَةً أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً**» يعني: أقربهم إليه أعظمهم فتنة بين الناس، «**يَجِيءُ أَحَدُهُمْ**» يعني: أحد هؤلاء الجنود، «**فَيَقُولُ: فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا، فَيَقُولُ: مَا صَنَعْتَ شَيْئًا، ثُمَّ يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ: مَا تَرَكْتُهُ حَتَّى فَرَّقْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ امْرَأَتِهِ، فَيُدْنِيهِ مِنْهُ**» أي إبليس يدني هذا منه، «**وَيَقُولُ نِعْمَ أَنْتَ**»، قَالَ الْأَعْمَشُ أُرَاهُ قَالَ «**فَيَلْتَزِمُهُ**» أي: يحتضنه ويقربه منه ويدنيه إذا فرق بين المرأة وزوجها.

هنا تحتاج الزَّوجة الصَّالحة أن تتفقَّه في هٰذا الباب وأن تَعِيَ هٰذه الحقيقة و كذلك

(١) رواه ابن حبان في «صحيحه»(٤١٦٣)، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب» (١٩٣١).
(٢) رواه مسلم (٢٨١٣).

زوجها، أن يعيَ كلُّ واحدٍ منهما أنّ ثَمة عدوًّا خفيًّا يراكَ ولا تراه ويجري منك مجرى الدَّم من العروق؛ ينفث، يوسوس، يكيد، يمكر، كلُّ ذلك يمارسه وأنت لا تراه، يُلقي في قلبك و قلبها الوساوس، و يُوقع الشُّكوك .. إلى أن تقع العداوات، وله منافذ عديدة، ولهذا جاءت السّنة بالتحصين منه عند دخول البيت، وعند المعاشرة، وعند الطَّعام، وعند الغضب، في كلِّ أمر من الأمور يحتاج الإنسان إلى التحصين من الشيطان لئلا يشاركه الشيطان في أهله وبيته وولده.

كما ينبغي أن نلاحظ ملاحظة مفيدة : أنّ هٰذا العدو الخفيّ الذي يراك ولا تراه صاحب خبرةٍ واسعة وصاحب تجارب عديدة، الآن عندما يتحدثون عن بعض الخبرات لدى بعض الشركات فإن أطول خبرة قد تصل إلى الخمسين أو الستين سنة ؛ لٰكن خبرة إبليس في الإغواء والصدّ وحرف الناس وإيقاع العداوات خبرة آلاف السنوات، كم من الناس دخلوا الحفر ودُفنوا وكانوا من أسارى دعوة الشَّيطان الرَّجيم، ومن آثار إفساده و إغوائه ؛ ولهٰذا يحتاج البيتُ المسلمُ إلى أن يحصِّن نفسه وأن يصونها وأن يُبعدَها من الشَّيطان الرَّجيم .

❍ ومن صفات الزوجة الصالحة: **إدخال السرور على زوجها** إذا نظر إليها في هيئتها، وفي منظرها، وفي شكلها، وفي لباسها، وأن تكون معودة لنفسها على طاعته والاستجابة لأوامره بدون استنكاف أو استكبار أو تعال، وليتأمل في ذلك حديث النبي ﷺ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه **قِيلَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ أَيُّ النِّسَاءِ خَيْرٌ؟ قَالَ: «الَّتِي تَسُرُّهُ إِذَا نَظَرَ، وَتُطِيعُهُ إِذَا أَمَرَ، وَلاَ تُخَالِفُهُ فِي نَفْسِهَا وَمَالِهَا بِمَا يَكْرَهُ»**[١].

ومن الأمور المؤسفة أن كثيرا من النساء لا تعرف الزينة والتجمُّل إلَّا إذا أرادت أن تخرج من البيْت، وتغادره لحضور مناسبةٍ ما أو اجتماعٍ ما أو نحو ذلك، أمّا

(١) رواه النسائي في «سننه» (٣٢٣١)، وحسنه الألباني في «الصحيحة» (١٨٣٨).

فيما يتعلق بحق الزَّوج إذا دخل فتلقاه بثياب رثَّةٍ، تلقاه برائحةٍ غير طيبة، تلقاه بشعر شعثٍ، و بصفاتٍ تصدُّه عنها وتقطع من رغبته فيها، ثم يفاجأ أنها في كلِّ مرة تريد أن تخرج من البيت تخرج بزينةٍ لا يحظَى ولو بعُشرِها؛ فأيُّ رغبة تملأ قلب هذا الزوج تجاه من هذه صفتها؟! وأيُّ حبٍّ يكتنف جوانحه إذا كان هذا شأنها معه ؟

وجاء في صحيح مسلم[1] **من حديث جابر** رَضِيَ اللهُ عَنْهُ **أن النبي** ﷺ **قال:** «**إذا قدِم أحدكم ليلًا فلا يأتينَّ أهله طُروقًا**» يعني لا يفاجئهم في الليل؛ لماذا ؟ قال: «**حَتَّى تَسْتَحِدَّ الْمَغِيبَةُ وَتَمْتَشِطَ الشَّعِثَةُ**»، وهٰذا فيه لفتة كريمة للمرأة أنها هٰكذا ينبغي أن تلقى زوجها؛ بكمال نظافتها وحسن هيئتها وجمال استعدادها ولاسيما إذا كان قدِم من غيبة أو من سفر، هٰذا أمر يتطلب منها استعدادا وتهيؤا حتى في ترتِيب البيت وتهيئتِه.

كما جاء عن أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال : «**أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِنِسَائِكُم فِي الجَنَّة؟**» يعني الزَّوجة الّتي صارت أهلًا ومهيأة لأَن تكون من أهل الجنة بصفاتها الحميدة و خلالها المباركة، قال: «**كُلُّ وَدُودٍ وَلُودٍ، إِذَا غَضِبَتْ أَوْ أُسِيءَ إِلَيْهَا أَوْ غَضِبَ زَوْجُهَا قَالَتْ: هَـٰذِهِ يَدِي فِي يَدِكَ لَا أَكْتَحِلُ بِغَمْض حَتَّى تَرْضَى**»[2] يعني: لا أغمض عيني ولا أهنأ بنوم ولا تقرّ لي عين حتى ترضى عني، ومن المؤسف أن بعض النِّساء لا تبالي، ينام زوجها اللَّيلة و الاثنتين والثَّلاث والعشر والشهر وهو مغضب، و كأنّ الأمر لا يعنيها ! ولا كأنها ستلقى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ويحاسبها على هٰذه الأمور وعلى هٰذه الأعمال.

❍ ومن صفات الزوجة الصالحة: ما جاء عن النبي ﷺ أنه قال: «**خَيْرُ نِسَائِكُمْ**

(١) برقم: (٧١٥).

(٢) معجم الطبراني «الأوسط» (١٧٤٣)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٣٣٨٠).

الوَدُود الوَلُود المُوَاتِيَة المُوَاسِيَة إِذَا اتَّقَيْنَ الله، وَشَرّ نِسَائِكُم المُتبَرِّجَات المُتَخَيِّلَات وَهُنَّ المُنَافِقَات لَا يَدْخُل الجَنَّة مِنْهُنَّ إِلَّا مِثل الغُرَاب الأَعْصَم»[1].

فانظر إلى هذه الصفات للزوجة الصالحة:

«**الودود**»: وهذه صفة كريمة وخلة حميدة في المرأة الصالحة والزوجة المباركة، وهي المتصفة بالود وحسن التودد، وأحق الناس بذلك الزوج، فالتودد يكون بالكلام، ويكون بالهيئة، ويكون بالمظهر، ويكون بالعمل، ويكون بالخلق.

«**الولود**»: كثيرة الإنجاب، وهي صفة حميدة في المرأة، وهي من خير النساء، وقد قال النبي ﷺ: «**تَزَوَّجُوا الْوَدُودَ الْوَلُودَ؛ فَإِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمُ الأُمَمَ يوم القيامة**»[2].

لكن إذا كانت المرأة مبتلاة بعلة أو مرض فهذا أمر لا يضرها؛ لأنه ليس أمرا قصرت فيه أو سعت هي في الإخلال به؛ فلا يحاسبها الله على ذلك ولا يضرها ذلك، ولا يتنافى ذلك مع صلاحها.

«**المواتية**» أي: التي ليست فظة ولا غليظة، بل هي مواتية تسمع وتطيع وتستجيب ولا تستنكف ولا تستكبر ولا تستعلي على الزوج، ولا يكون منها نشوز أو تعال.

«**المواسية**» أي: التي تواسي زوجها وتقف إلى جنبه، وتكون عونا له على الخير وعلى طاعة الله، وعلى ما فيه السعادة والفلاح.

«**إِذَا اتَّقَيْنَ اللهَ**» أي: أنّ هٰذه الصفات إنَّما تكون نافعة للمرأة إذا اتقت الله جَلَّ وَعَلَا، فلو كانت ودودًا ولودًا مواتيةً مواسية وهي تطلب بذٰلك أمر الدُّنيا ليست متّقية لله لم تُفِدها هٰذه الصفات ولم تنفعها، وإنَّما تكون هٰذه الصِّفات نافعة لها إذا

(١) رواه البيهقي في «سننه (٧/ ٨٢)»، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٨٤٩).

(٢) أخرجه أحمد (١٢٦١٣)، وصححه الألباني في «الإرواء» (١٧٨٤).

اتصفت بها طلبًا لرضا الله جلَّ وعلا وسعيًا في تحقيق تقواه .

❍ ومن صفات الزوجة الصالحة: **عدم التقصير في حقوق الزوج**، وبذل الوسع والجهد في خدمته؛ وليتأمل في هذا الحديث: عن حصين بن محصن عن عمة له: أنها أتت رسول الله ﷺ لحاجة، فلما فرغ من حاجتها، قال: «**أَذَاتُ زَوْجٍ أَنْتِ؟**» قالت: نعم؛ قال: «**فَكَيْفَ أَنْتِ لَهُ؟**» قالت: ما آلوه إلا ما أعجز عنه؛ قال: «**انْظُرِي أَيْنَ أَنْتِ مِنْهُ ! فَإِنَّهُ جَنَّتُك وَنَارُك**»(١).

متى يكون الزَّوج لزوجته جنّةً ؟ ومتى يكون نارًا ؟ هنا يجب على المرأة أن تَعيَ هٰذه الحقيقة، أن تَعيَ هٰذا الأمر الكبير «**أين أنتِ منه؟**»، عليك واجبات وأنتِ عبد لله، وثمّة جنة ونار، والله عَزَّوَجَلَّ أمَرَك و أوجَبَ عليكِ هٰذه الحقوق تجاه الزوج، قومي بها، أدِّيها على التمام والكمال طاعة لله وطلبا لرضاه سبحانه، أدِّي الذي عليك واسألي الله الذي لكِ «**فإنه جنَّتك ونارُك**».

❍ ومن صفات الزوجة الصالحة: **عدم إرهاق الزوج بالنفقة**، وألا تكون أداة في البيت للبذخ والإسراف وإضاعة مال الزوج بل تعتدل؛ ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ۝٦٧﴾ [الفرقان].

❍ ومن صفات الزوجة الصالحة: **عدم كفران المنعمين**، أي: لا تكفر ما يسر الله تبارك وتعالى لها من نعمة عن طريق زوجها، وفي الحديث: «**لاَ يَشْكُرُ اللهَ مَنْ لاَ يَشْكُرُ النَّاسَ**»(٢).

ومما جاء في هذا الباب عن أسماء ابنة يزيد الأنصارية قالت: مر بي النبي ﷺ

(١) رواه النسائي في« السنن الكبرى»(٨٩١٣)، ورواه أحمد (١٩٠٠٣)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢٦١٣).

(٢) أخرجه أحمد (٧٩٣٩)، وأبو داود (٤٨١١)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٨٢٣).

وأنا في جوار أتراب لي فسلم علينا، وقال: «**إِيَّاكُنَّ وَكُفْرَ الْمُنْعَمِينَ**» فقلت: يا رسول الله وما كفر المنعمين؟ قال: «**لَعَلَّ إِحْدَاكُنَّ تَطُولُ أَيْمَتها مِنْ أَبَوَيْهَا ثُمَّ يَرْزُقُهَا الله زَوْجًا وَيَرْزُقُهَا مِنْهُ وَلَدًا فَتَغْضَبُ الغَضْبَةَ؛ فَتَكْفُرُ فَتَقُول: مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطّ**»(١).

قوله: «**تطول أيمتها من أبويها**» يعني: يتأخر زواجها.

❍ ومن صفات الزوجة الصالحة: احترام الزوج، ومعرفة قدره وحقه، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله ﷺ قال: «**لَا آمُرُ أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لِأَحَدٍ، وَلَوْ أَمَرْتُ أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لِأَحَدٍ لَأَمَرْتُ المَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا**»(٢).

ويتضاعف حق الزوج إن كان رجلا من أهل الصلاح والتقى والديانة والمحافظة على عبادة الله والرعاية لطاعته؛ فعن معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَا تُؤْذِي امْرَأَةٌ زَوْجَهَا فِي الدُّنْيَا إِلَّا قَالَتْ زَوْجَتُهُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ لَا تُؤْذِيهِ قَاتَلَكِ اللهُ فَإِنَّمَا هُوَ عِنْدَكِ دَخِيلٌ يُوشِكُ أَنْ يُفَارِقَكِ إِلَيْنَا**»(٣).

قال أهل العلم: في الحديث إنذار شديد للنساء المؤذيات لأزواجهن.

❍ ومن صفات الزوجة الصالحة: إذا من الله عَزَّوَجَلَّ عليها وأكرمها بالأولاد أن تعدل بينهم، كما قال ﷺ: «**اعْدِلُوا بَيْنَ أَوْلَادِكُمْ اعْدِلُوا بَيْنَ أَبْنَائِكُمْ**»(٤).

❍ ومن صفات الزوجة الصالحة: أن تقر في بيتها، وألا تكون خراجة ولاجة، وإذا خرجت لا تخرج إلا لحاجة، ولا تكون متبرجة سافرة، وأيضا تكون غاضة

(١) رواه البخاري في «الأدب المفرد» (١٠٤٨)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٨٢٣).
(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١١/ ٣٥٦)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٣٤٩٠).
(٣) سنن الترمذي (١١٧٤)، وسنن ابن ماجة (٢٠١٤)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٧٣).
(٤) رواه أبو داود (٣٥٤٤)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٢٤٠).

لبصرها، حافظة لفرجها، وقد مر معنا في هذا بعض النصوص، ومما ورد في هذا عن سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه عن رسول الله ﷺ قال: «**الْمَرْأَةُ عَوْرَةٌ، وَإِنَّهَا إِذَا خَرَجَتْ اسْتَشْرَفَهَا الشَّيْطَانُ** - أي: جعلها غرضا له - **وَإِنَّهَا لَا تَكُونُ أَقْرَبَ إِلَى اللهِ مِنْهَا فِي قَعْرِ بَيْتِهَا**»(١).

❍ ومن صفات الزوجة الصالحة: **عدم إفشاء سر الزوج والأمور الخاصة بين الزوجين** حتى لو وقع بينهما فرقة ولم يتحقق وئام، فكل منهما عليه أن يتقي الله عز وجل في هذا الأمر.

فعن أسماء بنت يزيد: أنها كانت عند رسول الله ﷺ والرجال والنساء قعود عنده فقال: «**لَعَلَّ رَجُلًا يَقُولُ مَا يَفْعَلُ بِأَهْلِهِ، وَلَعَلَّ امْرَأَةً تُخْبِرُ بِمَا فَعَلَتْ مَعَ زَوْجِهَا، فَأَرَمَّ الْقَوْمُ**(٢) **فَقُلْتُ: إِي وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّهُنَّ لَيَقُلْنَ وَإِنَّهُمْ لَيَفْعَلُونَ قَالَ فَلَا تَفْعَلُوا فَإِنَّمَا ذَلِكَ مِثْلُ الشَّيْطَانِ لَقِيَ شَيْطَانَةً فِي طَرِيقٍ فَغَشِيَهَا وَالنَّاسُ يَنْظُرُونَ**»(٣).

فقوله ﷺ: «**فَإِنَّمَا ذَلِكَ مِثْلُ الشَّيْطَانِ لَقِيَ شَيْطَانَةً فِي طَرِيقٍ فَغَشِيَهَا وَالنَّاسُ يَنْظُرُونَ**» يعني: المرأة التي بهذه الصفة والرجل الذي بهذه الصفة يفشي الأسرار الزوجية مثلهما مثل الشيطان لقي شيطانة في الطريق وغشيها والناس ينظرون.

هذه بعض صفات الزوجة الصالحة جمعتها من كتاب الله عَزَّوَجَلَّ ومن سنة النبي الكريم ﷺ راجيا الرب سبحانه أن ينفع بها من شاء من عباده فهو وحده ولي التوفيق.

❑❑❑❑❑❑❑❑❑

(١) رواه الطبراني في «الأوسط» (٢٨٩٠ و٨٠٩٦)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢٦٨٨).

(٢) أي سكتوا.

(٣) رواه الإمام أحمد (٢٧٥٨٣)، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (٢٠٢٢).


كَلِمَات فِي مُنَاسَبَات
فَضْلُ
عشر ذي الحجة
وأحكام الأضحية

بسم الله الرحمن الرحيم

إنَّ الحمد لله ، نَحمدُه ونستعينُه ونستغفره ونَتوب إليه، ونَعوذُ بالله مِنْ شُرُور أنفسنا وسَيِّئَات أعمالنا، مَنْ يهده الله فَلَا مُضِلَّ له، وَمَنْ يُضلل فَلَا هَادِي له، وأشهدُ أَنْ لا إله إِلَّا الله وحده لا شريك له، وأشهدُ أَنَّ محمداً عبده ورسوله، وصفيُّه وخليله، وأَمِينه على وَحْيه، ومبلِّغ النَّاس شرعَه، ما ترك خيراً إلا دلَّ الأمَّة عليه، ولا شراً إِلَّا حذَّرها مِنْه؛ فَصَلَوات الله وسلامُه عليه وَعَلى آله وَصَحْبه أجمعين.

أَمَّا بَعْدُ:

عباد الله: اعلموا رحمكم الله أَنَّنَا نستقبلُ أياماً فاضلة جاء في فضلها والتَّنْويه بشأنها نصوص عديدة عن رسول الله ﷺ؛ مِنْهَا ما رواه الإمام البخاري وغيره عَنْ ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَا الْعَمَلُ فِي أَيَّامِ الْعَشْرِ أَفْضَلَ مِنَ الْعَمَلِ فِي هَذِهِ**».

قَالُوا: وَلاَ الْجِهَادُ؟

قَالَ: «**وَلاَ الْجِهَادُ، إِلاَّ رَجُلٌ خَرَجَ يُخَاطِرُ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فَلَمْ يَرْجِعْ بِشَيْءٍ**»[(١)].

إنَّها أيَّام فاضلة عظيمة يَنْبَغِي على المُسلم أَنْ يقْدُرها قَدْرَها وأَنْ يحرصَ عَلَى طَاعة الله فِيهَا فَإِنَّها خير أيَّام الله[(٢)]، وفي هذه الأيَّام يوم عرفة الَّذي هُو مِنْ خير أيَّام السَّنَة.

---

(١) برقم (٩٦٩).

(٢) عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ :«أَفْضَلُ أَيَّام الدُّنْيَا أَيَّامُ الْعَشْرِ» رواه البزار (١١٢٨)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١١٣٣).

عباد الله وَفِي هـذه الأيَّام تجتمع أُمَّهات العبادات وهي: الصَّلاة، والصِّيام، والصَّدقة، والحج، وَلَا تَجْتَمِع هذه الطَّاعات إِلَّا في مِثْل هَـذِه الأيَّام المُبَاركة.

وَيُسْتَحَبُّ للمسلم في هـذه الأيَّام أَنْ يُكْثِر مِنْ طاعة الله، وَأَنْ يحَافِظَ على عِبَادَة الله، وَأَنْ يُكْثِر مِنْ ذِكْر الله، وَأَنْ يُكْثِر مِنْ بَذْل الخَير وَالإِحْسَان مِنْ بِرِّ الوَالدين وَصِلَةِ الأَرْحَام، وَتِلَاوَة القرآن وَذِكْر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ إِلَى غَيْر ذَلِك مِنَ الأَعمال المُبَاركة المُقَرِّبَة إِلى الله جَلَّ وَعَلَا .

أَيُّهَا المؤمنون عباد الله: إنَّ مِنْ نعمة الله العظيمة على أهل البُلْدَان في بلدانهم أَنْ يسَّر لهم الله جَلَّ فِي عُلَاه أَنْ يُشَارِكُوا حجَّاج بيت الله في شعيرة عظيمة وطاعة جليلة تكون في يوم النَّحر وفي أيَّام التشريق الثَّلاثة؛ فإنَّ الحجاج -أيها المؤمنون- يتقرَّبُون إلى الله في تلك الأيَّام بنحر الهدايا، والمسلمون في البلدان يتقرَّبون إلى الله عَزَّوَجَلَّ بذبح الضَّحايا.

أيها المؤمنون عباد الله: ولهذه المُشَارَكة العظيمة جاء في حديث أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنَّ النَّبي ﷺ قال: « **إِذَا دَخَلَتِ الْعَشْرُ وَأَرَادَ أَحَدُكُمْ أَنْ يُضَحِّيَ فَلَا يَمَسَّ مِنْ شَعَرِهِ وَبَشَرِهِ شَيْئًا** »[(١)]، وفي رواية «**فَلْيُمْسِكْ عَنْ شَعْرِهِ وَأَظْفَارِهِ**»؛ وهذه -عباد الله- أيضا مشاركة مِنْ أهل البلدان لحجاج بيت الله الحرام؛ فالحاج عندما يُهِلُّ بالنُّسُك يكون عليه مِنْ مَحْظُورَات الإحرام أَنْ يَأْخُذ مِنْ شَعْرِه وبَشَره شيئا، وهكذا المُضَحِّي؛ أي: مَنْ أرادَ أَنْ يُضَحِّي، ولا يشمل الحكم أهله وولده وإنَّما يخص مَنْ أراد أَنْ يُضَحِّي بأن لَا يأخذ مِن شعره وبشَره شيئا .

وهذا الحكم عباد الله للتَّحْريم، وقد جُمع في هذا الحديث في روايتيه بين النهي والأمر، والأصل في الأمر الوجوب، والأصل في النهي التَّحريم؛ ولهذا - عباد

(١) رواه مسلم (١٩٧٧).

الله- فَلْيَتَنَبَّه كُلُّ مَنْ أَرَاد أَنْ يُضَحِّي فَلَا يأخذ من شعره وأظفاره شيئًا حتَّى يذبحَ أُضْحِيَّته.

أيها المؤمنون عباد الله: إنَّ مِنَ القُرَب العظيمة والطَّاعات الجليلة التقرب إلى الله ﷻ بذبح الضحايا وإراقة دماء بهيمة الأنعام طاعةً لله وطلبًا لرضاه وتحقيقًا لتقواه ⁽¹⁾، والله جَلَّ وَعَلَا يقول: ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ﴾ [سُورَةُ الحَجِّ :٣٧].

وإقامة هذه الشعيرة علامةٌ من علامات تقوى القلوب لله عَزَّوَجَلَّ وذلك في حق المُسْتَطِيع، قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾ [سُورَةُ الحَجِّ].

والأصلُ في مشروعيتها - أيها المؤمنون - كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وإجماع المسلمين، قال الله تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴿٢﴾﴾ [سُورَةُ الكَوْثَرِ]، وقال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [سُورَةُ الأَنْعَامِ]، والنُّسك: الذَّبح.

وفي الصَّحيحين مِنْ حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «**ضَحَّى النَّبِيُّ ﷺ بِكَبْشَيْنِ أَمْلَحَيْنِ ⁽²⁾ أَقْرَنَيْنِ، ذَبَحَهُمَا بِيَدِهِ، وَسَمَّى وَكَبَّرَ، وَوَضَعَ رِجْلَهُ عَلَى صِفَاحِهِمَا**»

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَأَجَلُّ الْعِبَادَاتِ الْمَالِيَّةِ النَّحْرُ، وَأَجَلُّ الْعِبَادَاتِ الْبَدَنِيَّةِ الصَّلَاةُ، وَمَا يَجْتَمِعُ لِلْعَبْدِ فِي الصَّلَاةِ لَا يَجْتَمِعُ لَهُ فِي غَيْرِهَا مِنْ سَائِرِ الْعِبَادَاتِ كَمَا عَرَفَهُ أَرْبَابُ الْقُلُوبِ الْحَيَّةِ وَأَصْحَابُ الْهِمَمِ الْعَالِيَةِ وَمَا يَجْتَمِعُ لَهُ فِي نَحْرِهِ مِنْ إيثَارِ اللهِ وَحُسْنِ الظَّنِّ بِهِ وَقُوَّةِ الْيَقِينِ وَالْوُثُوقِ بِمَا فِي يَدِ اللهِ أَمْرٌ عَجِيبٌ إذَا قَارَنَ ذَلِكَ الْإِيمَانَ وَالْإِخْلَاصَ وَقَدْ امْتَثَلَ النَّبِيُّ ﷺ أَمْرَ رَبِّهِ فَكَانَ كَثِيرَ الصَّلَاةِ لِرَبِّهِ كَثِيرَ النَّحْرِ حَتَّى نَحَرَ بِيَدِهِ فِي حِجَّةِ الْوَدَاعِ ثَلَاثًا وَسِتِّينَ بَدَنَةً وَكَانَ يَنْحَرُ فِي الْأَعْيَادِ وَغَيْرِهَا» «مجموع الفتاوى» (١٦/ ٥٣٢).

(٢) «الأملح: الذي بياضه أكثر من سواده، وقيل: هو النقي البياض» «النهاية في غريب الحديث والأثر» (ص١١٤٩).

((١)).

وفي الترمذي ((٢)) وحسَّنه من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: «**أَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالمَدِينَةِ عَشْرَ سِنِينَ يُضَحِّي**».

وفي الترمذي ((٣)) كذلك عَنْ أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه قال: «**كَانَ الرَّجُلُ يُضَحِّي بِالشَّاةِ عَنْهُ وَعَنْ أَهْلِ بَيْتِهِ فَيَأْكُلُونَ وَيُطْعِمُونَ**».

والأحاديث في هذا الباب كثيرة عديدة.

والأُضْحِية - أيها المؤمنون- سُنَّة مُؤَكَّدة في قول جمهور أهل العلم ((٤))، وَمِن أهل العلم من أوجبها ((٥)) في حقِّ المستطيع على ذلك، وهي نسك عظيم وشعيرة جليلة من شعائر الإسلام تُقدَّم ويُتقرب إلى الله عَزَّوَجَلَّ بها في وقتها وهو يوم النحر بعد صلاة العيد وفي أيام التشريق الثلاثة إلى غروب الشمس من اليوم الثالث؛ وهذا وَقْتُها -عباد الله- فَمَنْ ذَبَحَها قبل الوقت أو ذبحها بعد الوقت فإنَّها تكون شاةً له ولأهله ولا تكون أُضْحِيَّة مقبولة.

---

(١) رواه البخاري (٥٥٦٥)، ومسلم (١٩٦٦).

(٢) برقم (١٥٠٧).

(٣) برقم (١٥٠٥).

(٤) «قول الشَّافِعِيَّةُ وَالْحَنَابِلَةُ، وَهُوَ أَرْجَحُ الْقَوْلَيْنِ عِنْدَ مَالِكٍ، وَإِحْدَى رِوَايَتَيْنِ عَنْ أَبِي يُوسُفَ إِلَى أَنَّ الأُضْحِيَّةَ سُنَّةٌ مُؤَكَّدَةٌ.

وَهَذَا قَوْل أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَبِلاَلٍ وَأَبِي مَسْعُودٍ الْبَدْرِيِّ وَسُوَيْدِ بْنِ غَفَلَةَ وَسَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ وَعَطَاءٍ وَعَلْقَمَةَ وَالأَسْوَدِ وَإِسْحَاقَ وَأَبِي ثَوْرٍ وَابْنِ الْمُنْذِرِ»«الموسوعة الفقهية الكويتية» (٥/ ٧٦).

(٥) «ذَهَبَ أَبُو حَنِيفَةَ إِلَى أَنَّهَا وَاجِبَةٌ.

وَهَذَا الْمَذْهَبُ هُوَ الْمَرْوِيُّ عَنْ مُحَمَّدٍ وَزُفَرَ وَإِحْدَى الرِّوَايَتَيْنِ عَنْ أَبِي يُوسُفَ.

وَبِهِ قَال رَبِيعَةُ وَاللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ وَالأَوْزَاعِيُّ وَالثَّوْرِيُّ وَمَالِكٌ فِي أَحَدِ قَوْلَيْهِ»«المرجع السابق» (٥/ ٧٦).

فعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: «**ضَحَّى خَالٌ لِي يُقَالُ لَهُ أَبُو بُرْدَةَ قَبْلَ الصَّلاَةِ**»، **فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ** ﷺ: «**شَاتُكَ شَاةُ لَحْمٍ**»، **ثُمَّ قَالَ** ﷺ: «**مَنْ ذَبَحَ قَبْلَ الصَّلاَةِ فَإِنَّمَا يَذْبَحُ لِنَفْسِهِ، وَمَنْ ذَبَحَ بَعْدَ الصَّلاَةِ فَقَدْ تَمَّ نُسُكُهُ وَأَصَابَ سُنَّةَ الْمُسْلِمِينَ**»((١)).

وتأمَّل – رعاك الله– في تسمية النَّبِيّ ﷺ في هذا الحديث للأضحية بأنها نسك وأنها سنة المسلمين؛ فينبغي على المسلم القادر المستطيع أَنْ يحرص على هذا النُّسُك العظيم وعلى هذه السُّنَّة المباركة الَّتِي هي مِنْ سنن المسلمين بوصف النَّبِي ﷺ لها بذلك.

أيها المؤمنون عباد الله: والأضحية لا تكون إِلَّا مِنْ بهيمة الأنعام، قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾ [سُورَةُ الحَجِّ :٣٤]، وبهيمة الأنعام هي: الإبل والبقر والغنم معزها وضأنها، والأفضل أن تكون بدنة ويليها البقر ثم الغنم.

ويصح – عباد الله– أن يشترك سبعةٌ في بَدَنَة أضحية لكل واحد منهم، عن كل واحد منهم وعن أهل بيته، وكذلك اشتراك سبعة في بقرة((٢)).

عباد الله: وينبغي للمُضَحِّي أَنْ يَتَخيَّر أضحيته وأن يحرص على طِيبها وحُسنها وسِمَنها وإن تمكن أيضاً مع قدرة مالية من غلاء ثمنها، وأَنْ يَتَقَرَّب إلى الله بها طيِّبةً بها نفسه منشرحاً صدره طالباً ثواب ربه جَلَّ وَعَلَا؛ فإنّها قربة من عظيم القرب، ويكفي – عباد الله– ما تقدم من قرنها في موضعين من كتاب الله بالصلاة، ولهذا

---

(١) رواه البخاري (٥٥٥٦)، ومسلم (١٩٦١).

(٢) عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنهما قَالَ: «**نَحَرْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَامَ الْحُدَيْبِيَةِ الْبَدَنَةَ عَنْ سَبْعَةٍ، وَالْبَقَرَةَ عَنْ سَبْعَةٍ**» رواه مسلم (١٣١٨).

وفي رواية: عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنهما قَالَ: «**حَجَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَنَحَرْنَا الْبَعِيرَ عَنْ سَبْعَةٍ، وَالْبَقَرَةَ عَنْ سَبْعَةٍ**» رواه مسلم (1319).

قال العُلَمَاء إِنَّها أجلُّ العبادات المالية كما أن الصلاة أجلُّ العبادات البدنية[(١)].

عباد الله: وينبغي للمضحي أن يحترز من المعيبة التي فيها عيب لا تجزئ به الأضحية وهو ما بيَّنه النبي ﷺ فيما صح وثبت عنه في السنن من حديث البراء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «**لَا يَجُوزُ مِنَ الضَّحَايَا: الْعَوْرَاءُ الْبَيِّنُ عَوَرُهَا، وَالْعَرْجَاءُ الْبَيِّنُ عَرَجُهَا، وَالْمَرِيضَةُ الْبَيِّنُ مَرَضُهَا، وَالْعَجْفَاءُ الَّتِي لَا تُنْقِي**»[(٢)].

وليست العيوب - عباد الله - محصورة في هذه الأربع بل ما كان مثلها أو أشد منها فإنه عيبٌ يمنع في الإجزاء للأضحية.

أيها المؤمنون عباد الله: إنَّهَا فرصة ثمينة للتَّقرُّب إلى الله عَزَّوَجَلَّ بهذه القُرْبَة العَظِيمَة والطَّاعَة الجَلِيلة؛ يُضَحِّي بها الرجل عنه وعن أهل بيته متقربًا إلى الله طالبًا رضاه قائمًا بهذا النُّسُك العظيم مُحَقِّقًا هذه الشعيرة الجليلة والسنة العظيمة من سنن المسلمين.

وإنا لنسأل الله جَلَّ وَعَلَا أَنْ يعيننا وإياكم على طاعته والتقرب إليه بما يحب في هذه العشر المباركة وفي أوقاتنا كلها، ونسأله جَلَّ وَعَلَا أن يعيننا وإياكم على ذكره وشكره وحسن عبادته.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

(١) هو قول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ كما تقدم قريبا.

(٢) رواه أبو داود (٢٨٠٢)، و الترمذي (١٤٩٧)، والنسائي (٤٣٧٤)، وابن ماجة (٣١٤٤)، وصححه الألباني في «الإرواء» (١١٤٨).


كَلِمَاتٌ فِي مُنَاسَبَاتٍ
الْحُجَّاجُ وَالْعُمَّارُ
وَفْدُ اللهِ تَعَالَى

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إنَّ الحمد لله؛ نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يُضلِل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا اللهُ وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله، وصفيُّه وخليله، وأمينه على وحيه، ومبلِّغ الناس شرعه، ما ترك خيرًا إلا دل الأمة عليه، ولا شرًا إلا حذَّرها منه؛ فصلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

أمَّا بعد:

أيها المؤمنون عباد الله : اتقوا الله تعالى؛ وراقبوه سبحانه في السر والعلانية، والغيب والشهادة مراقبة من يعلمُ أنَّ ربَّه يسمعُه ويراه .

واعلموا رعاكم الله أن تقوى الله عَزَّوَجَلَّ خير الوصايا وأعظمها وأجلُّ المقاصد وأكبرها، وهي وصية الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ للأولين والآخرين من خلقه، وهي وصية النبي ﷺ لأمَّته، وهي وصية السلف الصالح فيما بينهم.

جعلنا الله أجمعين من عباده المتقين وأوليائه المقربين.

أيها المؤمنون عباد الله : يقول الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ: ﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ ﴾ [الحج: ٢٧-٢٨][1].

(١) قال العلامة عبد الرحمن السعدي رحمه الله في «تفسيره» (ص٥٣٦):

« ﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ ﴾ أي: أعلمهم به، وادعهم إليه، وبلغ دانيهم وقاصيهم، فرضه وفضيلته، فإنك إذا دعوتهم، أتوك حجاجا وعمارا، رجالا أي: مشاة على أرجلهم من الشوق.

﴿ وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ ﴾ أي: ناقة ضامر، تقطع المهامه والمفاوز، وتواصل السير، حتى تأتي إلى أشرف

هـذا نـداءٌ أمـر الله عَزَّوَجَلَّ بـه خليلـه إبراهيـم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فقـام بذلك أتم قيـام، وتبِعه في ذلـك ابنـه محمـد عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ؛ فدعيـا إلى الحـج وأبديـا في ذلك وأعـادا، فتحقق موعـود الله جـل في عـلاه؛ فتوافـد النـاس مـن كل فـج وصـوب ومـن أقاصـي الدنيـا وأقاربها لأداء هـذه الطاعـة العظيمة وتلبية هـذا النداء الكريـم، وكلهم شـعاره: «**لَبَّيْكَ اللَّهُـمَّ لَبَّيْكَ**»؛ أي إننـا يـا الله مسـتجيبين لندائـك ممتثليـن أمـرك متلقينـه بالاسـتجابة والتلبيـة[1].

عبـاد الله: وهاهـم حجـاج بيـت الله يتوافـدون في هـذه الأيـام المباركة إلى هـذه البقاع الطاهـرة المباركـة لأداء هـذه الطاعـة العظيمة والعبـادة الجليلة حج بيـت الله الحرام.

فيـا معاشـر المؤمنين لنعـرف لهؤلاء الحجيج قدرهم، ولنرع لهـم مكانتهم، ولندرك -يـا معاشـر المؤمنيـن- أن وفـد الحجيـج خيـر وفدٍ وأشـرفه، وأحسـنه وأطيبـه؛ كيف لا! وهـم وفد الله جـل في علاه.

روى ابـن ماجـه في «سـننه» مـن حديـث أبي هريـرة رَضِوَٱللَّهُعَنْهُ أن النبي ﷺ قـال: «**الْحُجَّاجُ**

الأماكن.

﴿مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ أي: من كل بلـد بعيـد، وقـد فعـل الخليـل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ثـم مـن بعـده ابنه محمـد ﷺ، فدعيا النـاس إلـى حـج هـذا البيـت، وأبديـا في ذلـك وأعـادا، وقـد حصـل مـا وعـد الله بـه، أتـاه النـاس رجـالا وركبانا من مشـارق الأرض ومغاربهـا، ثـم ذكـر فوائـد زيـارة بيـت الله الحـرام، مرغبـا فيـه فقـال: ﴿ لِّيَشْهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمْ ﴾ أي: لينالـوا ببيت الله منافـع دينيـة، مـن العبـادات الفاضلـة، والعبـادات التـي لا تكـون إلا فيـه، ومنافـع دنيوية، من التكسـب، وحصـول الأربـاح الدنيويـة، وكل هـذا أمـر مشـاهد كل يعرفـه».

وللعلامة محمد الأمين الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ كلام نافع في تفسير هذه الآية: «أضواء البيان» (٤/ ٢٩٨).

(١) **فائدة:**

قـال شـيخنا عبـد المحسـن بـن حمـد العبـاد البـدر حفظـه الله: «وقـد اشـتملت تلبيـة رسـول الله ﷺ على إثبـات التوحيـد والـبراءة مـن الشـرك، وهـو مقتضـى كلمـة الإخـلاص (لا إلـه إلا الله)؛ فـإن قولـه: (لبيـك اللهـم لبيـك) بمعنـى (إلا الله)، وقولـه: (لا شـريك لـك) بمعنـى (لا إله)» «تبصيـر الناسـك بأحـكام المناسـك» (ص٩٠).

وَالْعُمَّارُ وَفْدُ اللهِ إِنْ دَعَوْهُ أَجَابَهُمْ، وَإِنِ اسْتَغْفَرُوهُ غَفَرَ لَهُمْ»[1].

وتأمل هذا الشرف العظيم الذي تبوأه حجاج بيت الله ؛ أن أضافهم النبي ﷺ في هذا الحديث إلى الله قال: «**وَفْدُ اللهِ**»، وهذه الإضافة يا معاشر المؤمنين تقتضي تشريف قدرهم وتعلية مكانتهم وبيان ما لهم على العباد ولاسيما أهل الحرمين من حقوق عظيمة وواجبات جسيمة، فهم -يا عباد الله- وفدٌ ليسو كأي وفد، وزوارٌ ليسو كأي زوار، بل هم أشرف وفد وخير زوار .

فينبغي على كل مسلم ولاسيما أهل هذه البلاد أن يرعوا لهؤلاء الحجيج قدرهم، وأن يعرفوا لهذا الوفد مكانته، وأن يعملوا على استيفاء ما لهم من حقوق وواجبات، بل وما لهم من مستحباتٍ من أبواب الإحسان وصنوف أبواب البر وهي واسعة كثيرة.

أيها المؤمنون عباد الله: وحقوق هؤلاء الحجاج على أهل هذه البلاد حقوق عظيمة يجب على كل مسلم أن يعمل على تحقيقها والقيام بها.

ومن أعظم ذلكم عباد الله: أن نستشعر مكانة هؤلاء الحجاج وعليَّ منزلتهم، فهم قد تركوا أوطانهم وتجشموا الصعاب وتحمَّلوا الأتعاب وتغربوا عن البلاد ميمِّمين بيت الله، طالبين رحمته جل في علاه، راجين رضوانه وغفرانه سبحانه، منفقين في ذلك الأموال الكثيرة، ومتحملين في ذلك الأتعاب العديدة؛ فحقهم علينا يا معاشر المؤمنين أن نعرف لهم قدرهم ولاسيما أن كثيرًا منهم من كبار السن مع كبر القدر الذي هم عليه، وقد قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : «**لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا وَيُوَقِّرْ كَبِيرَنَا**»[2] ، وكيف إذا كان اجتمع لهذا الكبير وقار الكبر

(١) رواه ابن ماجه (٢٨٩٢)، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (١١٠٩).

(٢) رواه ابو داود (٤٩٤٣)، والترمذي (١٩١٩) واللفظ له، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٤٤٥).

ووقار الطاعة العظيمة التي جاء لأجلها والمقصد الجليل الذي أتى للقيام به[١].

وإذا تأملت أيها المسلم رعاك الله في هذا المقام ما اكتنف الحاج من أنواع الشرف شرف الزمان وشرف المكان وشرف الحال أدركت عظم المسؤولية وكبر الواجب.

أما شرف المكان: فإن الحاج قد وصل إلى أشرف بقعتين وأطهر مكانين على وجه الأرض[٢].

وأما شرف الزمان: فإننا نعيش في هذه الأيام أشرف الأيام وأفضلها على الإطلاق.

وأما شرف الحال: فإن الحاج جاء متلبسًا بطاعة عظيمة وقربة جليلة وهي حج بيت الله والاعتمار[٣].

وإذا تأملت في هذا الشرف تلو الشرف الذي يكتنف هذا الحاج أدركتَ رعاك الله عظم المسؤولية وكبر الواجب، وإذا كانت من حقوق المسلمين عمومًا إلقاء السلام، وبذل الكلام الطيب، والملاقاة بالبشاشة والإحسان، والملاطفة والرفق والإحسان، إذا كانت هذه حقوقًا مطلوبةً مع كل مسلم فإنها في حق الحاج أعظم وتجاهه ألزم.

أيها المؤمنون عباد الله : وينبغي أن يدرَك في هذا المقام أن الإساءة إلى الحاج

(١) ولشيخنا عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر حفظه الله رسالة نافعة بعنوان:«حقوق كبار السن في الإسلام» ففيها زيادة فائدة.

(٢) مكة المكرمة، والمدينة النبوية.

(٣) قال لشيخنا عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر حفظه الله: «الواجب عليك أخي الحاج أن تحمد الله كثيرا على نعمته عليك العظيمة، بالتوفيق لأداء هذه الطاعة، والقدوم لتحقيق هذه العبادة، والتشرف برؤية بيت الله العتيق قبلة المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها.. »«دروس عقدية مستفادة من الحج» ضمن «الجامع للبحوث والرسائل» (ص٢٤١).

أو ظلمه أو الاعتداء عليه في نفسه أو ماله أو عرضه أو شيء من حقوقه ليس كالاعتداء على أي شخص آخر؛ لشرف حاله وعظم مكانته وأنه من وفد الله جل في علاه الذين أوجب الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ على العباد رعاية حقهم ومعرفة قدرهم.

أيها المؤمنون عباد الله : بل أمر ينبغي أن يراعى وهو من جلائل القُرب وأعظم الطاعات في هذه الأيام المباركات؛ أن يعمل كلٌ منَّا على الإحسان لهؤلاء الحجاج، وهذا قدرٌ زائد على الحقوق الواجبة، أن يعمل قدر استطاعته بأن يحسن إلى هؤلاء الحجاج بأنواع الإحسان المتاحة له، يبذل ذلك لهم متقربًا إلى الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ وطالبًا لرضاه جل في علاه، فإن الإحسان إليهم من أجل القرب وأعظم الطاعات في هذه الأيام المباركات.

أيها المؤمنون عباد الله: ومن عظيم المهمات في هذا المقام أن تكون القلوب تجاه هؤلاء الحجاج سليمةً عامرة بالمحبة محبة الخير لهم، وإذا كان النبي عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ يقول في عموم المؤمنين : «**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ**»(١) .

فكيف الشأن مع هؤلاء الحجاج الكرام ؟!

أسأل الله جل في علاه بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يعْظم لهؤلاء الحجاج أجرهم، وأن ييسِّر لهم أمرهم، وأن يتقبل طاعتهم، وأن يرزقهم الرضوان والقبول، وأن يعيدهم إلى ديارهم وقد غُفرت ذنوبهم وتحققت مقاصدهم من نيل رضوان الله والفوز بجنته جل في علاه، وأن يعيننا يا معاشر المؤمنين على القيام بما لهم من حقوق وواجبات ونصح وإحسان فإنه تبارك وتعالى نعم المعين لا شريك له.

أيها المؤمنون عباد الله : وإنَّ من واجب القول وحسَنه في هذا المقام أن نشير

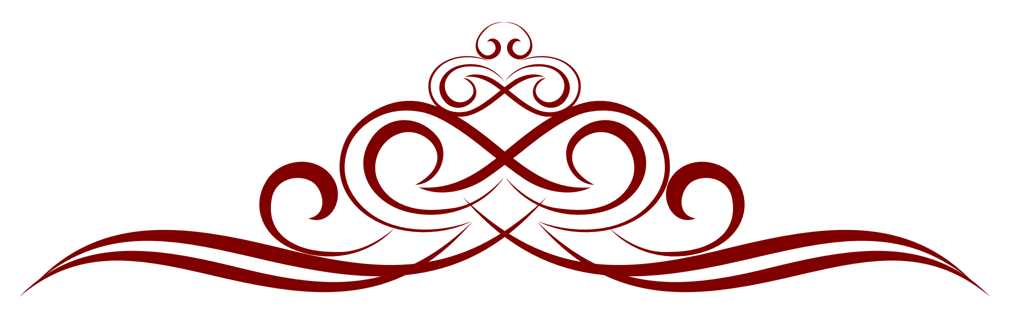
(١) رواه البخاري(١٣)، ومسلم (٤٥).

إلى ما تقوم به هذه الدولة المباركة من أعمالٍ عظيمة وجهودٍ جليلة وخدماتٍ متتالية رعايةً لحجاج بيت الله الحرام وعملًا على تحقيقهم لعبادتهم بيُسرٍ وأمنٍ وسهولة، وتعُدُّ هذه الدولة المباركة هذا العمل الجليل في أولى أولوياتها وفي مقدمة اهتماماتها رعايةً لحجاج بيت الله الحرام وخدمةً للحرمين الشريفين؛ فأسأل الله جل في علاه أن يزيد ولاة أمرنا توفيقًا وإحسانا ونصحًا وبذلا ورعايةً وخدمة للحرمين ولحجاج بيت الله الحرام، وأن يعينهم على ما تحمَّلوه من مسؤولية جسيمة وواجب عظيم إنه تبارك وتعالى سميعٌ قريبٌ مجيب[1] .

❑❑❑❑❑❑❑❑❑

(١) قال العلامة عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: « فمرحبا بكم في بلد الله الحرام ، وعلى أرض المملكة العربية السعودية التي شرفها الله تعالى بخدمة الحجاج والعمار والزوار الذين يفدون إليها من كل مكان ، ومن عليها بخدمة المقدسات وتأمينها للطائفين والعاكفين والركع السجود .

وأسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يكتب لكم حج بيته وزيارة مسجد رسوله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ، في أمن وإيمان وسكينة واطمئنان ، ويسر وقبول ، وأن تعودوا إلى دياركم سالمين مأجورين وقد غفر الله لكم وآتاكم من فضله إنه جواد كريم ، وبالإجابة جدير »«مجموع فتاويه» (١٦/ ٢٢٨).



منهج يومي

لِطَالِبِ الْعِلْمِ

لفضيلة الشيخ العلامة:

محمد بن صالح العثيمين

رَحِمَهُ ٱللَّهُ

تعْلِيق

عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر

اعتنى بها

أبو عبد العزيز منير الجزائري

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة المعتني:

الحمد لله الَّذي فقَّه مَنْ أراد به خيرًا في الدِّين، ورَفَعَ منازِلَ العلماء فوق العالمين، وأشهدُ أنْ لَا إله إلَّا الله وحده لا شريك له شَهِد لنفسه بالوحدانيَّة وشَهِد بها ملائكته والعلماء مِنَ المؤمنين، وأشهدُ أنَّ محمَّدًا عبدُه ورسوله المبعوث هدى للعَالمين، وحجَّةً على العِبَاد أجمعين.

صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه، ومَنْ تبعهم بإحسان إلى يوم الدِّين، وسلَّم تسليمًا .

أمَّا بَعْدُ:

«فإنَّ الله جَلَّجَلَالُهُ وتقدَّستْ أسماؤه، اخْتَص مِنْ خلقه مَنْ أحبَّ، فهداهم للإيمان، ثمَّ اختص مِنْ سائر المُؤمنين مَنْ أحبَّ، فتفضَّل عليهمْ، فعلَّمهم الكتاب والحكمة وفَقَّهَهُم فِي الدِّين، وعلَّمهم التَّأويل وفَضَّلَهُم على سَائرِ المُؤْمِنين، وذلك في كلِّ زمانٍ وأوانٍ.

رَفعهم بالعلم وَزَيَّنَهُم بالحِلم، بهم يُعْرف الحلال مِنَ الحرام، والحقُّ مِنَ الباطل، والضَّارُ مِنَ النَّافع، والحسَنُ مِنَ القَبِيح، فَضْلُهُم عَظِيم، وخَطَرُهُم جَزِيل، وَرثَةُ الأنْبِيَاء، وقُرَّةُ عَينِ الأَوْلِيَاء، الحِيتَان في البِحَار لهم تَسْتَغْفِر، وَالمَلِائِكَةُ بأجنحتها لَهُم تَخْضَع، والعُلَمَاء في القيامة بَعد الأَنْبِيَاء تَشْفَع، مَجَالِسُهم تُفِيدُ الحِكْمَة، وبأعمالهم يَنْزَجِرُ أهل الغَفْلة، هُمْ أفضلُ مِنَ العُبَّاد، وأعلى دَرَجَة مِنَ الزُّهَّاد، حَيَاتُهُم غَنِيمَة، وَمَوْتُهُم مُصِيبَة، يُذَكِّرُون الغَافِل، ويُعَلِّمُون الجَاهِل، لا يُتَوَّقَع لهم

بَائِقَة، ولا يُخَاف مِنْهم غَائِلَة، بحُسن تَأْدِيبهم يَتَنَازعُ المُطِيعون، وَبِجَمِيل مَوْعَظتهم يرجعُ المُقَصِّرون، جَمِيعُ الخَلْقِ إِلَى عِلْمِهم مُحْتَاج، والصَّحِيح على مَنْ خالف بقولهم محجاج، الطَّاعة لهم مِنْ جميع الخَلْق واجبة، والمَعْصِيَة لهم محرَّمة، مَنْ أَطَاعَهم رَشَد، وَمَنْ عَصَاهم عَند، مَا ورد على إمام المُسْلمين مِنْ أمرٍ اشْتَبَه عَلَيه، حَتَّى وَقَف فيه، فَبِقَولِ العُلَماء يَعْمَل، وَعَنْ رَأْيِهم يَصْدر، وَمَا وَرَدَ عَلَى أُمَرَاء المُسْلِمين مِنْ حكم لا علم لهم به فَبِقَوْلِهم يَعْمَلُون، وَعَنْ رَأْيِهم يصدرُون، وَمَا أَشْكَل عَلَى قُضَاة المُسْلِمِين مِنْ حكم، فَبِقَول العُلَمَاء يَحْكُمُون، وعليه يعوِّلُون، فهم سِرَاج العِباد، ومَنَارُ البلاد، وقَوَام الأُمَّة، ويَنَابِيعُ الحكمة، هُمْ غيظُ الشَّيطان، بِهِمْ تَحْيَا قُلُوبُ أهلِ الحَقِّ، وتموت قلوب أهل الزَّيْغ، مَثَلُهُم فِي الأَرْضِ كَمَثَل النُّجُوم في السَّماء، يُهْتَدَى بها في ظُلُمات البَّر والبَحْر، إذا انْطَمَسَتْ النُّجُوم تحيَّروا، وإذا أَسْفَر عنْها الظَّلَام أَبْصَرُوا»[(١)].

وأَحْسَنُ مِنْ هذا الكلام الحَسن قولُ الله الكريم في قرآنه العظيم: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾ [المُجَادلة].

وقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فَاطِر: ٢١].

وغيرها مِنَ النُّصُوص الكثيرة والعديدة في الكتاب والسنَّة التي نوَّهت برفيع منزلتهم وعَظِيم مَكَانَتِهِم.

وَمِنْ بين هؤلاء العُلَمَاء الربَّانيِّين العلَّامة محمد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فكان بحقٍّ مِنَ العلماء النُّبَلاء والفُضَلَاء الأَجِلَّاء، والنُّصَحَاء الأَوْفِيَاء للكَبِير والصَّغير

(١) «أخلاق العلماء» (ص ٩).

للرَّاعي والرَّعية[(١)]، وقَدْ ورد في «صحيح مسلم»[(٢)] عَنْ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: « **الدِّينُ النَّصِيحَةُ** ».

قُلْنَا: لِمَنْ؟

قَالَ: « **لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ** ».

«**والنَّصيحةُ لعامَّة المُسْلمين** : إرشادُهم إلى مصالحهم، وتعليمهم أمورَ دينهم ودنياهم، وستر عوراتهم، وسدُّ خلاتهم، ونصرتهم على أعدائهم، والذَّبُّ عنهم، ومجانبة الغِشِّ والحسد لهم، وأنْ يُحبَّ لهم ما يُحبُّ لنفسه ويكره لهم ما يكره لنفسه، وما شابه ذلك.

ومن أنواع نُصْحِهِم بدفع الأذى والمكروه عنهم: إيثارُ فقيرِهم وتعليمُ جاهلهم، وردُّ من زاغ منهم عن الحق في قول أو عمل بالتلطف في ردِّهم إلى الحق، والرفقُ بهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر محبة لإزالة فسادهم ..»[(٣)].

وبين يديك أخي وصية نافعة لأحد أعلام هذا العصر دبَّجته يراعة ذلك العَلَم الأشم، والبحر الخضم لأحد طلبته وقلبه ينبض حبًّا له ونصحًا، كأنَّها نصيحةُ أَبٍ لولدِه، وقد قيل: «القَلَمُ بَرِيدُ القَلْب»، فَرَحِم الله العلَّامة محمد بن صالح العثيمين.

(١) لذَا ينْبغِي لطلبة العلم أنْ يهتمُّوا بما خَلَّفه رَحِمَهُ اللهُ من آثار علمية كثيرة نافعة ماتعة ليستفيدوا منها.

قال العلَّامة عبد المحسن العباد البدر حفظه الله: «والحاصلُ أنَّ الشيخَ رَحِمَهُ اللهُ عالِمٌ كبيرٌ، وعلمُه غزيرٌ، وصوابُه كثير، ونفعُه عميم، فَأُوصي بالاهتمام بآثاره والاستفادة منها» «الشيخ محمد بن عثيمين من العلماء الربَّانيِّين» (ص٢٨).

(٢) برقم (٥٠).

(٣) «جامع العلوم والحكم» (ص ٨٠).

وممَّا زاد هذه الوصيَّة النَّافِعَة نفعًا تعليقاتُ شيخنا عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر حفظه الله، بكلماتٍ مسدَّدة وبالحقِّ مؤيَّدة، لَيْسَت بالطَّويلة المُمِلَّة ولَا المُخْتَصَرَة المُقِلَّة، فازدادت رونقًا وجمالًا، فجزاه الله خيرًا.

فعزمتُ ـ وأنا العبد الضعيف ـ على خدمتها بترقيم الآيات، وتخريج الأحاديث، مع التَّعليق على بعض المواضع منها، معتمدًا على كلام العلماء حتى تَعُمَّ الفائدة بإذن الله.

وفي الختام: أسأل الله تعالى أَنْ يجعلنَا مِنْ أولي الألباب الَّذين وَصَفَهم بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾﴾ [الزمر].

كما أسأله سبحانه أن يجعل هذا العمل المتواضع خالصًا لوجهه الكريم، وأن ينفع به كاتبه وقارئه، وأن يجعله في موازين حسنات مشايخنا، والله الموفق.

مُحِبُّكم في الله

أبو عبد العزيز منير الجزائري

abou-abdelaziz@hotmail.fr

نَصُّ الرِّسَالَة:

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مِنْ مُحَمَّد الصَّالِح العُثَيمين إِلَى الابْن (....) حَفِظَهُ الله تعالى(١).

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ الله وَبَرَكَاتُهُ، وَبَعْد:

فَقَدْ سَأَلْتَنِي بَارَكَ الله فِيكَ أَنْ أَضَعَ لَكَ مَنْهَجًا تَسِيرُ عَلَيْهِ فِي حَيَاتِكَ...

وَإِنِّي لَأَسْأَلُ الله تَعَالَى أَنْ يُوَفِّقَنَا جَمِيعًا لِمَا فِيهِ الهُدَى وَالرَّشَاد وَالصَّوَاب وَالسَّدَاد، وَأَنْ يَجْعَلَنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ صَالِحِينَ مُصْلِحِينَ، فَأَقُولُ:

أَوَّلًا: مَعَ الله عَزَّوَجَلَّ:

١- احْرِصْ عَلَى أَنْ تَكُونَ دَائِمًا مَعَ الله عَزَّوَجَلَّ مُسْتَحْضِرًا عَظَمَته مُتَفَكِّرًا فِي آيَاتِهِ الكَوْنِيَّة مِثْل خَلْق السَّمَوَات وَالأَرْض، وَمَا أَوْدَعَ فِيهِمَا مِنْ بَالِغِ حِكْمَتِهِ وَبَاهِرِ قُدْرَتِهِ وَعَظِيمِ رَحْمَتِهِ وَمِنَّتِهِ.

وَآيَاتِهِ الشَّرْعِيَّة الَّتِي بَعَثَ بِهَا رُسُلَهُ وَلَا سِيمَا خَاتِمهُمْ مُحَمَّد ﷺ.

٢- أَنْ يَكُونَ قَلْبُكَ مَمْلُوءًا بِمَحَبَّةِ الله تعالى لِمَا يَغْذُوكَ بِهِ مِنَ النِّعَمِ وَيَدْفَعُ عَنْكَ مِنَ النِّقَمِ وَلَا سِيمَا نِعْمَة الإِسْلَام وَالاسْتِقَامَةِ عَلَيْه حَتَّى يَكُونَ أَحَبَّ شَيْءٍ إِلَيْكَ.

٣- أَنْ يَكُونَ قَلْبُكَ مَمْلُوءًا بِتَعْظِيمِ الله عَزَّوَجَلَّ حَتَّى يَكُونَ فِي نَفْسِكَ أَعْظَمَ شَيْءٍ..

(١) مَاتَ الشَّيْخُ وَالطَّالِبُ فَرَحْمَةُ الله عَلَيْهِمَا.

وَبِاجْتِمَاعِ مَحَبَّةِ اللهِ تَعَالَى وَتَعْظِيمِهِ فِي قَلْبِكَ تَسْتَقِيمُ عَلَى طَاعَتِهِ قَائِمًا بِمَا أَمَرَ بِهِ لِمَحَبَّتِكَ إِيَّاه، تَارِكًا لِمَا نَهَى عَنْهُ لِتَعْظِيمِكَ لَه.

٤- أَنْ تَكُونَ مُخْلِصًا لَهُ جَلَّ وَعَلَا فِي عِبَادَاتِكَ، مُتَوَكِّلًا عَلَيْهِ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِكَ لِتُحَقِّقَ بِذَلِكَ مَقَام: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [سُورَةُ الفَاتِحَةِ].

وَتَسْتَحْضِرُ بِقَلْبِكَ أَنَّكَ إِنَّمَا تَقُومُ بِمَا أَمَرَ امْتِثَالًا لِأَمْرِهِ وَتَتْرُكُ مَا نَهَى عَنْهُ امْتِثَالًا لِنَهْيِهِ فَإِنَّكَ بِذَلِكَ تَجِدُ لِلْعِبَادَةِ طَعْمًا لَا تُدْرِكُهُ مَعَ الغَفْلَةِ وَتَجِدُ فِي الأُمُورِ عَوْنًا مِنْهُ لَا يَحْصُلُ لَكَ مَعَ الاعْتِمَادِ عَلَى نَفْسِكَ.

ثَانِيًا: مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ:

١- أَنْ تُقَدِّمَ مَحَبَّتَهُ عَلَى مَحَبَّةِ كُلِّ مَخْلُوقٍ، وَهَدْيَهُ وَسُنَّتَهُ عَلَى كُلِّ هَدْيٍ وَسُنَّة.

٢- أَنْ تَتَّخِذَهُ إِمَامًا لَكَ فِي عِبَادَاتِكَ وَأَخْلَاقِكَ بِحَيْثُ تَسْتَحْضِر عِنْدَ فِعْلِ العِبَادَةِ أَنَّكَ مُتَّبِعٌ لَهُ وَكَأَنَّهُ أَمَامَكَ تَتَرَسَّمُ خُطَاهُ وَتَنْهَجُ نَهْجَهُ.

وَكَذَلِكَ فِي مُخَالَقَةِ النَّاسِ أَنَّكَ مُتَخَلِّقٌ بِأَخْلَاقِهِ الَّتِي قَالَ اللهُ عَنْهَا: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [سُورَةُ القَلَمِ].

وَمَتَى الْتَزَمْتَ بِهَذَا فَسَتَكُونُ حَرِيصًا غَايَةَ الحِرْصِ عَلَى العِلْمِ بِشَرِيعَتِهِ وَأَخْلَاقِهِ.

٣- أَنْ تَكُونَ دَاعِيًا لِسُنَّتِهِ نَاصِرًا لَهَا مُدَافِعًا عَنْهَا فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى سَيَنْصُرُكَ بِقَدْرِ نَصْرِكَ لِشَرِيعَتِهِ.

ثَالِثًا: عَمَلُكَ اليَوْمِيّ غَيْر المَفْرُوضَات.

١- إِذَا قُمْتَ مِنَ اللَّيْلِ فَاذْكُرْ الله تَعَالَى وَادْعُ الله بِمَا شِئْتَ فَإِنَّ الدُّعَاءَ فِي هَذَا المَوْطِنِ حَرِيٌّ بِالإِجَابَةِ وَاقْرَأْ قَوْلَ الله تَعَالَى: ﴿ **إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ** ﴾، حَتَّى تَخْتِمَ سُورَةَ آل عِمْرَان وَهِيَ عَشْر آيَات.

٢- صَلِّ مَا كُتِبَ لَكَ فِي آخِرِ اللَّيْلِ وَاخْتِم صَلَاتَكَ بِالوِتْر.

٣- حَافِظْ عَلَى مَا تَيَسَّرَ لَكَ مِنْ أَذْكَارِ الصَّبَاحِ، قُلْ مِئَةَ مَرَّة: «**لَا إِلَه إِلَّا الله وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَه، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير**».

٤- صَلِّ رَكْعَتَيْ الضُّحَى.

٥- حَافِظْ عَلَى أَذْكَارِ المَسَاءِ مَا تَيَسَّرَ لَكَ مِنْهَا.

رَابِعًا: طَرِيقَةُ طَلَبِ العِلْمِ.

١- احْرِصْ عَلَى حِفْظِ كِتَابِ الله تَعَالَى وَاجْعَلَ لَكَ كُلَّ يَوْمٍ شَيْئًا مُعَيَّنًا تُحَافِظُ عَلَى قِرَاءَتِهِ وَلْتَكُنْ قِرَاءَتُكَ بِتَدَبُّرٍ وَتَفَهُّمٍ.

وَإِذَا عَنَّتْ لَكَ فَائِدَة أَثْنَاءَ القِرَاءَةِ فَقَيِّدْهَا.

٢- احْرِصْ عَلَى حِفْظِ مَا تَيَسَّرَ مِنْ صَحِيحِ سُنَّةِ الرَّسُولِ ﷺ وَمِنْ ذَلِكَ حِفْظُ «عُمْدَةِ الأَحْكَام».

٣-احْرِصْ عَلَى التَّرْكِيزِ وَالثَّبَاتِ بِحَيْثُ لَا تَأْخُذْ العِلْمَ نُتَفًا مِنْ هَذَا شَيْء وَمِنْ هَذا شَيْء لِأَنَّ هَذَا يُضَيِّعُ وَقْتَكَ وَيُشَتِّتُ ذِهْنَكَ.

٤- ابْدَأْ بِصِغَارِ الكُتُبِ وَتَأَمَّلْهَا جَيِّدًا ثُمَّ انْتَقِلْ إِلَى مَا فَوْقَهَا حَتَّى تُحَصِّلَ عَلَى

العِلْمِ شَيْئًا فَشَيْئًا عَلَى وَجْهٍ يَرْسُخُ فِي قَلْبِكَ وَتَطْمَئِنُّ إِلَيْهِ نَفْسُكَ.

٥- احْرِصْ عَلَى مَعْرِفَةِ أُصُولِ المَسَائِلِ وَقَوَاعِدِهَا وَقَيِّدْ كُلَّ شَيْءٍ يَمُرُّ بِكَ مِنْ هَذَا القَبِيلِ فَقَدْ قِيلَ: «مَنْ حُرِمَ الأُصُولَ حُرِمَ الوُصُولَ».

٦- نَاقِشْ المَسَائِلَ مَعَ شَيْخِكَ أَوْ مَنْ تَثِقُ بِهِ عِلْمًا وَدِينًا مِنْ أَقْرَانِكَ وَلَوْ بِأَنْ تُقَدِّرَ فِي ذِهْنِكَ أَنَّ أَحَدًا يُنَاقِشُكَ فِيهَا إِذَا لَمْ تَكُنْ المُنَاقَشَةُ مَعَ مَنْ سَمَّيْنَا.

هَذَا وَأَسْأَلُ اللهَ تَعَالَى أَنْ يُعَلِّمَكَ مَا يَنْفَعُكَ، وَيَنْفَعَكَ بِمَا عَلَّمَكَ، وَيَزِيدَكَ عِلْمًا وَيَجْعَلَكَ مِنْ عِبَادِهِ الصَّالِحِينَ، وَحِزْبِهِ المُفْلِحِينَ.

وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ.

كَتَبَهُ

محمد بن صالح العثيمين

في ٣ رجب ١٤١٢ هـ

التَّوْقِيعُ.



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مُقَدِّمَةُ المُعَلِّق:

الحمدُ لله ربِّ العالمين، وأشهدُ أنْ لا إلٰه إلَّا الله وحده لا شريك له، وأشهدُ أنَّ محمَّدًا عبدُه ورسولُه؛ صلَّى الله وسلَّم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين.

اللَّهم إنَّا نسألك علمًا نافعًا، وعملًا صالحًا، ورزقًا طيِّبًا، وتوفيقًا لمَّا تحبُّه وترضاه مِنْ سَدِيد الأَقوال وصالح الأَعمال.

أمَّا بَعْدُ: مَعَاشر الكرام، ويا مَعَاشر طلَّاب العلم[1]:

هنيئًا لكم هذه العَوْدَة، وهذا المجيء إلى هذا البلد المبارك بلد رسول الله ﷺ وهذا الالتحاق الطَّيِّب النَّافع بالجامعة الإسلاميَّة، وأسأل الله ﷻ أنْ يمدَّكم بتوفيقه وعَوْنِه، وأنْ يرزقكم أجمعين العِلْمَ النَّافِع والعملَ الصَّالح بمنِّه وكَرَمه.

وعادةً ولاسيما في بداية العام وخاصَّةً أيضًا المُسْتَجدِّين في الطَّلب كثيرًا ما يسألونَ عَنْ المَنْهج والمنهجيَّة في طَلَبِ العِلم، وفي العبادة، وفي حياة طالب العلم عُمُومًا؛ وهو سؤالٌ كبيرٌ ومهمٌّ للغاية، وقد وَقَفْتُ على كِتَابةٍ قيِّمة وتحريرٍ نافع للشَّيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى؛ سأله سائل أَنْ يكتبَ له منهجًا يسيرُ عليه في حياته، فَكَتَبَ كِتَابةً نافعةً جدًا نقفُ جَمِيعًا عَلَى ما كتبه رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى وأُعلِّق على كلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ بِمَا تيسَّر، وأسألُ الله ﷻ أَنْ يَنْفَعَني وإيَّاكُم بهذه المنهجيَّة الَّتي حرَّرها وكتبها نُصْحا رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى. **الشيخ عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر.**

---

(١) أصل هذه الرسالة محاضرة ألقيت بالمدينة النبوية، يوم ١٧/ ١١/ ١٤٣٦ هـ، وقد فُرِّغت وأُجْرِيت عليها تعديلات يسيرة، وأبقيناها بأسلوبها الإلقائي كما في المحاضرة، والله وحده الموفِّق.

قال العلَّامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ للسَّائل:

«**فَقَدْ سَأَلْتَنِي بَارَكَ الله فِيكَ أَنْ أَضَعَ لَكَ مَنْهَجًا تَسِيرُ عَلَيْهِ فِي حَيَاتِكَ.**

وَإِنِّي لَأَسْأَلُ الله تَعَالَى أَنْ يُوَفِّقَنَا جَمِيعًا لِمَا فِيهِ الهُدَى وَالرَّشَاد وَالصَّوَاب وَالسَّدَاد، وَأَنْ يَجْعَلَنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ صَالِحِينَ مُصْلِحِينَ، فَأَقُولُ:

أَوَّلًا: مَعَ الله عَزَّوَجَلَّ»:

قسَّم رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى هذه المنهجيَّة الَّتي يسيرُ عليها المسلم وطالب العلم إلى أقسام؛ القسم الأوَّل مع الله، قال: أوَّلًا مع الله عَزَّوَجَلَّ.

«**١- احْرِصْ عَلَى أَنْ تَكُونَ دَائِمًا مَعَ الله عَزَّوَجَلَّ مُسْتَحْضِرًا عظَمَته، مُتَفَكِّرًا فِي آيَاتِهِ الكَوْنِيَّة مِثْل خَلْق السَّموَات وَالأَرْض، وَمَا أَوْدَعَ فِيهِمَا مِنْ بَالِغِ حِكْمَتِهِ، وَبَاهِرِ قُدْرَتِهِ، وَعَظِيمِ رَحْمَتِهِ وَمِنَّتِهِ.**

وَآيَاتِهِ الشَّرْعِيَّة الَّتِي بَعَثَ بِهَا رُسُلَهُ وَلَا سِيَمَا خَاتِمهُمْ مُحَمَّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ».

في هذه النُّقطة الأولى دعَا طالبَ العلمِ أنْ يُعنى بهذا الجانب، وهو جانبٌ يُغفَلُ عنه: التَّفكُّر في ملكوت الله، وانظر إلى هدي النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عندما يستيقظُ من آخر اللَّيل، وفي جوفه، فيبدأُ بقراءة الآيات مِنْ خواتيم «سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ»[١]: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا

(١) كما ورد في حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ بِتُّ عِنْدَ خَالَتِي مَيْمُونَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فَتَحَدَّثَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ أَهْلِهِ سَاعَةً ثُمَّ رَقَدَ، فَلَمَّا كَانَ ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ قَعَدَ فَنَظَرَ إِلَى السَّمَاءِ فَقَالَ: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾﴾، ثُمَّ قَامَ فَتَوَضَّأَ وَاسْتَنَّ، فَصَلَّى إِحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً، ثُمَّ أَذَّنَ بِلَالٌ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ خَرَجَ فَصَلَّى الصُّبْحَ» رواه البخاري (٤٥٦٩)، ومسلم (٢٥٦).

بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾﴾.

هذه دعوة للتَّفكُّر كلّ ليلة، وهذا التَّفكُّر يُشغِل القلب بعظائم الأمور ونافعها عَنْ الوساوس الَّتِي تمتلئ بها القلوب في الغالب، لكن إذا شغل الإنسان قلبه بالتَّفكُّر في هذه المخلوقات الدَّالة على عظمة مَنْ خلَقَها وكمال مَنْ أَبْدعها وقدرة مَنْ أَوْجدها فهي دالَّةٌ على الخَالِقِ كما قال القائل: «وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَة»(١) فهي دلائل وبراهين على كمال الخالق وعظمته، ولهذا مِنَ الأمور الَّتي ينبغي أن يُعنى بها طالب العلم والمسلم عمومًا أن يحرص دائما على ذلك.

الأَمرُ الثَّانِي قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**أَنْ يَكُونَ قَلْبُكَ مَمْلُوءًا بِمَحَبَّةِ الله تعالى لِمَا يَغْذُوكَ به مِنَ النِّعَم وَيَدْفَعُ عَنْكَ مِنَ النِّقَمِ؛ وَلَا سِيَمَا نِعْمَة الإِسْلَام وَالاسْتِقَامَةِ عَلَيْه حَتَّى يَكُونَ أَحَبَّ شَيْءٍ إِلَيْكَ**».

فهذا أمر عظيم ينبغي على طالب العلم والمسلم عمومًا أن يعنى به؛ أن يُعمر قلبه بمحبَّةِ الله.

وثمة أمور تعينك على عمارة قلبك بهذه المحبَّة لله سبحانه وتعالى أشار رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى شيء منها قال: (**لِمَا يَغْذُوكَ بِهِ مِنَ النِّعَم**)، انظر نِعمَ الله عليك المتوالية وآلائه المتتالية وعطاياه المتنوعة(٢): في صحَّتك، وفي عافيتك، وفي مالك، وفي مسكنك

(١) قال الشاعر رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فَوَا عَجَبا كَيفَ يُعْصَى الإلَه ... أَمْ كَيفَ يَجْحَدُهُ الجَاحِدُ
وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ ... تَدُلُّ عَلَى أَنَّه وَاحِدُ
وَلله فِي كُلِّ تَحْرِيكَة ... وَتَسْكِينة أَبَداً شَاهِدُ

(٢) قال بَعضهم: «إذا كانت القلوب جُبِلَت على حبِّ مَنْ أحسن إليها فوا عجبا! لمن لا يرى محسنا غير الله جَلَّجَلَالُهُ كيف لا يميل بكليته إليه؟!»، ذكره الإمام ابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «استنشاق نسيم الأنس» ضمن مجموع رسائله (١/ ١٨٥).

وملبسك، وطعامك وشرابك وولدك وغير ذلك، فالتَّفكُّر في هذه النِّعم وهذه المِنَن الَّتِي تفضَّل الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ عليك بها، أيضًا دفع النِّقم والشُّرور والآفات تُقبِل بقلبك على الله محبَّةً وعمارةً للقلب بمحبَّتِه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

وأعظم النِّعم الَّتِي عندما تتفكَّر في منَّة الله عليك بها يزداد قلبك حبًا لله نعمةُ الإسلام والتَّوحيد[1]: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ۝٧ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعۡمَةٗۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ۝٨﴾ [سُورَةُ الحُجُرَاتِ].

الأمر الثَّالث قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**أَنْ يَكُونَ قَلْبُكَ مَمْلُوءًا بِتَعْظِيمِ الله عَزَّوَجَلَّ حَتَّى يَكُونَ فِي نَفْسِكَ أَعْظَمَ شَيْءٍ.**

وَبِاجْتِمَاعِ مَحَبَّة الله تَعَالى وَتَعْظِيمِهِ فِي قَلْبِكَ تَسْتَقِيمُ عَلَى طَاعَتِهِ قَائِمًا بِمَا أَمَرَ بِهِ لِمَحَبَّتِكَ إِيَّاه، تَارِكًا لِمَا نَهَى عَنْهُ لِتَعْظِيمِكَ لَه».

فتحرص على عمارة قلبك بالمحبَّة لله والتَّعظيم له جلَّ في علاه، والتَّعظيم يُعِينُك عليه النَّظر في الآيات الدَّالة على عظمة الله، وكمال قدرته، وكمال قُوَّته، وعظيم بطشه وانتقامه، وشديد عقابه؛ فهذه الأمور إذا تأمَّلها العبدُ وتأمَّل أيضا الأمور الَّتِي تعمُر القلب بالمحبَّة يُصبح عنده توازن بين الرجاء والخوف، الرَّغبة

---

(١) قال الله تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ۝١ يُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ۝٢ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۚ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ۝٣﴾ [سُورَةُ النَّحۡلِ].

قال الإمام ابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«كلمة التَّوحيد لها فضائل عظيمة لا يمكن ها هنا استقصاؤها ...و في هذه الآية أوَّلُ ما عدَّد الله على عباده من النِّعم في سورة النِّعم التي تسمى [سُورَةُ النَّحۡلِ] ولهذا قال ابن عيينة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما أنعم الله على عبد من العباد نعمة أعظم مِنْ أن عرَّفهم لا إله إلا الله »«كلمة الإخلاص وتحقيق معناها»(ص٥٣).

والرَّهبة: ﴿۞ نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾﴾ [سُورَةُ الحِجْرِ]، تجمع بين الأمرين:

محبةً لله تَعمر بها قلبك تسوقك إلى طاعته وفعل مرضاته .

وتعظيمًا له وعلمًا بعظمته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يزجرك عن الوقوع في معاصيه وما نهى تبارك وتعالى عباده عنه .

الأمر الرَّابع: «**أَنْ تَكُونَ مُخْلِصًا لَهُ جَلَّ وَعَلَا فِي عِبَادَاتِكَ، مُتَوَكِّلًا عَلَيْهِ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِكَ لِتُحَقِّقَ بِذَلِكَ مَقَام:** ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾ [سُورَةُ الفَاتِحَةِ] .

وَتَسْتَحْضِرُ بِقَلْبِكَ أَنَّكَ إِنَّمَا تَقُومُ بِمَا أَمَرَ امْتِثَالًا لِأَمْرِهِ وَتَتْرُكُ مَا نَهَى عَنْهُ امْتِثَالًا لِنَهْيِهِ فَإِنَّكَ بِذَلِكَ تَجِدُ لِلْعِبَادَةِ طَعْمًا لَا تُدْرِكُهُ مَعَ الغَفْلَةِ وَتَجِدُ فِي الأُمُورِ عَوْنًا مِنْهُ لَا يَحْصُلُ لَكَ مَعَ الاعْتِمَادِ عَلَى نَفْسِكَ» .

فأنت بحاجة إلى إخلاصٍ وتوكُّل: ﴿فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [سُورَةُ هُودٍ]، قال النَّبيُّ ﷺ: «**احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ**»(١) .

وقوله في الآية الكريمة: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ هذا تحقيقٌ لـ«لا إله إلا الله»، ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾: أي نعبدك ولا نعبد غيرك مخلصين لك الدِّين، ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾ تحقيقٌ لـ«لا حول ولا قوَّة إلَّا بالله»، فإنَّ «لا حول ولا قوَّة إلَّا بالله» كلمة استعانة، ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾: أي نستعين بك ولا نستعين بغيرك(٢) .

وبهذين الأمرين إخلاص العبادة لله وإخلاص الاستعانة به جلَّ في علاه يستقيم

---

(١) رواه مسلم (٢٦٦٤) .

(٢) قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وكثيرًا ما كنتُ أسمعُ شيخ الإسلام ابن تيمية قدَّس الله روحه يقول: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ تدفعُ الرِّياء، ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾ تدفعُ الكبرياء» «مدارج السَّالكين» (١/ ٥٤) .

للمرء علمه وعمله، وتستقيم حياته على طاعة الله جلَّ في عُلَاه[١].

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى:

«**ثَانِيًا: مَعَ رَسُولِ الله ﷺ**»:

وذكرَ أمورًا، قال:

«**١ – أَنْ تُقَدِّم مَحَبَّتَهُ عَلَى مَحَبَّةِ كُلِّ مَخْلُوقٍ، وَهَدْيَهُ وَسُنَّتَهُ عَلَى كُلِّ هَدْيٍ وَسُنَّة**».

وقد قال ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**»[٢].

وهذا أيضًا لا يكفي؛ بل إضافة إلى ذلك تقدِّم محبَّته على محبَّتك لنفسك كما في حديث عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في «صحيح البخاري»[٣] قال: «لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلاَّ مِنْ نَفْسِي»، قَالَ ﷺ: «**لَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ**»، قَالَ لَهُ عُمَرُ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «فَإِنَّهُ الآنَ وَاللهِ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي»، قَالَ ﷺ: «**الآنَ يَا عُمَرُ**».

وهذه المحبَّة ليست مجرَّد دعوى يدَّعيها المرء؛ لأنَّه مِنَ السَّهل على كلِّ لسانٍ ومِنَ اليسيرِ على كلِّ إنسان أن يقولَ: (إنِّي أحبُّ الرَّسول محبَّة عظيمة مُقَدَّمَة على محبَّتي لنفسي ووالدي وولدي والنَّاس أجمعين)، لكن الدَّعاوى لا تكفي ولهذا قال الله سبحانه وتعالى: ﴿**قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾**﴾ [سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ]، ولهذا قرن الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ مع المحبَّة لزوم

(١) قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإنَّ العارفين كلَّهم مجمعون على أنَّ التَّوفيق أنْ لا يكلك الله تعالى إلى نفسك، والخذلان أنْ يكلك الله تعالى إلى نفسك» «الوابل الصيب» (ص٢٨).

(٢) رواه البخاري (١٥)، ومسلم (٤٤).

(٣) برقم (٦٦٣٢).

الهدي قال: «أَنْ تُقَدِّم مَحَبَّتَهُ عَلَى مَحَبَّةِ كُلِّ مَخْلُوقٍ، وَهَدْيَهُ وَسُنَّتَهُ عَلَى كُلِّ هَدْيٍ وَسُنَّة»، وإذا قدَّمت هديه وسنَّته على كلِّ هدي وسنَّة كان ذلك أمارة على صدق المحبَّة وكمالها.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

«٢- أَنْ تَتَّخِذَهُ إِمَامًا لَكَ فِي عِبَادَاتِكَ وَأَخْلَاقِكَ بِحَيْثُ تَسْتَحْضِر عِنْدَ فِعْلِ العِبَادَةِ أَنَّكَ مُتَّبِعٌ لَهُ وَكَأَنَّهُ أَمَامَكَ تَتَرَسَّمُ خُطَاهُ وَتَنْهَجُ نَهْجَهُ.

وَكَذَلِكَ فِي مُخَالَقَةِ النَّاسِ أَنَّكَ مُتَخَلِّقٌ بِأَخْلَاقِهِ الَّتِي قَالَ اللهُ عَنْهَا: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [سُورَةُ القَلَمِ].

وَمَتَى الْتَزَمْتَ بِهَذَا فَسَتَكُونُ حَرِيصًا غَايَةَ الحِرْصِ عَلَى العِلْمِ بِشَرِيعَتِهِ وَأَخْلَاقِهِ».

وهذا الَّذي أشار عليه قَدْ دلَّ عليه قول الله جَلَّجَلَالُهُ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [سُورَةُ الأَحْزَابِ].

فيجب على كلِّ مسلم أنْ يتَّخذَ الرَّسول ﷺ إمامًا؛ إمامًا في العبادة وإمامًا في الأخلاق، فإنَّ الله عزَّ وجل أتمَّ له مقام العبادة فلا أكمل منه عبادةً لله، وأتمَّ له مقام الأخلاق فلا أكمل منه خُلُقًا صلوات الله وسلامه عليه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [سُورَةُ القَلَمِ]، فإذا اتَّخذه إمامًا فإنَّ ذلك يعني أن يكون مُتَرَسِّمًا لخطى مَنْ ائتمَّ به سائرًا على منهاجه مقتديًا به مُقَدِّمًا لقوله على كلِّ قول، وهديه على كلِّ هدي، وسنَّته على كلِّ سنَّة.

الأمر الثالث فيما يتعلق بما يكون مع الرَّسول ﷺ: «أَنْ تَكُونَ دَاعِيًا لِسُنَّتِهِ نَاصِرًا لَهَا مُدَافِعًا عَنْهَا فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى سَيَنْصُرُكَ بِقَدْرِ نَصْرِكَ لِشَرِيعَتِهِ».

فإذا وفَّقك الله للائتمام به والاهتداء بهديه والسَّير على منهاجه وترسُّم خطاه صلوات الله وسلامه عليه فأوصِل هذا الخير للغير، وكنْ داعيًا لسنَّة النَّبي ﷺ معلِّما هذا الخير للآخرين وكُنْ ناصرًا للسنَّة، ودينُ الله سبحانه وتعالى منصورٌ بك وبدونك لَكِنْ مِنَ الخير لك أنْ تجعل حياتك نصرة لدين الله، وإلَّا فالدِّين منصور بعزِّ عزيز أو ذُلِّ ذليل؛ لكن من الخير لك أَنْ تجعل من حياتك دعوةً لسُنَّة النَّبيِّ ﷺ ونصرةً لدينه صلوات الله وسلامه وبركاته عليه .

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

ثَالِثًا: عَمَلُكَ اليَوْمِيّ غَيْر المَفْرُوضَات.

غير الفرائض التي افترضها الله عليك ماذا تعمل؟

الشيخ وضع مَنْهجًا محرَّرًا جميلًا جدًا ينبغي ـ حقيقة ـ أنْ نتأمَّله وأن نعنى بتطبيقه.

قال رحمة الله عليه :

«١ – إِذَا قُمْتَ مِنَ اللَّيْلِ فَاذْكُرْ الله تَعَالَى وَادْعُ الله بِمَا شِئْتَ فَإِنَّ الدُّعَاءَ فِي هَذَا المَوْطِنِ حَرِيٌّ بِالإِجَابَةِ وَاقْرَأْ قَوْلَ الله تَعَالَى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾، حَتَّى تَخْتِمَ سُورَةَ آل عِمْرَان وَهِيَ عَشْر آيَات»[١].

قيامُ اللَّيل عند كثير مِنَ النَّاس في هذا الزَّمان ذهب في خبر كان كَمَا يُعبَّر مع السَّهر[٢] الحاصل الآن عند كثير مِنَ النَّاس إن نشط حافظ على صلاة الفجر !

(١) لِمَا ثبت في الصَّحيحين: رواه البخاري (٤٥٧٠)، ومسلم (٢٥٦).

(٢) إلاَّ إذا احتاجه أحيانًا فلا بأس ما لم يضر بصلاة الصُّبح، قال الإمام الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:« كره مالك إحياء اللَّيل كلّه ، وقال : لعلَّه يصبح مغلوبـًا ، وفي رسوله الله ﷺ أسوة ، ثم قال : لا بأس به ما لم يضر بصلاة الصُّبح »«الاعتصام»(١/ ٣٨٧).

وقال شيخ الإسلام ابن تيميةرَحِمَهُ ٱللَّهُ : « فَالسَّهَرُ الشَّرْعِيُّ .. مِنْ صَلَاةٍ أَوْ ذِكْرٍ أَوْ قِرَاءَةٍ أَوْ كِتَابَةِ عِلْمٍ أَوْ نَظَرٍ فِيهِ

أمَّا صلاة اللَّيل وقيام اللَّيل والعناية بالثُّلث الأخير مِنَ اللَّيل فكثيرٌ من النَّاس لَا حَظَّ لهم منه بسبب السَّهر، ولهذا النَّبي ﷺ نهى عن السَّهر لأنَّ فيه مضرَّة على الإنسان في منهجيته، في عبادته، في ترتيب أعماله، فيه مخالفة لسنَّة الله الكونية: ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾﴾ [سُورَةُ القَصَصِ]؛ ﴿لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ﴾ أي اللَّيل، ﴿وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ﴾ أي النَّهار، فاللَّيل فيه السُّكون، فيه الرَّاحة، يأخذُ الجسمُ حظَّه من النَّوم والرَّاحة من أوَّل اللَّيل ثم يحظى بهذه المكرمة العظيمة يقوم في ثلث اللَّيل الآخر في الوقت المبارك، قال ﷺ: «**يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ**»(١).

الدُّعاء مستجاب، اسْتَغفِر يُغفر لك، سَلْ تُعط، ادع يُستجاب لك دعاؤك، لكن هذه اللَّحظات الكريمة ذهبت عند كثير من النَّاس؛ ولهذا طالب العلم ينبغي أنْ يجعل له حظًّا مِنَ الثُّلث الأخير مِنَ اللَّيل.

وبدأ به الشيخ في الأمور غير المفروضة لأنَّه أساس يبنى عليه ما بعده، أنت إذا وفَّقك الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وجعلتَ لك حظًّا مِنْ آخر اللَّيل، فبإذن الله جَلَّ جَلَالُهُ يكون يومك مرتَّبًا وحياتك تكون منتظِّمةً، ويبارك الله لك في وقتك(٢).

أَوْ دَرْسِهِ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ الْعِبَادَاتِ، وَالْأَفْضَلُ يَتَنَوَّعُ بِتَنَوُّعِ النَّاسِ» «مجموع الفتاوى» (٢/ ١٤٣).

(١) رواه البخاري (١١٤٥)، ومسلم (٧٥٨).

(٢) «بَاتَ عِنْدَ الْإِمَامِ أَحْمَدَ رَجُلٌ فَوَضَعَ عِنْدَهُ مَاءً قَالَ الرَّجُلُ: فَلَمْ أَقُمْ بِاللَّيْلِ وَلَمْ اسْتَعْمِلْ الْمَاءَ، فَلَمَّا أَصْبَحْتُ قَالَ لِي: لِمَ لَا تَسْتَعْمِلُ الْمَاءَ؟

فَاسْتَحْيَيْتُ وَسَكَتُّ، فَقَالَ: سُبْحَانَ اللهِ سُبْحَانَ اللهِ مَا سَمِعْتُ بِصَاحِبِ حَدِيثٍ لَا يَقُومُ بِاللَّيْلِ.

وَجَرَتْ هَذِهِ الْقِصَّةُ مَعَهُ لِرَجُلٍ آخَرَ، فَقَالَ لَهُ: أَنَا مُسَافِرٌ قَالَ: وَإِنْ كُنْتَ مُسَافِرًا.

حَجَّ مَسْرُوقٌ فَمَا نَامَ إِلَّا سَاجِدًا.

ثانيًا يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « **صَلِّ مَا كُتِبَ لَكَ فِي آخِرِ اللَّيْلِ، وَاخْتِم صَلَاتَكَ بِالوِتْر**».

كما قال ﷺ: «اجْعَلُوا آخِرَ صَلاَتِكُمْ وِتْرًا»[(١)].

«٣- حَافِظْ عَلَى مَا تَيَسَّرَ لَكَ مِنْ أَذْكَارِ الصَّبَاح، قُلْ مِئَةَ مَرَّة :«لَا إِلَه إِلَّا الله وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَه، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير»[(٢)].

والشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ نصَّ على هذه المئة مع أنَّ الأذكار الواردة كثيرةٌ لعظم شأن التَّهليل في اليوم مئة مرة وعِظَم ما يترتب على ذلك من آثار عظيمة مباركة في حياة المسلم، وفي أخراه .

«٤- صَلِّ رَكْعَتَيْ الضُّحَى».

هذه وصيَّة النَّبي ﷺ لأبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «أَوْصَانِي خَلِيلِي بِثَلَاثٍ -وذكر منها - وَرَكْعَتَيِ الضُّحَى»[(٣)] .

«٥- حَافِظْ عَلَى أَذْكَارِ المَسَاءِ مَا تَيَسَّرَ لَكَ مِنْهَا».

قَالَ الشَّيْخُ تَقِيُّ الدِّينِ: فِيهِ أَنَّهُ يُكْرَهُ لِأَهْلِ الْعِلْمِ تَرْكُ قِيَامِ اللَّيْلِ، وَإِنْ كَانُوا مُسَافِرِينَ» «الآداب الشرعية» (١/ ٥٦٢).

(١) رواه البخاري (٧٧٢)، ومسلم (٧٥١).

(٢) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: « **مَنْ قَالَ لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ الْمُلْكُ ، وَلَهُ الْحَمْدُ ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ، كَانَتْ لَهُ عَدْلَ عَشْرِ رِقَابٍ، وَكُتِبَتْ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ، وَمُحِيَتْ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنَ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّى يُمْسِيَ ، وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ، إِلاَّ أَحَدٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ** » رواه البخاري (٣٢٩٣)، ومسلم (٢٦٩١).

قال شيخنا عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر حفظه الله: « وفي هذا دلالةٌ على عِظم شَأن كلمة التوحيد لا إله إلاَّ الله، التي هي أَجَلُّ الكلمات على الإطلاق، وأفضل ما قاله النبيُّون، ولأجلها قامت الأرضُ والسموات، وخُلقت الخلائقُ والبَرِيَّات، وأهلُها هم أهلُ السعادة والفلاح، والفوزِ في الدنيا والآخرة، فكلمةٌ هذا شأنُها حَريٌّ بالمسلم أن تَعظُمَ عِنايتُه بها، والله وحده بيده التوفيقُ والسداد» «فقه الأدعية والأذكار» (٢/ ٣٤).

(٣) رواه البخاري (١١٧٨)، ومسلم (٧٢١).

فتبدأُ صباحك بالذِّكر وأيضًا مساءك تختمه بذكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فتكونُ مِنْ أهل الذِّكر في الغُدوِّ والآصال .

وهذه الأذكار -أذكار الصَّباح والمساء- مِنْ أعظم الأذكار الَّتي ينبغي أن يُعنى بها المسلم وأنْ يواظب عليها مواظبة يوميَّة مستمرَّة؛ لأنَّها يترتَّبُ عليها آثارٌ مباركة في يوم المرء وفي ليلته، كما عليه أَنْ يحرصَ على تعلُّم الفوائد المترتبة على هذه الأذكار بما ذكره النَّبيُّ صلوات الله وسلامه وبركاته عليه.

« **رَابِعًا: طَرِيقَةُ طَلَبِ العِلْمِ**».

قال رابعًا -أي في المنهجيَّة لطالب العلم- :

« **طَرِيقَةُ طَلَبِ العِلْمِ**:

١- احْرِصْ عَلَى حِفْظِ كِتَابِ الله تَعَالَى وَاجْعَلَ لَكَ كُلَّ يَوْمٍ شَيْئًا مُعَيَّنًا تُحَافِظُ عَلَى قِرَاءَتِهِ وَلْتَكُنْ قِرَاءَتُكَ بِتَدَبُّرٍ وَتَفَهُّمٍ.

وَإِذَا عَنَّتْ لَكَ فَائِدَة أَثْنَاءَ القِرَاءَةِ فَقَيِّدْهَا ».

مِنَ المعاني والهدايات الَّتي تدلُّ عليها آيات القُرآن الكريم: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [سُورَةُ الإِسْرَاءِ :٩] ؛ والله جَلَّجَلَالُهُ يقولُ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ [سُورَةُ صٓ] ، فيجعلُ لنفسه وِردًا يوميًّا .

أفضل طريقةٍ طريقةُ الصَّحابة[١] وهي تحزيب القرآن إلى سبعة أحزاب بحيثُ

(١) عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:« **اقْرَأ الْقُرْآنَ فِي شَهْرٍ**».
قُلْتُ: إِنِّي أَجِدُ قُوَّةً حَتَّى قَالَ: « فَاقْرَأْهُ فِي سَبْعٍ وَلاَ تَزِدْ عَلَى ذَلِكَ » رواه البخاري (٥٠٥٤)، ومسلم

يختمُ في كلِّ أسبوع مرة، وإن ختم في كلِّ شهر، أوفي كلِّ أربعين يومًا ، أو في كل عشرين يومًا ، أو في كلِّ عشرة أيام، في كلِّ أسبوع ، في كلِّ ثلاثة أيام ، لا أقل من ذلك؛ لكن يجعل ذلك شيئا ثابتًا يواظب عليه و «**أَحَبَّ الْعَمَلِ إِلَى اللهِ أَدْوَمُهُ وَإِنْ قَلَّ**»[1] .

«**٢- احْرِصْ عَلَى حِفْظِ مَا تَيَسَّرَ مِنْ صَحِيحِ سُنَّةِ الرَّسُولِ ﷺ وَمِنْ ذَلِكَ حِفْظُ «عُمْدَةِ الأَحْكَام»**».

نصَّ رَحِمَهُ اللهُ على هذا الكتاب المبارك عمدة الأحكام للإمام عبد الغني المقدسي رَحِمَهُ اللهُ تعالى[2].

«**٣-احْرِصْ عَلَى التَّرْكِيزِ وَالثَّبَاتِ بِحَيْثُ لَا تَأْخُذْ العِلْمَ نُتَفًا مِنْ هَذَا شَيْء وَمِنْ هَذا شَيْء لِأَنَّ هَذَا يُضَيِّعُ وَقْتَكَ وَيُشَتِّتُ ذِهْنَكَ**».

وهذا تنبيه مهمٌّ وكثيرًا ما نغفل عنه، والشَّيخ يرى أنَّ طالب العلم ينبغي أنْ يُؤسِّس نفسَه علميًّا، والتَّأسيسُ علميًّا يكون برعاية وعناية المتون الَّتي وضعها أهل العلم لتُصبح قاعدةً لطالب العلم في العقيدة وفي الحديث والفقه ونحو ذلك، فيعتني بهذه المتون بحيث تكون فصولًا ثابتةً يؤسِّسُ عليها علمه، لا أن يكون تحصيل العلم نُتفًا.

قال رَحِمَهُ اللهُ تعالى : «**٤- ابْدَأْ بِصِغَارِ الكُتُبِ وَتَأَمَّلْهَا جَيِّدًا ثُمَّ انْتَقِلْ إِلَى مَا فَوْقَهَا حَتَّى تُحَصِّلَ عَلَى العِلْمِ شَيْئًا فَشَيْئًا عَلَى وَجْهٍ يَرْسُخُ فِي قَلْبِكَ وَتَطْمِئِنُ إِلَيْهِ نَفْسُكَ**».

(١١٥٩).

(١) رواه البخاري (٥٨٦١)، ومسلم (٢٨١٨).

(٢) قال العلامة محمد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «كتاب (عمدة الأحكام) ممَّا اتَّفق عليه البخاري ومسلم، فيكون المُعْتَمِد عليه معتمدًا على أساس لا يحتاج إلى تعب في تخريج الأحاديث، وإذا حفظها بإذن الله استطاع أنْ يستدل لكلِّ مسألة وهو مطمئن»«شرح عمدة الأحكام» (١/ ١٥).

ولهذا غالبُ أهلِ العلمِ يُرشدُون مَنْ بدأ بطلب العلم إلى كتاب «الأربعين» للإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ ولا يزيدون عليه، يقولون اعتني بهذا الكتاب، بينما بعض الدُّعاة أو بعض طلَّاب العلم إذا جاء إنسان مبتدئ للتَّو دَخَل في الاستقامة وقال بماذا تَنْصَحُني؟

أملاه قائمة بالكتب؛ وهذا جيِّد، وهذا مفيد، وهذا نافع، وهذا يصلح في كذا؛ فيرى العلمَ ثقيلا جدًا ويجد صعوبة في الدُّخُول في هذه كلِّها وفي الغالب يتركه، لكن إذا قيل له: خذ «الأربعين» يكفيك، اعتني به، احفظه وراجعه استمع إلى شروحاته، أربعون حديثًا ما تأخذ منك وقتًا، لو حفظت كلَّ يوم حديثًا لأكملتها في أربعين يومًا أو في اثنين وأربعين يومًا وستجد أثرها المبارك عليك.

لأنَّ «الأربعين» للإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ - سبحان الله - عجيبة للغاية، وُفِّق رحمة الله عليه توفيقًا عظيمًا في انتقائها وجمعها[1]، كُتب في الأربعين كتب كثيرة قبله وبعده لكن لم يُكتب لكتاب أُلِّف في الأربعين مِنَ القبول وعموم النَّفع والفائدة مثل ما كُتِب للأربعين للإمام النَّوَوي رَحِمَهُ اللَّهُ؛ لأنَّه انتقى فيه الجوامع مِن كَلِم الرَّسول ﷺ بحيث إذا حفظه طالب العلم حفظًا مُتْقَنًا واستمع إلى شروحاته مِنْ أكثر مِنْ عالم يصبح عنده قاعدةً شرعيَّةً صلبةً متينةً يبني عليها عقيدته وعبادته وتعامله مع النَّاس[2].

(١) قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وينبغي لكلِّ راغبٍ في الآخرة أن يعرف هذه الأحاديث؛ لما اشتملت عليه مِنَ المهمَّات، واحتوت عليه مِنَ التَّنبيه على جميع الطَّاعات، وذلك ظاهر لمن تدبَّره»«الأربعون النووية»(ص ١٦).

(٢) قال شيخنا عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر حفظه الله: «لا أجدُ حرجًا في أنْ أرويَ تجربةً لي مع «الأربعين»:

في إحدى الدُّول الإفريقية بقيتُ فيها قرابة عشرين يومًا وفتحتُ درسًا في الأربعين، وكان فيه من يترجم، والمسجد حافلٌ بالحُضور وفي البلد الَّذي كنتُ أُلقي فيه تلك الدُّروس فيه مخالفات كثيرة: في العقيدة وفي

«٥- احْـرِصْ عَلَى مَعْرِفَةِ أُصُولِ المَسَائِلِ وَقَوَاعِدِهَا وَقَيِّدْ كُلَّ شَيْءٍ يَمُرُّ بِكَ مِنْ هَـذَا القَبِيلِ فَقَدْ قِيلَ: «مَنْ حُرِمَ الأُصُولَ حُرِمَ الوُصُولَ»[١].

والقواعد الَّتي يشيرُ إليها الشَّيخ رَحِمَهُ اللَّهُ ويؤكِّد على العناية بضبطها هذه تضبط لطالب العلم علمه وتجمع له الأشباه والنَّظائر وتزيل عنه الإشكالات الواردة، لأنَّه يرد الأمور إلى هذه القواعد والأصول الكليَّة الجامعة .

والعلماء في فنون الشَّريعة حرَّروا القواعد، يعني على سبيل المثال في باب الأسماء والصِّفات الشيخ نفسه رَحِمَهُ اللَّهُ كتب كتابا مِنْ أنفع ما يكون لطالب العلم: «القواعد المثلى في أسماء الله وصفاته الحسنى»، وكَتَب العلماء قواعد في التَّفسير، وقواعد في الفقه، وقواعد في أمور كثيرة، فهذه القواعد من شأنها أنَّها تضبط لطالب العلم علمه .

والشيخ أكد على الكتابة والتقييد؛ أذكر أني سمعت من الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ فائدة يرويها عن نفسه طريفة جدًا يقول: كنا نقرأ على الشيخ ابن سعدي رَحِمَهُ اللَّهُ في ساحة المسجد، يعني في الهواء الطلق في الحوش الفناء الذي خلف المسجد، كنا نقرأ عليه وكان الشيخ يشرح، يقول فمرت طيور فرفعت بصري وأخذت أنظر

العبادة، وفي الأخلاق وفي المعاملات.

وكنتُ أسألُ بعضَ طلّاب العلم أَنْ يخبروني بالمخالفات الَّتي تكون في البلد سواء مشاكل البيوت أو الجرائم الَّتِي تقع أو الفساد العقدي أو البدع ونحو ذلك.

وكنتُ من خلال «الأربعين» للإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ أعالجُ كلَّ مشكلةٍ أسمعُ بها في البلد، أعالجُها بدون أنْ أقول عندكم كذا، ولكن أقولُ وأنا أشرح «الأربعين»: وقد دلَّ هذا الحديث العظيم على عدم جواز كذا.. من جهة كذا، وأُبيِّنُ الأدلَّة، وكان عدد منهم يأتي ويعلنُ توبته، ويأتي آخرون ويذكرون مخالفات أخرى يقولون: نريد أن تُعرِّج عليها في الأحاديث القادمة»«شرح الأربعين النووية» (الشريط الأوَّل).

(١) قال العلامة محمد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «يعني: أنَّه لا يصلُ إلى غايته، وهذه حقيقة»«شرح أصول في التَّفسير»(ص٢٩).

إليها وأتابعها فانتبه لي الشيخ ابن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وقالي لي: (يا محمد صيد العلم خيرٌ من صيد الطير).

وصيد العلم يقيد مثل الصيد -صيد الطير أو صيد الغزال- إذا ما قُيد وربط يفر يذهب، وصيد العلم يقيد بالكتابة لأنك إن لم تقيده وتكتبه إن احتجته فيما بعد لا تجده؛ ولهذا أكد رَحِمَهُ ٱللَّهُ على قضية الكتابة[١].

سادسا وأخيرا يقول: «**نَاقِشْ المَسَائِلَ مَعَ شَيْخِكَ أَوْ مَنْ تَثِقُ بِهِ عِلْمًا وَدِينًا مِنْ أَقْرَانِكَ**».

ما كل الأقران يصلح لذلك وإنما يتميز بعض الأقران بعلمه وعنايته وضبطه.

« **نَاقِشْ المَسَائِلَ مَعَ شَيْخِكَ أَوْ مَنْ تَثِقُ بِهِ عِلْمًا وَدِينًا مِنْ أَقْرَانِكَ وَلَوْ بِأَنْ تُقَدِّرَ فِي ذِهْنِكَ أَنَّ أَحَدًا يُنَاقِشُكَ فِيهَا**»؛ انظر هذه الفائدة جميلة ! يقول قدر في ذهنك أن أحدًا يناقشك في هذه المسألة وتبدأ تجاوب وتستحضر رده وتجاوب.

« **وَلَوْ بِأَنْ تُقَدِّرَ فِي ذِهْنِكَ أَنَّ أَحَدًا يُنَاقِشُكَ فِيهَا إِذَا لَمْ تَكُنْ المُنَاقَشَةُ مَعَ مَنْ سَمَّيْنَا**»؛ يعني من شيخٍ أو قرين نابه.

انتهت هذه الوصية الجميلة المحررة النافعة المفيدة لهذا الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى .

وأسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن ينفعنا أجمعين بما علَّمنا وأن يزيدنا علمًا وأن يصلح لنا شأننا كله وأن لا يكلنا إلى أنفسنا طرفة عين وأن يهدينا إليه

---

(١) قال العلامة بكر بن عبد الله أبو زيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ابذل الجهد في حفظ العلم (حفظ كتاب)، لأن تقييد العلم بالكتابة أمان من الضياع، وقصر لمسافة البحث عند الاحتياج، لا سيما في مسائل العلم التي تكون في غير مظانها، ومن أجل فوائده أنه عند كبر السن وضعف القوى يكون لديك مادة تستجر منها مادة تكتب فيها بلا عناء في البحث والتقصي» «حلية طالب العلم» (ص٣٧).

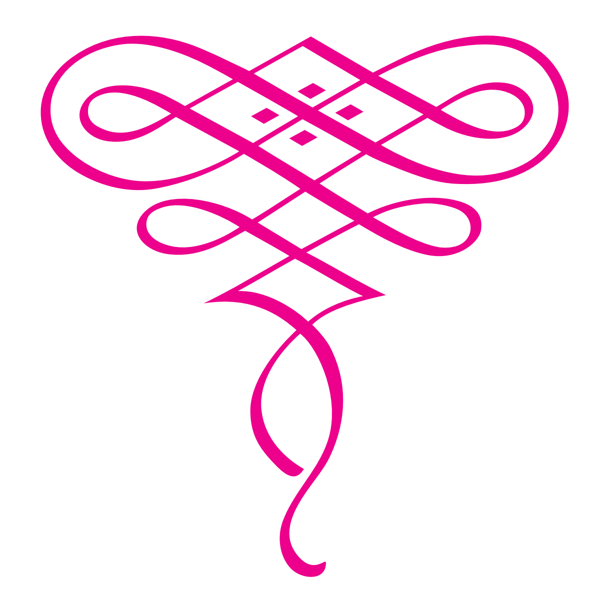
صراطا مستقيما إنه تبارك وتعالى سميع الدعاء وهو أهل الرجاء وهو حسبنا ونعم الوكيل .

بالمناسبة الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ جُمع له مجموع نافع جدًا سمي «كتاب العلم» في مجلد ليس بالكبير[١]، وجُمع فيه متفرقات كثيرة من الوصايا والتوجيهات والفتاوى التي ينتفع بها طالب العلم فيما يتعلق بالعلم والمنهجية فيه والآداب التي ينبغي أن يتحلى بها طالب العلم إلى غير ذلك من الأمور .

والله تعالى أعلم، وصلى الله وسلَّم على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه.

❑❑❑❑❑❑❑❑❑

(١) في (٢٣٠ صفحة) .





قِصَّةُ إِسْلَامِ قِسِّيس

رِسَالَةٌ مِنْ قسِّيس إلى الشيخ عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر يروي له فيها سبب إسلامه المُتَمَثِّل في رسالة للشيخ عبد الرزاق بعنوان: «أَسْبَابُ السَّعَادَة».

وَمَعَهَا:

أَسْبَابُ الخَيْرِ وَالسَّعَادَةِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَة

الشَّيخ

عَبْدُ الرَّزَّاق بْن عَبْدِ المُحْسِن البَدْر

اِعْتَنَى بِهِمَا وَعَلَّقَ عَلَيْهِمَا

أبو عبد العزيز منير الجزائري

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة المعتني:

الحمدُ لله الرَّبِّ الكَرِيم، الَّذي رَبَّى جَمِيع العَالَمِين بنِعَمِه، الإِلهِ العَظِيمِ الَّذي خَضَعتْ الأكوانُ لِعَظَمَتِه.

وأَشْهدُ أَنْ لَا إِلَه إِلَّا الله المُتَفرِّد بِوَحْدَانِيَّته.

وأَشْهدُ أنَّ مُحَمَّدًا عبدُه ورسولُه المختار مِنْ بريَّته.

اللَّهُم صَلِّ وسلِّم عَلى محمَّد وعلى آله وأصحابه ومَنْ أيَّدته بِنُصْرته.

أَمَّا بَعْدُ:

فإنَّ دينَ الإسلام هُوَ أكملُ الأَدْيان وأَفْضَلُها، وأَتمُّها وأَجْمَلُها وأَجَلُّها، أَعْلَاها فخرًا، وَأَعْظَمها قدرًا.

جَاء بأعظمِ الأَدْيان خيرُ ولد عدنان مُحَمَّد بن عبد الله ﷺ، وكانتْ مُعْجِزتُه المُعْجِزة الخالدة وهي القرآن الكريم، وبُعث إلى خير أمَّة أُخرجتْ للنَّاس.

فأكملَ الله به الملَّة وأتمَّ به النِّعْمَة، قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [سُورَةُ المَائِدَةِ: ٣].

فـ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: ١٩]، ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا

﴿فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْآخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ٨٥﴾ [سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: ٨٥].

جعلَ الله تعالى لِهَذه الشَّريعة الإسلاميَّة مَحَاسنَ ومَزَايا لَمْ تَكنْ في الشَّرائع الَّتِي قَبْلها مَعَ فضْلِها، قَالَ تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ١٥٧﴾ [سُورَةُ الأَعْرَافِ].

قال شيخُ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «فَفِي شَرِيعَتِه [ﷺ] مِنَ اللِّينِ وَالعَفْوِ وَالصَّفْحِ وَمَكَارِمِ الأَخْلَاق أَعْظَم مِمَّا فِي الإِنْجِيل، وَفِيهَا مِنَ الشِّدَة وَالجِهَاد وَإِقَامَةِ الحُدُودِ عَلَى الكُفَّار وَالمُنَافقين أعظم مِمَّا في التَّوْرَاة، وَهَذَا هُوَ غَايَةُ الكَمَال، وَلِهَذَا قَالَ بَعْضُهُم: بُعِثُ مُوسَى بِالجَلَال، وبُعِثُ عِيسَى بِالجَمَال، وبُعثُ مُحَمَّدٌ بِالكَمَال»(١).

فَكَيْفَ بَعْدَمَا بُدِّلتْ وحُرِّفتْ وانْحَرَفَتْ؟!

هَذَا مِمَّا جَعَل بَعْضَ العُقَلاء يُجْذَبون إِلَى الإسلام جَذْبًا لِفِطْرَتِهم السَّليمة وأفكارهم القويمة، فَقَدْ وَجَدُوا فِيهِ مَا لَمْ يَجِدُوه ويُحَصِّلوه في الدِّيَانَات المُحَرَّفة وَالعَقَائِد المُنْحرِفَة: ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ٣٥﴾ [سُورَةُ يُونُسَ].

بَلْ وَصَلَ الحالُ بِبَعْضِهِم مِمَّن قَضَى سَحَابَة عُمره فِي الدَّعوة إِلَى التَّنْصِير،

(١) «الجواب الصحيح لمن بدَّل دين المسيح» (٦/ ٨٦).

والتَّحذير مِنَ الإسلام أَنْ يعتنقَ الإسلام.

قال العلَّامة عبد الحميد بن باديس رَحِمَهُ اللهُ: «يَجْذِبُ الإِسْلَام الكُبَرَاء وَالعُقَلَاء مِنْ أَبْنَاء النَّصْرَانِيَّة بِدُون دِعَايَة وَلَا تَبْشِير.

بَيْنَمَا تَسْعَى النَّصْرَانِيَّة بِكُلِّ جُهْدِهَا فِي تَنْصِير المُسْلِمين، فَلَا تَظْفَر إِلَّا بِالعَدَدِ النَّزر مِنَ الصِّغار الضُّعفاء الَّذِيَن يَرْكُنُون لِدِعَايَتِهَا عِنْدَ الحَاجَة، وَيَتْرُكُونَها عِنْدَ الاسْتِغْنَاء»[1].

وَفِي هَذِه الوُرَيْقَات مِثَالٌ حيٌّ لِأَحَد القَسَاوِسَةِ عَاشَ أَكْثَر مِنْ **٣٠ سنة** فِي ظَلَامٍ قَاتِم تَحْتَ ظِلِّ التَّنصِير حَتَّى مَنَّ الله عَلَيْهِ بِالهِدَاية بأَنْ شَرَحَ الله صَدْرَه للإسلام ليجدَ السَّعَادَة وَالاطْمِئْنَان، وَالسَّكِينَة وَالأَمَان الَّتِي ظَلَّ جاهدًا يبحثُ عَنْها وَلَكِنَّه لَمْ يَجِدْهَا إِلَّا وَهُوَ مُسْلِم.

إِنَّها قِصَّةٌ زَخَرَتْ بِالدُّروس المُسْتَفَادة مِنْ تَجْرِبَة هَذَا الرَّجُل الَّتِي خَاضَهَا ثُمَّ سَطَّرَهَا بِمِدَاد الحُبِّ وَالصِّدق وَالنُّصْح، وَهُوَ لَا يَرْجُو بِذَلِكَ نَفْعًا لِأَنَّه كَتَبهَا وَهُوَ عَلَى فِرَاشِ المَوْت.

فَهَيَّا بِنَا إِخْوَاني فِي الله نقرأها ونتأمَّلها لِنَسْتَفِيد مِنْ تَجْرِبَة هَذَا الرَّجُل، وَنَكْتَشِفَ حَقَائِقَ قَدْ غَابَت وغُيِّبَت عن الكَثِير مِنَّا.

كَمَا لَا يَفُوتُنِي أَنْ أَتَقَدَّم بِالشُّكْرِ الجَزِيل **لِأَحَدِ أَبْنَاءِ شَيْخِنَا عبدالرزاق بن عبد المحسن البدر حفظه الله** الَّذِي أَهْدَى لي هذه الرِّسَالَة مُتَرْجَمةً إِلَى اللُّغة العربيَّة مِنَ القسِّيس إِلَى الشيخ عَبد الرَّزاق.

(١) «الآثار» (٥/ ٦٠).

وقد أَضَفتُ خُطْبَة جمعة لشيخنا عبد الرَّزاق بعنوان: « **أَسْبَابُ الخَيْرِ وَالسَّعَادَةِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ**»، إتمامًا للفَائِدَة ولِمَا وَجَدْتُ مِنْ عَلَاقة وَثِيقَة بَيْنَ مَوْضُوعِهَا وَمَوْضُوع الرِّسَالَة، والله الموفَّق.

فَ«الحمدُ لله ثُمَّ الحمدُ لله تعالى الَّذِي هَدَانا للإِسْلام وَمَا كُنَّا لِنَهْتدي لَوْلَا أَنْ هَدَانا الله.

يَا ذَا الجَلال والإِكْرام كَمَا هَدَيْتَنا للإسلام أَسْأَلك أَنْ لَا تَنْزَعه عَنَّا حَتَّى تَتوفَّانا عَلَى الإِسْلَام »[1].

مُحِبُّكُم فِي الله

أبو عبد العزيز منير الجزائري

abou-abdelaziz@hotmail.fr



(١) «إغاثة اللَّهفان من مصائد الشَّيطان» (ص٥٢٢).

نَصُّ الرِّسَالَة:

مِنْ عبد الرَّحمن الإسلاميّ

إلى الشَّيخ/ عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر

حفظه الله.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

السَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته:

إِلَى الَّذي أحببتُه في الله السَّيد الشيخ عبد الرَّزاق بارك الله فيكم.

فإنِّي أعرِّفُ بنفسي إليكم، اسمي **رَابِرط تَنْهُو مَانْكولانج** وتسمَّيتُ بعد إسلامي بـ **عبد الرَّحمن الإسلامي**، وأنا من قبيلة دَايَك في كاليمنتان، واعذرُوني على الإزعاج لوقتكم ومناشطكم بحضور هذه الرِّسالة.

أودُّ أن أَحكي لكم في هذه الرِّسالة قصَّة مُختصرةً عمَّا جرى في حياتي كَمَا سَأَذكرُ لكمْ أمنيتي فيمَا تَبَقَّى مِنْ عمري.

فَإِنِّي قَدْ أَسْلمتُ في ١٥ ديسمبر عام ٢٠١١م، وَبداية معرفتي بالإسلام ودخولي فيه لأجل ما يجول في نفسي مِنْ شكٍّ في الدِّيانة الَّتي كنتُ أعتنقُها، ولي ٦ إخوة أشقَّاء كلُّ واحد منهم يَدِينُ بغير دين أخيه، مِنْهم مَنْ يعتنقُ الدِّيانة الهندوسيَّة، ومنهم من يعتنقُ الدِّيانة الكَاثُوليكيَّة، ومنْهُم مَنْ يعتنقُ الدِّيانة البروتستانتية، ومع

ذلك لَا أَحَد مِنْهم يعتنقُ الإسلام، لأنَّا ـ كعائلة واحدة ـ **نزعمُ أنَّ دين الإسلام دينُ عُسْرٍ ومَشَقَّة**(١).

كنتُ أعملُ مُنَصِّرا وأسقفا(٢) للنَّصارى البروتستانت لأكثر من ٣٠ سنة، **وأخيرًا تعيَّنتُ رئيسًا** على كلِّ كنيسة في إحدى المُدُن بكاليمنتان وهي مدينة كُوْتَاي الغربيَّة، وفي تلك الفترة حَصَلتُ على أموالٍ كثيرة مع مَنْصِب عالٍ، **وذلك غاية ما يبحثُ عنْهُ الأساقفة**.

وقد تزوَّجتُ ستَّ مرَّات ولم أُرْزقْ بولد قط، ولهذا أنفقتُ أموالي **في اللَّهو واللَّغو وأنهيتُها في طَاوِلات القِمَار**.

---

(١) هذه مِنَ التُّهم الَّتي وُجِّهتْ و تُوَجَّه لدين الإسلام، وكما قيل: «مَنْ جَهِلَ شَيْئًا عَادَاهُ»، فإنَّ الله تعالى يقول: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [سُورَةُ الحَجِّ :٧٨]، و روى الإمام البخاري في صحيحه (٣٩)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: « **إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ** ».

قال العلامة عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « فشريعة نبيِّنا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أفضلها وأكملها وليس فيها آصار ولا أغلال قد وضع الله عَنْ هذا النَّبيِّ وعَنْ أمَّتِه الآصار والأغلال فلله الحمد والمِنَّة شريعةٌ سَمْحة، كما قال في الحديث الصحيح: «**بُعِثْتُ بِالحَنِيفِيَّة السَّمْحَة**»« مسند أحمد بن حنبل» (٥/ ٢٦٦)، وقال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: « **إنَّ هذا الدِّين يسرٌ ولن يشاد هذا الدِّين أحدٌ إلَّا غَلَبَه** » «صحيح البخاري» [الإيمان] (٣٩) «سنن النسائي» [الإيمان وشرائعه] (٥٠٣٤).

وقال لمَّا بعثَ معاذًا وأبا موسى رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا إلى اليمن: « **يَسِّرَا وَلَا تُعَسِّرا، وَبَشِّرَا وَلَا تُنَفِّرَا، وَتَطَاوَعَا وَلَا تَخْتَلِفَا** » «صحيح البخاري» [الجهاد والسير] (٢٨٧٣)، «صحيح مسلم» [الأشربة] (١٧٣٣).

فهذه الشريعة: شريعة التَّيسير، وشريعة المسامحة، وشريعة الرَّحمة والإحسان، وشريعة المصلحة الراجحة، وشريعة العناية بكل ما فيه نجاة العباد وسعادتهم وحياتهم الطيبة في الدنيا والآخرة.

فالله جَلَّ وَعَلَا بعثَ نبيَّنا وإمامَنا محمَّدًا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بشريعة كاملة منتظمة للمصالح العاجلة والآجلة، فيها الدَّعوة إلى كلِّ خير، وفيها التَّحذير من كلِّ شرٍّ، وفيها توجيه العباد إلى **أسباب السَّعَادَة** والنَّجَاة في الدُّنْيا والآخرة» «مجموع فتاويه» (٢/ ٢٢٨).

(٢) «(الأسقف) (وتخفف الفاء) رئيس من رؤساء النصارى فوق القسيس ودون المطران (ج) أساقفة وأساقف»« المعجم الوسيط» (١/ ٤٣٦).

وفيما تَبَقَّى مِنْ حياتي أشعرُ بالقلق الشَّديد والهمِّ المزعِج لِمَا أنا عليه مِنَ الدِّيانة البروتستانتية، فَإِنَّها لا تَأْتِي بالسَّكينة ولا الطُّمَأنينَة.

وقبل مَعْرفتي بالإسلام قُمْتُ بالبحث والتَّتبع والمقارنة بين الأَنَاجِيل المَوْجُودة لديَّ مَعَ الأَنَاجِيل القديمة، **فوجدتُ تناقضات بين تلك الأناجيل**[1]، بالإِضَافَة

(١) فالله تعالى قَدْ أنزلَ إنجيلاً واحدًا على نبي الله عيسى ابن مريم عليه السلام: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ٤٦﴾ [سُورَةُ المَائِدَةِ] ..ثمَّ أصبحت أربعة كُتِبت بعد المسيح عليه السلام بينها اختلاف كبير وتناقض بيِّن، و هذا ممَّا يدل على أنَّ الإنجيل الأصيل قد ضَاعَ وحُرِّف وبُدِّل.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: « وأمَّا الأناجيل الَّتي بأيدي النَّصارى فهي أربعة أناجيل: (إنجيل متى) و(يوحنا) و(لوقا) و(مرقس) وهم متفقون على أن (لوقا) و(مرقس) لم يريا المسيح وإنما رآه (متى) و(يوحنا)، وأن هذه المقالات الأربعة التي يسمونها الإنجيل وقد يسمون كل واحد منهم إنجيلا إنما كتبها هؤلاء بعد أن رفع المسيح فلم يذكروا فيها أنها كلام الله ولا أن المسيح بلغها عن الله بل نقلوا فيها أشياء من كلام المسيح وأشياء من أفعاله ومعجزاته» «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح» (٣/ ٢١).

أمَّا القرآن العظيم فإنَّ الله تعالى تكفَّل بحفظه قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ٩﴾ [سُورَةُ الحِجْرِ].

قصة اليهودي الذي أسلم بَعد أَنْ حرَّف التَّوراة والإنجيل وحاولَ تحريف القرآن العظيم:

ذكر الإمام القرطبي رحمه الله في «تفسيره»(١٠/ ٦):

«كَانَ لِلْمَأْمُونِ- وَهُوَ أَمِيرٌ إِذْ ذَاكَ- مَجْلِسُ نَظَرٍ، فَدَخَلَ فِي جُمْلَةِ النَّاسِ رَجُلٌ يَهُودِيٌّ حَسَنُ الثَّوْبِ حَسَنُ الْوَجْهِ طَيِّبُ الرَّائِحَةِ، قَالَ: فتكلم فأحسن الكلام والعبارة، قال: فلمَّا أَنْ تَقَوَّضَ الْمَجْلِسُ دَعَاهُ الْمَأْمُونُ فَقَالَ لَهُ: إِسْرَائِيلِيٌّ؟

قَالَ نَعَمْ.

قَالَ لَهُ: أَسْلِمْ حَتَّى أَفْعَلَ بِكَ وَأَصْنَعَ، وَوَعَدَهُ.

فَقَالَ: دِينِي وَدِينُ آبَائِي! وَانْصَرَفَ.

قَالَ: فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ سَنَةٍ جَاءَنَا مُسْلِمًا، قَالَ: فَتَكَلَّمَ عَلَى الْفِقْهِ فَأَحْسَنَ الْكَلَامَ، فَلَمَّا تَقَوَّضَ الْمَجْلِسُ دَعَاهُ الْمَأْمُونُ وَقَالَ: أَلَسْتَ صَاحِبَنَا بِالْأَمْسِ؟

قَالَ لَهُ: بَلَى.

إِلَـى رَغْبَتِي في قضـاء مـا تَبَقّـى مـن عمـري في القريـة الَّتـي وُلِـدُتُ فيهـا، فَبَعْـدَ مُضِـي شـهر واحـد قـرَّرْتُ الهِجْـرة إلى تلك القريـة وتركـتُ العَمَـل في الكنائـس تَحْقِيقًا لِهَذِه الرَّغبـة **وَطَلبًا للسَّـكِينَة والسَّـعَادَة.**

والخُلَاصَـةُ: ذهبـتُ أنـا وأحـدُ طلَّابي الَّـذي أَوْصَلَنِي إلـى إحدى المَنَاطـق المُتَخلِّفَة النَّائيـة وهـي منطقـة «بَازِيـر»، علمًـا بـأنَّ ٩٠% مِـنَ المُجْتَمَـع يَدِيـنُ بِدِيـن الوَثَنِيَّة والرُّوحيَّة، وَلَقَـدْ تركـتُ المنطقـة منـذُ عشـرات السِّـنِين ولكـن وجـدتُ الآن فيهـا تَغَيُّـرًا نوعًـا مَـا، وجـدتُ فيهـا رهطًـا مِمَّـن اعتنـقَ ديـنَ الإسـلام، وَمِـنْ ضِمْنهـم والـدُ المـرأة الَّتـي كانـت زوجـة لـي - في نكاحـي الثَّالـث - فإنَّه قَـدْ أَسْـلَم.

ومِـنْ عَادَتِـي، فَإِنِّـي أُمارسُ الرِّياضـة البدنيَّة في الصَّباح الباكر، أَجْـري وأتجوَّلُ حول المَنْطِقَـة، فقصـدتُ بيـت المـرأة ومـررتُ بـه، لأنِّـي أريـدُ أَنْ أعـرفَ مَـا الَّـذي حَـدَث، فتحدَّثـتُ مَـعَ أهـلِ البيـت وتناولنـا النِّقـاش، **وهُـمْ كانـوا أشـرارًا سـيِّئي الخُلُـق ومـع ذلـك تغيَّـرُوا تغيُّـرًا جِذْريًّـا**، تَظهـرُ فِيهـم الأخـلاق الحسـنة والمظاهر الإسـلاميَّة.

فضيلـة السـيد الشـيخ عبـد الـرَّزاق، قريتُنـا قريـةٌ متخلِّفـةٌ وبعيـدةٌ عَـنْ تَزَاحُـم النَّـاس، ومنـذ عشـرات السِّـنين مَضَـتْ لَـمْ يُوجَـد أي داعيـة يدخلُ المنطقـة ويدعُـو أهلهـا إِلَـى الله، فسـألتُهم مُسْـتَغْرِبًا عَـنْ سـبب دُخُولِهْـم في الإِسْـلَام.

قَالَ: فَمَا كَانَ سَبَبُ إِسْلَامِكَ؟

قَالَ: انْصَرَفْتُ مِنْ حَضْرَتِكَ فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَمْتَحِنَ هَذِهِ الأَدْيَان، وَأَنْتَ مَعَ مَا تَرَانِي حَسَنَ الْخَطِّ، فَعَمَدْتُ إِلَى التَّوْرَاةِ فَكَتَبْتُ ثَلَاثَ نُسَخٍ فَزِدْتُ فِيهَا وَنَقَصْتُ، وَأَدْخَلْتُهَا الْكَنِيسَةَ فَاشْتُرِيَتْ مِنِّي، وَعَمَدتُ إِلَى الإِنْجِيل فَكَتَبَ ثَلَاثَ نُسَخٍ فَزِدْتُ فِيهَا وَنَقَصْتُ، وَأَدْخَلْتُهَا الْبِيعَةَ فَاشْتُرِيَتْ مِنِّي، وَعَمَدْتُ إِلَى الْقُرْآنِ فَعَمِلْتُ ثَلَاثَ نُسَخٍ وَزِدْتُ فِيهَا وَنَقَصْتُ، وَأَدْخَلْتُهَا الْوَرَّاقِينَ فَتَصَفَّحُوهَا، فَلَمَّا أَنْ وَجَدُوا فِيهَا الزِّيَادَةَ وَالنُّقْصَانَ رَمَوْا بِهَا فَلَمْ يَشْتَرُوهَا، فَعَلِمْتُ أَنَّ هَذَا كِتَابٌ مَحْفُوظٌ، فَكَانَ هَذَا سَبَبُ إِسْلَامِي».

وحكوا أنَّ هناك شابًا جاويا[1] جاء مِنَ المدينة إلى مَنْطِقَتِنَا ومعه آلة حجامة، **وَهُوَ يَعْمَلُ بِدِينه، وَبِسَبَب أَخْلَاقِه الكَرِيمَة وَحُسْنِ تَعَامُله مَعَهُم بَدَؤُوا يَتَعَلَّمُون مِنْه**[2]، وفي البداية دَخَلَتْ أسرتان في الإسلام ثُمَّ بَلَغَ الآن عدد المسلمين ٣٠ أسرة (يساوي ٤٠ شخصا و ١٨ طفلا) يتعلَّمونَ مِنْه دِينَ الإسلام.

وبعدما انتهينا مِنَ الحوار، أعطوني كُتَيِّبا بعنوان «**أَسْبَابُ السَّعَادَة**» من تأليف الشيخ عبد الرزاق [بن عبد المحسن البدر]، وَكتابًا بعنوان « الحجامة سنَّة النَّبي ﷺ وإعجازٌ طبي».

وحينما رجعتُ إلى البيت تدبَّرتُ كُلَّ المعاني مِنْ صفحات الكتيِّب قبل النَّوم، ثمَّ لا أدري فإذا بي يقشعرُّ جلدي، ويوجل قلبي تعجُّبًا لِمَا فيه مِنَ البَيَان عَنْ السَّعَادَة الَّتي دائمًا أبحثُ عَنْها.

ولقد كنتُ أخطبُ أمام النَّاس عشرات السِّنين، ولم أجدْ كلامًا جميلًا إلَّا في هذه اللَّحظة، وَإِنْ كنتُ لَا أَفهمُ بعض المعاني مِنْ بعض العبارات في الكُتَيِّب إلَّا أنِّي

---

(١) أي من جزيرة جاوة الإندونيسية.

(٢) قال العلامة عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « أمَّا كيفية الدَّعوة وأسلوبها فقد بيَّنها الله عَزَّوَجَلَّ في كتابه الكريم، وفيما جاء في سنَّة نبيه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ومِنْ أوضح ذلك قوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾[سُورَةُ النَّحْلِ :١٢٥]، فأوضح سبحانه الكيفية الَّتي ينبغي أَنْ يتَّصف بها الدَّاعية ويسلكها، يبدأُ أوَّلا بالحكمة، والمراد بها الأدلَّة المقنعة الواضحة الكاشفة للحق، والدَّاحضة للباطل، ولهذا قال بعض المفسرين: المعنى بالقرآن، لأنَّه الحكمة العظيمة، لأنَّ فيه البيان والإيضاح للحق بأكمل وجه، وقال بعضهم معناه بالأدلَّة مِنَ الكتاب والسنَّة، وبكلِّ حال، فالحكمةُ كلمة عظيمة، معناها الدَّعوة إلى الله بالعلم والبصيرة، والأدلَّة الواضحة المُقْنِعَة الكاشفة للحق، والمبيِّنَة له» «مجموع فتاويه» (١/ ٣٣٦).

<u>**مسألة**</u>: هل انتشر الإسلام بالسَّيف؟

جاء في «فتاوى اللجنة الدائمة» (١٢/ ١٤): «الإسلام انتشر بالحجَّة والبيان بالنسبة لمن استمع البلاغ واستجاب له، وانتشر بالقوة والسَّيف بالنسبة لمن عاند وكابر حتَّى غلب على أمره، فذهب عناده فأسلم لذلك الواقع».

فهمتُ المُرَاد والمَقْصُود مِنَ المُؤَلِّف.

وفي يوم الغد، ذَهَبْتُ لألتقي بعض الزملاء لِأَسأل: مَتَى يَأْتِي الشَّاب.

فإذا ذاك اليوم، وقد تواعدوا معه لاستقباله ثم إيصاله عبر النَّهر، لأنَّ طريق البَرّ مُوحلة بسبب هُطُول الأمطار الغزيرة.

وبعد أن التقيتُ به، أخبرتُه بنيَّتي وإرادتي بالدُّخول في الإسلام، وبِكلِّ يَقِين نطقتُ بالشَّهَادَتَيْن أمام ٨ رجال و ٤ نساء، وإِنْ كنتُ وجدتُ صُعُوبةً في النُّطق بذلك لعدم اعتيادي بهذا النُّطق، فَلَمْ أستطعْ النُّطق الصَّحيح، فَلُقِّنتُ نُطْق الكلمة «لا إله إلا الله محمد رسول الله» ثمَّ أخذَ هذا الشَّاب بيدي بقوَّة وعانقني وعيناي تذرفان، وقال لي: **لَقَدْ أَصْبَحْتَ أخًا لِي فِي الإِسْلَام**[1]**، فَافْرحْ بِمَا وَعَدَنَا الله، بِأَنَّنَا سَنَلْتَقِي غدًا فِي جَنَّتِه، إِنْ أَطَعْنَا الله وَرَسُولَه** ﷺ[2].

وبعد ذلك، تحاورنا وتبادلنا الخبرات والتَّجارب، فسألتُه عَنْ مؤلِّف الكُتيِّب، وأين يمكنني اللِّقاء به، وأريته الكتيب الَّذي معي، وفُوجئت بأنَّ هَذَا الشَّاب لَمْ يلتقِ بالشيخ عبد الرَّزَّاق ولم يره مباشرة، وإنَّما قد استمع إلى محاضرته عبر الإذاعة فقط قبل رحلته إلى كاليمانتان، حتَّى وَإِنْ كانت للشيخ رحلات دعويَّة إلى جاكرتا، فإنَّه لَمْ يَسْتَطعْ حضور مجالس الشيخ العلميَّة لِعَدَم إمكانيَّاته الماديَّة.

وبعد أسبوعين، جاء هذا الشَّاب مرَّة أخرى بكتاب عنوانه «طريقة موجزة في تعليم قراءة القرآن» وكذلك جاء بسبُّورة، وبشَّرني بأنَّ الشيخ عبد الرَّزاق سيأتي في شهر فبراير ٢٠١٢م إلى جاكرتا، فقلتُ له: هيَّا بنا نُسافرُ إلى جاكرتا، وعليَّ تكاليف السَّفر ولتكن معك أسرتك في السَّفر.

---

(١) موقفٌ جميلٌ يجسِّد معنى قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحُجُرَات: ١٠].

(٢) فقد قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [سُورَةُ الفَتْحِ: ١٧].

فرفض الشَّاب ما عرضتُ عليه وبيَّن سبب رفضه **وهو أنَّه يقوم بتعليم النَّاس دينَهَم ليس لأجل الحُصول على الأموال ولا زخارف الدُّنيا**(١)، إلاَّ أنِّي أصررتُ على إعطائه قيمة تكاليف السَّفر إلى جاكرتا، وأخيرًا قبل مِنِّي ذلك واشترى التَّذَاكر لسفرنا في فبراير ٢٠١٢م.

ومِنَ الجدير بالذِّكر أنَّ هَذَا الشَّاب الدَّاعية منذ سنتين في سيره للدَّعوة يَمرُّ بالجبال الشَّاهقة للوصول إلى هذه القرية لتعليم أهلها، ولم يكافؤوه إلَّا بشيءٍ مِنَ الأسماك والموز، **وأمَّا أنا فَقَدَّم لي جماعتي أموالًا في كلِّ أسبوعٍ.**

منذُ هذه اللَّحظة أتعلَّمُ مجتهدًا لمعرفة **مَحَاسِنَ الإِسْلَام**(٢)، وعلى العُمُوم لاَ يوجد أيَّ إكراه من قِبَل قبيلتي في اعتناق دِينٍ مُعَيَّن، مهما كان الاختلاف في الأديان فلا بأس بذلك بشرط عدم الإزعاج على التَّقاليد والعادات السَّائرة في قبيلتنا، عِلمًا بأنَّ مُعْظَم أهل القبيلة على الدِّيانة الهندوسيَّة الوثنيَّة.

---

(١) أخي القارئ قارن كلام هذا الشَّاب الدَّاعية إلى الله مع ما قاله عبد الرحمن الإسلامي لمَّا كان قسيسا: «وفي تلك الفترة حصلتُ على أموالٍ كثيرة مع منصب عالٍ، وذلك غاية ما يبحثُ عنْهُ الأساقفة».

(٢) قال شيخنا عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر حفظه الله: «قال الإمام ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: لَوْ بُيِّن الإسلامُ وَمَحَاسنه للكفَّار لدخلُوا فيه أفواجًا.

وقد حدَّثني أحدُ الدُّعَاة الهنديين أنَّه أسلمَ على يديه (ألف شخص)، وطَرِيقَتِي أجلسُ إليه فأحادثه، فَلَا أزيدُ على ربع ساعة بذكر محاسن الدِّين، وأقصاه نصفُ ساعةٍ، هؤلاء (ألف) كلّ واحد على حدى»مِنْ أشرطة «شرح أصول وكليات من أصول التفسير وكلياته لا يستغني عنها المفسر للقرآن».

إنَّ موضوع محاسن الإسلام مِنَ المواضيع المُهمَّة الَّتي ينبغي أَنْ يعتني بها المسلم فضلًا عن الدَّاعية تعلُّمًا وتعليمًا، وقد اهتم علماؤنا بالكتابة في هذا الموضوع، نذكرُ بعضها:

«الإِسْلَامُ دِينٌ كَامِلٌ» للعلامة محمد الأمين الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ.

«مَحَاسِنُ الدِّينِ الإِسْلَامِيّ» للعلامة عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ.

«مِنْ مَحَاسِنِ الدِّين الإِسْلَاميّ» للعلامة عبد العزيز السلمان رَحِمَهُ اللَّهُ.

«الشَّرِيعَةُ الإِسْلَاميَّةُ وَمَحَاسِنُهَا وَضَرُورَةُ البَشَرِ إِلَيْهَا» للعلامة عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ.

وفي صباح ذلك اليوم أحسستُ بألمٍ شديدٍ في جسدي بِسَبَب مَرَض «**الفتق**» الَّذي أُعَانيه، فما استطعتُ تحريكَ رِجليّ، فساعدني أحدُ الجيران وقَامَ بإيصالي إلى أقربِ مستوصف خارج القرية، فأُعطيتُ مِنَ الأَدْوية البَسِيطة المَوْجُودة المتيسِّرة لديهم، لأنَّ العِيَادَات المَوْجُودة داخل القرية ليس فيها طبيبٌ مُوَاظب، وإنَّما فيها طبيبٌ شعبيّ أو مُمَرِّضة شعبيَّة تقوم بعملية الولادة.

وبعدَ أسبوعٍ جَاءَ الشَّاب الدَّاعية لأذهبَ معه إلى بَيْتِه بجانب المُصَلَّى ولِأَسْكُنَ عنده عدَّة أيَّامٍ - **ولكن قدر الله وما شاء فعل**[1] - فما استطعتُ المَشْيَ، بَلْ وَلاَ القيام حينذاك، فقرأَ عليَّ الشَّاب بعضَ الأدعية وطلب العَسَل والماء فشربتُهُمَا، وفي المساء تحسَّنتُ فاستطعتُ المشي بمشقَّة، ثم اعتذرتُ مِنْهُ على عَدَم الحضور في درس تَعْلِيم قراءة القرآن فَعَذَرَني.

وقلتُ له: أَنَا لَا أستطيعُ السَّفر إلى جاكرتا، ولَا أستطيعُ مُقَابَلة الشَّيخ فَأَرْجُو إبلاغ سلامي إلى الشيخ وأبلغ رسالة الشُّكر مِنِّي له[2]، وسأذهبُ إلى بيتِ صديقي في المَنْطِقة الأخرى لمشاهدة محاضرة الشَّيخ المنقولة عبر البثِّ المباشر بالدُّش.

فَسَافَرَ الشَّابُ مَعَ أُسْرَتِه إلى جاكرتا...

وفي يوم الأحد ١٩ فبراير ٢٠١٢م فَرِحْتُ فرحًا شديدًا لأَنَّني رأيتُ وَجْهَكُم يا شيخ، وإِنْ كانت الشَّبكة ضعيفة ولَمْ يَكُنْ التِّلفاز واضحَ الصُّورة إلَّا أَنِّي وَجدتُه

---

(١) ثبت في «صحيح مسلم» (٢٦٦٤)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ، احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلاَ تَعْجِزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيءٌ فَلاَ تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: **قَدَرُ اللهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ**، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ».

(٢) فقد كانت رسالة الشيخ عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر حفظه الله من أهم الأسباب في إسلامه بعد توفيق الله تعالى.

درسًا عظيمًا مِنْ مُحَاضَرَتِكُمْ وهو: «**إِذَا أَرَدْنَا نَيْلَ مَحَبَّة الله عَلَيْنَا تَقْدِيم امْتِثَال أَوَامره عَلَى كُلِّ شَيْء**»(١).

وددتُّ أَنْ أستزيدَ مِنَ الاستماع إلى محاضرتكم ولكن كما قلتُ أنَّ الشَّبكة ضعيفة: فالصَّوتُ والصُّورةُ متقطِّعة، ولم تكن واضحة، فخطر ببالي لماذا لم أُجْبِر نفسي للسَّفر إلى جاكرتا؟

فضيلة السيد الشيخ، منذ ذلك الحين فهمتُ حقيقة الحياة في نظر الإسلام، وهي أنَّ الحياة الدُّنيا فانية مؤقَّتة، وأمَّا الآخرة فهي البَّاقية الأبديَّة(٢).

وهناك حادثة تُحْزنني وتُؤْلمني، وهي أنَّ ذلك الشَّاب وهو في سيره للدَّعوة أمسكه بعض المسؤولين في القرية وفعلوا معه استجوابا وتحقيقا ـ ومع الأسف الشَّديد أن هؤلاء مسلمون ـ واتَّهمُوه بأنَّه جاء ليُعَلِّم التَّعاليم المُنْحرفة، لِذَا أمسكُوه ومنعُوه من الدَّعوة والتَّعليم، فجاء أحدُ إخواننا اسمه «ماريس» وهو أحد الأشخاص الكبار المعروفين في القرية وقد دخل في الإسلام، فبَيَّن لهم أنَّ الشَّاب إنَّما جاء ليُعَلِّم قراءة القرآن وكتابته.

ثم مضى شهران، ثم ثلاثة أشهر حتَّى مَضَتْ السَّنة ولم يأت ذلك الشَّاب إلى القرية مرَّة أخرى...

فضيلة السيد الشيخ عبد الرزاق، أرجُو بهذه الرِّسَالة وبوصولها إليكم أَنْ يأتيَ داعيةٌ أو معلِّمٌ إلى قريتنا، ونحن أيَّام كنَّا مُنَصِّرين ذهبنا إلى القرى البعيدة النَّائية،

(١) كما قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «إيثارُ رضا الله عَلَى رضَا غيره وإِنْ عَظُمَت فيه المِحَن، وثَقُلَت فِيه المُؤَن، وضَعُفَ عنه الطَّوْلُ والبَدَن» «مدارج السالكين» (٢/ ٢٩٩).

(٢) كما قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «النَّاسُ منذ خُلِقوا لمْ يزالوا مسافرين وليس لهم حطّ عن رِحَالهم إلاَّ في الجنَّة أو النَّار، والعاقلُ يعلمُ أنَّ السَّفر مبنيٌّ على المشقَّة وركوبِ الأخطار، وَمِنَ المُحَال عادةً أَنْ يطلب فيه نعيم ولذة وراحة؛ إنَّمَا ذلك بعد انتهاء السَّفر..» «الفوائد» (ص٢٠٠).

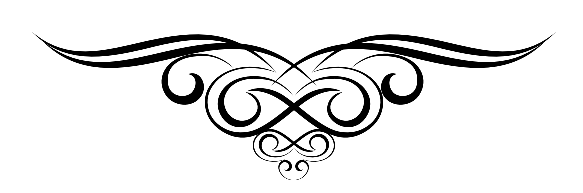
ولكن أمَّة الإسلام ـ **الَّذي قلتم هو دين الرَّحمة للعالمين** ـ لا أحدَ منهم يتحمَّل البقاء الطَّويل في القرى النَّائية.

وفيما تبقَّى مِنْ أواخر حياتي أرجو أنْ نلتقي في الجنَّة غدًا، فَإِنِّي أُعَاني مِنْ مرضٍ مزمن، قَدْ يقبضُ الله رُوحي بعد كتابة هذه الرِّسَالة[١].

ومرَّة أخرى الشُّكر لكم وللإسلام[٢].

عبد الرحمن الإسلامي

موارا أندية، ١٥ أغسطس ٢٠١٤م



(١) وقد مات رَحِمَهُ اللهُ، وحدَّثني شيخنا عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر حفظه الله أَنَّهُ ذكر قصَّته لأحد الفُضَلاء فحجَّ عنه، فجزاه الله خيرًا.

(٢) عبارتُه هذه تذكِّرنا بمقولة عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللهُ، «قال ابن عيينة: قال رجل لعمر بن عبد العزيز: جزاك الله عن الإسلام خيرًا.

قال: بل جزى الله الإسلام عَنِّي خيرًا»«سير أعلام النبلاء» (٥/ ١٤٧)، «حلية الأولياء» (٥/ ٣٣١).



أَسْبَابُ الخَيْرِ وَالسَّعَادَةِ

فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ

الشيخ

عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر

اعتنى بها وعلق عليها

أبو عبد العزيز منير الجزائري

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إنَّ الحمد لله نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه ونتوبُ إليه، ونعوذُ بالله مِنْ شُرُور أنفسُنا وسيِّئات أعمالنا، مَنْ يهده الله فَلَا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلل فَلَا هَادِيَ له، وأشهدُ أَنْ لَا إلَه إلَّا الله وَحْده لَا شَرِيك لَه؛ إلَهُ الأوَّلِين وَالآخِرِين وقَيُّومُ السَّمَاوَات والأَرَضِين، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عبدهُ ورسولهُ وصَفِيُّهُ وخَلِيلهُ وَأَمِينهُ عَلَى وَحْيِه؛ بَلَّغ الرِّسَالة وَأدَّى الأَمَانَة وَنَصَح الأُمَّة وَجَاهَد في الله حقَّ جِهَاده حَتَّى أَتَاهُ اليَقِين، فَصَلَوَاتُ الله وَسَلامُه عليه وَعَلى آله وَصَحْبه أَجْمَعِين.

أمَّا بعدُ عبادَ الله معاشرَ المؤمنين: اتَّقُوا الله تَعَالى؛ فَإنَّ مَنْ اتَّقَى الله وَقَاه وَأَرْشَدَه إلَى خَيْر أُمُور دِينِه وَدُنْيَاه.

ثُمَّ اعلمُوا رَعَاكم الله: أَنَّ مِنْ حكمةِ الله جَلَّوَعَلَا ورحمته أَنْ جَعَل العِبَاد مُفْتَقِرين إلى جَلْبِ المَنَافع الدِّينيَّة وَالدُّنْيَوِيَّة وَإِلَى دَفْع المَضَار الدِّينيَّة وَالدُّنْيَوِيَّة، واقتضتْ حِكمتُه وَمَضَتْ سُنَّتُه سُبْحانه أَنَّ هَذِه المَنَافعَ لا تُنالُ إلَّا بِبَذْل الأسبابِ لنَيْلِها وَالمضارَ لَا تندفعُ إلَّا بِبَذل الأَسْبَاب الَّتِي تَدْفَعُها، وَقَدْ بَيَّن جَلَّوَعَلَا هَذِه الأَسْباب في كِتَابه أَتَمَّ تَبْيين، وَبيَّنَها رَسُولُه ﷺ في سُنَّته أَحْسنَ بَيَان؛ فَمَنْ سَلَكَ هذه الأَسْبَاب فَازَ بِكُلِّ مَرغوبٍ وَنَجا مِنْ كُلِّ مَرْهُوب.

عِبَادَ الله: وَأَصْلُ أَسْبَابِ الخَير وَالسَّعَادَة[1] والفَلَاحِ في الدُّنْيا وَالآخِرة تَحْقِيقُ

(١) للعلامة الشيخ عبد الرَّحمن بن ناصر السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ رسالة لطيفة بعنوان: «الوسائل المفيدة للحياة السعيدة» فانظرها غير مأمور.

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

« سمعتُ شيخ الإسلام ابن تيمية قدَّس الله روحه يقول: أنَّ في الدُّنيا جنَّة مَنْ لمْ يدخلها لا يدخل جنَّة الآخرة، وقال لي مرَّة: ما يصنعُ أعدائي بي؟ أنا جنَّتِي وبستاني في صدري إنْ رحتُ فَهِي مَعِي لَا تفارقني، إنَّ

الإيمان والعمل الصَّالح وفي هذا آيٌ كثيرة ودلائل وفيرة، منها قول الله جلَّ وعلا: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [سُورَةُ النَّحْلِ].

وقوله جلَّ وعلا: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ ﴾ [سُورَةُ النَّبَإِ].

وقوله تبارك وتعالى: ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٣٤﴾ ﴾ [سُورَةُ القَلَمِ].

وقوله جلَّ وعلا: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ ﴾ [سُورَةُ الكَهْفِ]، والآيات عباد الله في هذا المعنى كثيرةٌ عديدةٌ.

ومن الأسباب العظيمة المبيَّنة في الكتاب والسُّنَّة: تحصيل العلوم النَّافعة؛ فقد جعل الله جلَّ وعلا العلم سببًا لرفعة العبد في الدُّنيا والآخرة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا۟ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُوا۟ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُوا۟ فَٱنشُزُوا۟ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾ ﴾ [سُورَةُ

حبسي خلوة، وقتلي شهادة، وإخراجي مِنْ بلدي سياحة، وكان يقول في محبسه في القلعة: لو بذلت ملء هذه القلعة ذهبًا ما عدل عندي شكر هذه النِّعمة أو قال: ما جزيتهم على ما تسببوا لي فيه من الخير ونحو هذا، وكان يقول في سجوده وهو محبوس: اللَّهُمَّ أعنِّي على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك ما شاء الله، وقال لي مرة: المَحْبُوس من حُبِسَ قلبه عن ربه تعالى والمأسور من أسره هواه، ولمَّا دخل إلى القلعة وصار داخل سورها نظر إليه وقال: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾﴾ [سُورَةُ الحَدِيدِ].

وعلم الله ما رأيتُ أحدًا أطيبَ عيشًا منه قط مع ما كان فيه مِنْ ضِيق العيش وخلاف الرفاهية والنَّعيم، بل ضدها ومع ما كان فيه مِنَ الحبس والتَّهديد والإرهاق وهو مع ذلك مِنْ أطيبِ النَّاس عيشًا وأشرحهم صدرًا وأقواهم قلبًا وأسرهم نفسًا، تَلُوح نضرة النَّعيم على وجهه، وكُنَّا إذا اشتدَّ بنا الخوف وساءت منَّا الظُّنُون وضاقت بنا الأرض أتيناه فما هو إلَّا أنْ نراه ونسمع كلامه فيذهبُ ذلك كلّه وينقلبُ انشراحا وقوة ويقينا وطمأنينة، فسبحان مَنْ أشهد عباده جنَّته قبل لقائه وفتح لهم أبوابها في دار العمل فآتاهم من روحها ونسيمها وطيبها ما استفرغ قواهم لطلبها والمسابقة إليها» «الوابل الصيب» (ص٦٧).

المجادلة]، ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة الزمر :٩]، ﴿أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾﴾ [سورة الملك]، ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٩﴾﴾ [سورة الرعد].

ثُمَّ إِنَّهُ جلَّ وَعَلَا جعل العِلْمَ لا يُنالُ إلَّا ببذل أَسْبابه المُوصِلة إلى تحصيله ونَيْله؛ ومِنْ ذَلِك: حُسْنُ السُّؤال وحُسْنُ الطلب وحُسْنُ التعلُّم، يقول الله جلَّ وَعَلَا: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ ۚ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [سورة النحل].

وَفِي الحَدِيثِ يَقُولُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ، وَإِنَّمَا الْحِلْمُ بِالتَّحَلُّمِ**»(١).

وَجَعَلَ جلَّ وَعَلَا تَقْوَاهُ والحَرَكَةَ وتركَ الدَّعةِ والسُّكُونِ سببًا لِنَيْلِ الأَرْزَاقِ والخَيْرَات يقولُ جلَّ وعلا: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [سورة الطلاق :٢-٣].

وَيقُول الله جلَّ وَعَلَا: ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ﴾ [سورة الملك :١٥].

ثُمَّ إنَّه جلَّ وَعَلَا جعَل للتَّيْسير أَسْبَابًا عَدِيدَةً وَللتَّعْسِيرِ أسبابًا عديدةً بيَّنها في قوله: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾﴾ [سورة الليل].

وَجَعَل جلَّ وَعَلَا حُسْنَ التَّوكُّل عليه والقيامَ بعبوديته وطاعته سببًا لكفايته لعبده وتأييده له، قال الله جلَّ وَعَلَا: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ [سورة الزمر :٣٦] .

وقَالَ جلَّ وَعَلَا: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [سورة الطلاق :٣].

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط (٢٦٦٣) وغيره، وحسَّنه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٣٢٨).

وَجعَلَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الإِحْسَانَ بنوعيه - الإحسانَ إلى الله بِحُسْنِ العِبَادَة، والإحسانَ إلى الخلق بحسنِ المعاملَةِ - سببًا لنيل رحمته جَلَّ وَعَلَا، قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ٥٦﴾ [سُورَةُ الأَعْرَافِ]، وقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ٦٠﴾ [سُورَةُ الرَّحْمَٰنِ].

وجعل جَلَّ وَعَلَا العَوَاقِبَ الحَمِيدَةَ والمَآلاتِ الطَّيِّبَةَ والنَّتَائِجَ المُبَارَكَةَ فِي الدُّنْيا وَالآخِرَةِ تُنالُ بِالصَّبرِ وَالتَّقْوى، قال جلَّ وعلَا: ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ١٣٢﴾ [سُورَةُ طه]، وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ٩٠﴾ [سُورَةُ يُوسُفَ].

وَجَعَلَ سُبْحَانَه الدُّعَاء سَبَبًا لِنَيْلِ الخَيْرَات وَالفَوزِ بِعَظِيمِ العَطَايَا والهِبَات، وهُوَ جَلَّ وَعَلَا لا يَردُّ عبداً دَعَاه وَلا يُخَيِّبُ مُؤْمِنًا نَاجاه، وَهُوَ القَائِلُ سُبْحَانَه: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [سُورَةُ غَافِرٍ: ٦٠].

وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ٣٩﴾ [سُورَةُ إِبْرَاهِيمَ].

وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [سُورَةُ البَقَرَةِ: ١٨٦].

وَجَعَلَ سُبْحَانَه لِلاسْتِغْفَار وَالإِكْثَار مِنْه ثِمَاراً عَدِيدَة وَخَيْرَاتٍ عَمِيمَة وَفَضَائِلَ مُتَعَدِّدَةٍ فِي الدُّنْيا وَالآخِرَة: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ١٠ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ١١ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ١٢﴾ [سُورَةُ نُوحٍ].

وَجَعَلَ سُبْحَانَه لِنَيْلِ مَغْفِرَتِه وَرَحْمَتِه وَالفَوْزِ بِرِضَاهُ أَسْبَابًا عَظِيمَة جَمَعَهَا جَلَّ وَعَلَا فِي قَوْلِه: ﴿وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ٨٢﴾ [سُورَةُ طه].

وَجَعَلَ جَلَّ وَعَلَا لِمُصَاحَبَةِ الأَخْيَارِ تَأْثِيراً، وَلِمُصَاحَبَةِ الأَشْرَارِ تَأْثِيراً، وَالمُؤْمِنُ مدعوٌّ لمصاحبةِ الأخيارِ ومجانبةِ الأشرارِ، وفي الحَدِيث يَقُولُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلْ**»[1].

وهكذا عبادَ اللهِ: مَنْ يَتَأَمَّلُ آيَ القُرْآن وَأَحَادِيث النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَجِدُ أنَّ الأمورَ مُرْتَبِطَةٌ بِأَسْبَابِهَا؛ فَلابُدَّ مِنْ بَذْل الأسبابِ النَّافِعَة وَالوَسَائِل المُفِيدَة المُقَرِّبَة لِنَيْلِ رِضَا الله وَالفَوْزِ بِخَيْرَاتِ الدُّنيا وَالآخِرَة، فَأَهْلُ السَّعادة حَقًّا وصِدقًا هُمْ البَاذِلُونَ للأسبابِ النَّافعة المُجَانِبُون لِلْأَسْبَابِ المُهْلكةِ، وَهُمْ فِي هَذَا كُلِّه مُعْتَمِدِينَ عَلَى الله مُتَوَكِّلِينَ عَلَيه وَاثقينَ به جَلَّ وَعَلَا مُلْتَجِئِينَ إِلَيْه فِي كُلِّ أُمُورِهِمْ صَغِيرِهَا وَكَبِيرِهَا دَقِيقِها وَجَلِيلِهَا.

وأسألُ الله بأسمائه الحُسْنَى أَنْ يُوَفِّقَنا أَجْمَعِين لِفِعْل أَسْبَاب الخَيْر، وَأَنْ يُجَنِّبَنا أَسْبَابَ الشرِّ والفسادِ، وَأَنْ يُوَفِّقَنا لِحُسْنِ التَوكُّلِ عَلَيْه والثِّقَةِ به سُبْحَانَه، وَأَنْ لَا يَكِلَنا إِلَى أَنْفُسِنَا طَرفَةَ عينٍ.

أقولُ ما تسمعون وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنبٍ فاستغفروه يغفر لكم إنه هوُ الغفورُ الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمدُ لله عظيمِ الإحسان، وَاسعِ الفَضْل والجُودِ والامْتِنَان، وأشهدُ أَنْ لَا إِلَه إِلَّا اللهُ وحده لا شريك له، وأشهدُ أَنَّ محمَّداً عبدُه ورسولُه؛ صلَّى الله وسلَّم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين وسلَّم تَسْليماً كَثِيرا.

---

(١) رواه أبو داود (٤٨٣٣)، و الترمذي(٢٣٧٨)، وأحمد(٨٠٢٨)، وحسَّنه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٥٤٥).

أمَّا بَعد عبادَ الله: اتقوا الله تعالى، ثمَّ اعلموا - رعاكم الله - أَنَّ سَعَادَةَ العَبْدِ وفلاحَه في الدُّنيا والآخرة تَرْتَكِزُ عَلى أَصْلَيْن مَتِينَيْن وَأَسَاسَيْنِ عَظِيمَيْن عَلَيْهِمَا مَدَارُ السَّعَادَةِ ومُرتَكزُها ألَا وَهُمَا:

- التَّوَكُّلُ عَلَى الله وَحْدَهُ.

- وبَذْلُ الأَسْبَابِ النَّافِعَةِ المُقَرِّبَةِ إِلَى اللهِ.

وقد جُمِع بين هذين الأصلَين العظيمين في آياتٍ كثيرة وأحاديثَ عديدةٍ في سنَّة النَّبي ﷺ، مِنْهَا قَوْلُ الله جَلَّوَعَلَا: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [سُورَةُ الفَاتِحَةِ]، وَقَوْلُه جَلَّوَعَلَا: ﴿فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [سُورَةُ هُودٍ :١٢٣].

وَفِي الحَدِيث يَقُول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بِاللهِ**»(١)، ويقول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**لَوْ أَنَّكُمْ تَوَكَّلْتُمْ عَلَى اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا**»(٢)؛ وفي قوله: «**تَغْدُو خِمَاصًا**» إشارة إلى فعل الأسبابِ، وفي الحديث الآخر عندما سأله سائلٌ عَنْ ناقته أَيعقِلُها ويتوكَّلُ أو يطلِقُها ويَتَوَكَّلُ؟ قال ﷺ: «**اعْقِلْهَا وَتَوَكَّلْ**»(٣)؛ فأرشدَه إلى فعل الأسباب وعدمِ الرُّكُون إليها، وإنَّما الاعتمادُ على الله والثِّقةُ بالله والتَّوكلُ على الله وحده؛ فبهذا - عبادَ الله - تُنالُ السعادةُ ويَتحققُ الفلاحُ في الدُّنيا والآخرة.

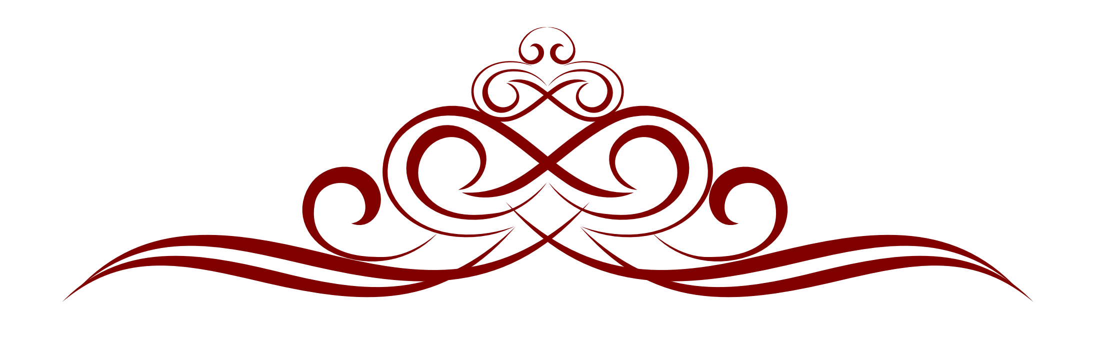
وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

❑❑❑❑❑❑❑❑❑

(١) رواه مسلم (٢٦٦٤).

(٢) رواه الترمذي (٢٣٤٤)، وابن ماجة (٤١٦٤)، وأحمد (٢٠٥)، وصحَّحه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٢٥٤).

(٣) رواه الترمذي (٢٥١٧)، وحسَّنه الألباني في «تخريج أحاديث مشكلة الفقر» (٢٢).



عشرة أسباب

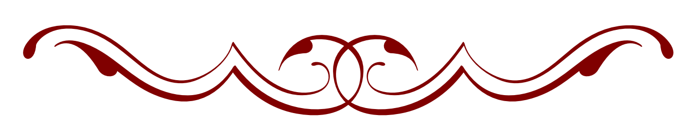
للوقاية من السحر والعين

الشيخ

عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر

اعتنى بها وعلق عليها

أبو عبد العزيز منير الجزائري



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة المعتني:

الحمد لله الَّذِي مَنْ توكَّل عليه كَفَاه، ومَنْ طَلَب الشِّفَاء منه شَفَاه، ومَنْ عَمِلَ بالأَسْبَاب النَّافِعَة صَلُح دِينه ودُنْيَاه.

وأشهدُ أَنْ لَا إِلَه إِلَّا الله وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَه ولا رَبَّ سِوَاه، وأشهدُ أنَّ مُحَمَّدًا عبدُه ورسُوله وَمُصْطَفَاه، اللَّهُم صَلِّ وَسَلِّم عَلى مُحَمَّد ، وَعَلى آله وَأَصْحَابه ، وَمَنْ اهْتَدى بِهُدَاه .

أَمَّا بعد:

إنَّ السحر من السبع الموبقات (أي المهلكات) التي تهلك صاحبها في الدنيا والآخرة:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: « **اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ** » .

قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا هُنَّ ؟

قَالَ: « الشِّرْكُ بِاللهِ ، **وَالسِّحْرُ** ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلاَتِ »[1].

وهو من نواقض الإسلام، قال الله تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتۡلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلۡكِ سُلَيۡمَٰنَۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيۡمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحۡرَ وَمَآ

(١) رواه البخاري (٢٧٦٦)، ومسلم (٨٩).

أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْۖ﴾ [سُورَةُ البَقَرَةِ :١٠٢].

والسحر ثابت بالكتاب والسنة وإجماع أهل السنة والجماعة.

وكذا العين والحسد:

قال الله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾﴾ [سُورَةُ النِّسَاءِ].

وقال سبحانه: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾﴾ [سُورَةُ الفَلَقِ].

وقال تعالى: ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾﴾ [سُورَةُ القَلَمِ].

قال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: «قال ابن عباس، ومجاهد، وغيرهما: ﴿لَيُزْلِقُونَكَ﴾ لينفذونك بأبصارهم، أي: ليعينونك بأبصارهم، بمعنى: يحسدونك لبغضهم إياك لولا وقاية الله لك، وحمايته إياك منهم.

وفي هذه الآية دليل على أن العين إصابتها وتأثيرها حق، بأمر الله عَزَّوَجَلَّ، كما وردت بذلك الأحاديث المروية من طرق متعددة كثيرة»(١).

ومن هذه الأحاديث المروية:

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعَوِّذُ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ وَيَقُولُ « **إِنَّ أَبَاكُمَا كَانَ يُعَوِّذُ بِهَا إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ ، أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّةِ مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ**

(١) «تفسير القرآن العظيم» (٨/ ٢٠١).

وَهَامَّةٍ ، وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لاَمَّةٍ »[١].

و لهذا ينبغي للمسلم أن يحرص على ما يقيه ـ بإذن الله ـ من السحر والعين والحسد، فيتخذ الأسباب الشرعية في ذلك.

وقد ذكر الإمام ابن القيم الجوزية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه «بدائع الفوائد» عشرة أسباب للوقاية من السحر والعين، فكانت كلاماته مسددة وبالحق مؤيدة، ومما زاد هذه الكلمات النافعة نفعا ـ بإذن الله ـ تعليقات شيخنا عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر حفظه الله عليها.

ومن باب التعاون على نشر العلم النافع، والسعي في تعميمه للحاجة الماسة إليه، قمت بالاعتناء بهذه الرسالة سائلا الله عَزَّوَجَلَّ أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم، وأن يجعله في ميزان حسنات الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ وشيخنا عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر حفظه الله.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

مُحِبُّكُم فِي الله

أبو عبد العزيز منير الجزائري

abou-abdelaziz@hotmail.fr

---

(١) رواه البخاري (٣٣٧١).

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مُقَدِّمَةُ المُعَلِّق:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه، وعلى آله وأصحابه أجمعين .

اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، اللهم علِّمنا ما ينفعنا وزدنا علما، واجعل ما نتعلمه حجةً لنا لا علينا، ونسألك اللهم التوفيق والسداد والعون على كل خير، وأن لا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين.

معاشر الإخوة الكرام: الحديث في هذه الرسالة عن ذكر عشرة أسبابٍ يحرص من ابتُلي بشيء من السحر أو العين أو الحسد أن يأتي بها وأن يحافظ عليها ليتخلص بإذن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مما قد يكون أصابه.

والمؤمن في كل أحواله وجميع أموره يفزع إلى الله تبارك وتعالى ويلجأ إليه عَزَّوَجَلَّ، فمن الله وحده يطلب العون والتوفيق والسداد وصلاح الأمر وحصول العافية، وكل أمر يحتاجه ويفتقر إليه لا يطلبه إلا من الله تبارك وتعالى الذي بيده أزمَّة الأمور ومقاليد السموات والأرض.

قد يبتلى الإنسان بإصابةٍ بشيء من العين أو حسدٍ يؤثر فيه أو سحر أو نحو ذلك من الأمور التي دلت نصوص الشرع على أن لها تأثيرات حقيقية تصل الإنسان ؛ فربما مرض وربما سقِم وربما حصل له شيء من اللأواء ونحو ذلك ، وعند

حصول شيء من هذه الأمور تتفاوت توجُّهات الناس وتتباين طرائقهم في طريقة العلاج ووسيلة الخلاص وكيفية السلامة من هذه الأمور ، وإذا كان الإنسان في نفسه قليل العلم وقليل البضاعة بدلالة النصوص والتوجيهات على ضوء أدلة الكتاب والسنة وابتلي إضافةً إلى هذا بموجِّهٍ غير ناصح فإنه يقع في أنواع من الخرافات وصنوف من الضلالات لا حدَّ لها ولا عد ، وكم يبتلى أقوامٌ بخرافاتٍ تروَّج بينهم وضلالاتٍ تدرُج فيهم بسبب قلة العلم وقلة البصيرة في دين الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ .

والخرافات يتَّسع انتشارها اتساعًا كبيراً عندما يكثر الجهل وتكثر الذنوب وتكثر الأمراض ، فإذا كثرت في الناس هذه الأشياء كثرت الخرافة ، وإذا وجد العلم الصحيح المؤصَّل المبني على الكتاب السنة وُجد الخير وتحقَّقَ الصَّلاح وعمَّت الفضيلة وزانت أحوال الناس في دنياهم وأخراهم .

ومن نعمة الله على عبده المؤمن أنه عندما يُبتلى بشيء من المرض أو السقم أو الشدة أو نحو ذلك ؛ أن لا يفزع إلا إلى ربه ومولاه جَلَّ وَعَلَا ولا يلتجئ إلا إليه كما قال الله سبحانه: ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ﴾[سُورَةُ الذَّارِيَاتِ :٥٠] ، وكما قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في دعائه: «**لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنْجَى مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ** »(١) .

فالله ﷻ هو الذي إليه المفر وإليه الملجأ وإليه المفزع ، ومن توكل على الله فهو حسبه ، ومن استعان بالله أعانه ، ومن استعاذ بالله أعاذه ، ومن التجأ إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ كان الله في عونه وحفظه وتوفيقه وتسديده .

وكم يحتاج الناس في مثل هذا الزمان إلى توجيهٍ سديد وإرشاد رشيد على ضوء أدلة كتاب الله وسنة نبيه ﷺ فيما لو أن الإنسان ابتُلي هو أو بعض قرابته أو إخوانه

(١) رواه البخاري (٢٤٧)، ومسلم (٢٧١٠).

بشيء من هذه الابتلاءات .

والإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تحدَّث عن هذه المسألة التي ذكرنا حديثًا جامعًا نافعًا مفيداً للغاية في كتابه « بدائع الفوائد»[1] عندما تكلَّم عن معاني قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾ [سُورَةُ ٱلْفَلَقِ].

فتكلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره وبيانه لهذه السورة العظيمة عن الحسد وعن السحر وعن العين وعن الإصابة بها، ثم تحدَّث بكلامٍ نافعٍ للغاية لا تكاد تجده في موضوع آخر عن الأسباب التي يفعلها من ابتُلي بشيءٍ من ذلك لكي يتخلص من هذا الابتلاء ولكي ينجو من هذا المصاب الذي ألَمَّ به ، فذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ أسبابًا عشرة عظيمةً جداً يحتاج إليها من ابتُلي بشيء من هذه الأمور - السحر أو العين أو الحسد - ليتخلص منها بإذن الله تعالى.

وأذكر أنَّ أحد الإخوة من دولةٍ أفريقية جاءني مرة يذكر لي حال ابنه وأنه من شهور ستة أصيب بشيء من هذه الأمور و هو الآن طريح الفراش مع أنه في فترة شبابه ، فأحَلْتُه على كلام العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ وقلت: أولاً تدرس أنت كلامه دراسةً متأنية وتفهمه فهمًا جيداً وتستوعب الكلام ثم اتصل بابنك وأشرحه له وترجمه له ووجِّهه لتطبيقه وسترى بإذن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أثراً طيبًا .

فاتصل بي بعد أيامٍ قلائل يبشرني أن ابنه قام وذهب إلى «كبينة الهاتف» واتصل بوالده يخبره أنه لا يشعر بشيء، ولله الحمد.

ومثل هذا كثير والتوفيق بيد الله، والحافظ هو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ[2] ، والمسلم ينبغي

---

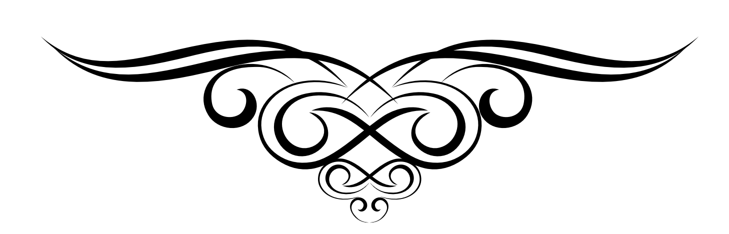
(١) «بدائع الفوائد» (٢/ ٤٦٣).

(٢) انظر «فقه الأسماء الحسنى» (ص١٩٥)، لشيخنا عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر حفظه الله.

عليه في كل حال من الأحوال أن يكون ملتجأً إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ محققًا العبودية له في تلك الحال ، فأنت في هذه الحياة عبدٌ لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ، ولكلِّ حال من أحوالك عبودية؛ ففي حال النعمة عبودية الشكر، وفي حال المصيبة عبودية الصبر، وهكذا في كل حال من الأحوال تحقق العبودية التي تُطلب منك في تلك الحال التجاءً إلى الله وثقةً به واعتماداً عليه وتوكلاً عليه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وقيامًا بطاعته سبحانه ودعاءً وتذللاً وخضوعًا ورجاءً إلى غير ذلك من العبوديات العظيمة التي هي سمة المسلم وديدنه في كل أوقاته .

والآن مع الأسباب العشرة للوقاية من السحر والعين والحسد.

عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر



قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:[**ويندفع شر الحاسد عن المحسود بعشرة أسباب:**

أحدها التعوذ بالله تعالى من شره، والتحصن به، واللجأ إليه.

وهو المقصود بهذه السورة[1] والله تعالى سميع لاستعاذته، عليم بما يستعيذ منه].

السبب الأول من هذه الأسباب العشرة : التعوذ بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ من شره والتحصّن به واللُّجُوء إليه كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤﴾ وهنَّ السواحر ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾، والله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ سميعٌ لمن استعاذ به ، عليمٌ بما يستعيذ منه ، قادرٌ على كل شيء ، وهو وحده تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ المستعاذ ، لا يستعاذ بأحد من الخلق ولا يُلجأ إلى أحد سواه بل هو الذي يعيذ المستعيذ به ويعصمهم من شر ما استعاذوا من شره .

فالسبب الأول الاستعاذة ، والاستعاذة حقيقتها : التجاءٌ إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ واعتصامٌ به ، حقيقتها فرارٌ من شيء تخافه وتخشاه إلى من يحميك منه ويقيك منه ، والواقي هو الله والحافظ هو الله والمستعاذ به هو الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ .

بل إن الاستعاذة عبودية لا تُصرف إلا لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ، ولهذا كل ابتلاء يبتلى به الإنسان يستعيذ بالله، والله تعالى يقول :﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝١٠١﴾ [سُورَةُ آلِ عِمۡرَانَ] ، ويقول جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝٢٠٠﴾ [الأعراف:٢٠٠] ، ويقول جَلَّ وَعَلَا ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ۝٩٧ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ۝٩٨﴾ [سُورَةُ المُؤۡمِنُونَ] .

---

(١) أي: ﴿سورة الفلق﴾.

والله جَلَّوَعَلَا لا يخيِّب عبداً إذا صدَق في استعاذته وصدق في التجائه وصدَق في اعتصامه بالله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ فإن الله عَزَّوَجَلَّ يكون في كفايته وعونه وحفظه وتوفيقه[١].

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:[السبب الثاني: تقوى الله، وحفظه عند أمره ونهيه، فمن اتقى الله تولى الله حفظه، ولم يكله إلى غيره، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـًٔا﴾ [سُورَةُ آلِ عِمۡرَانَ].

وقال النبي ﷺ لعبد الله بن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا: «احْفَظْ اللهَ يَحْفَظْكَ ، احْفَظْ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ».

فمن حفظ الله حفظه الله، ووجده أمامه أينما توجه، ومن كان الله حافظه وأمامه فممن يخاف؟ ومن يحذر؟].

السبب الثاني : تقوى الله عَزَّوَجَلَّ؛ أن يحرص العبد في كل وقته على تحقيق تقوى الله ﷻ ، ليس بالادِّعاء وإنما بالقيام بحقيقة التقوى حقيقة.

وحقيقة تقوى الله عَزَّوَجَلَّ: حفظه عند أمره ونهيه ، ولهذا قال طلق بن حبيب رَحِمَهُ ٱللَّهُ عندما سُئل عن حقيقة التقوى قال : «تقوى الله : أن تعمل بطاعة الله على نورٍ من الله ترجو ثواب الله ، وأن تترك معصية الله على نورٍ من الله تخاف عقاب الله»[٢] هذه حقيقة التقوى ؛ حفظ الله في أمره ونهيه ، بأن تعرف الأمر وتعرف

(١)انظر «شرح الدروس المهمة لعامة الأمة» (ص١٢)، لشيخنا عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر حفظه الله.

(٢)«كتاب الزهد» للإمام عبد الله بن المبارك رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ص ١٠١).

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:« كما قال طلق بن حبيب: إذا وقعت الفتنة فأطفئوها بالتقوى، قالوا : وما التقوى؟ قال: أنْ تعمل بطاعة الله على نور مِنَ الله، ترجو ثواب الله، وأنْ تترك معصية الله على نور مِنَ الله، تخاف عقاب الله.

النهي فتحافظ على الأمر وتجتنب النهي، وتجاهد نفسك على تحقيق التقوى، ورب العالمين يقول: ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ١٢٨﴾ [سُورَةُ الأَعْرَافِ]، فأهل التقوى هم أهل العواقب الحميدة والمآلات السعيدة والراحة والطمأنينة والعافية في الدنيا والآخرة، وقد قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [سُورَةُ الطَّلَاقِ]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ٤﴾ [سُورَةُ الطَّلَاقِ].

فالتيسير وحُسن العاقبة صلاح الأمر وسداد الرأي وتحقق الخير والبركة كل ذلك من ثمار التقوى، وثمار التقوى ونتائجها للمتقين أو على أهلها في الدنيا والآخرة لا تعدُّ ولا تحصى، فمن اتقى الله تولى الله حفظه ولم يكِله إلى غيره، وتأمل هذا المعنى في قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا﴾ [سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: ١٢٠] يعني مهما كان كيدهم فإنه لا يضر؛ لماذا؟ لأن المتقي هو في الحقيقة في حفظ الله، ومن كان الله حافظه من الذي يستطيعه بِشَرٍّ أو بأذى؟!

قال سبحانه: ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ١٢٠﴾ [سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ].

وقد قال النبي ﷺ لعبد الله ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «**احْفَظْ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظْ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ**»[1].

وهذا أحسن ما قيل في حَدِّ التَّقوى» «الرِّسالة التبوكيَّة» (ص١٠).

(١) رواه الترمذي (٢٥١٦)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٩٥٧).

قال الإمام ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهذا الحديث يتضمن وصايا عظيمة، وقواعد كلية من أهم أمور الدين؛ حتى قال بعض العلماء: تدبرت هذا الحديث فأدهشني وكدت أطيش فوا أسفا من الجهل بهذا الحديث وقلة التفهم لمعناه، قلت: وقد أفردت لشرحه جزءا كبيرا» «جامع العلوم والحكم» (ص١٨٥).

يقصد رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقوله: «وقد أفردت لشرحه جزءا كبيرا» كتابه «نور الاقتباس في مشكاة وصية النبي ﷺ لابن عباس» ضمن «مجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي» (٢/ ٥).

احفظ الله: أي بحفظ أمره ونهيه فيحفظك الله في بدنك في صحتك في مالك في حياتك في أحوالك كلها يكون الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لك حافظا ، فمن حفظ الله حفظه الله ووجده أمامه أينما توجّه حافظًا ومعِينًا ومسدِّداً وموفقًا ، ومن كان الله حافظه وأمامه فمِمَّن يخاف وممن يحذر؟

ولهذا الخوف الذي يكتنف القلب من المخلوقين ينشأ عن ضعف التقوى وعن ضعف الإيمان ، قد نبَّه أهل العلم على هذا المعنى ؛ أن الإيمان إذا نقص وضعف في القلب وُجد الخوف ، وإذا قويَ الإيمان وقوي التوحيد وقويت تقوى الله ﷻ في قلب الإنسان فإنه لا يخشى إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ولا يكون ملتجأً إلا إلى الله جل وعلا .

الشاهد أن التقوى سبب عظيم لابد منه للخلاص من الشرور ولطلب الخيرات والبركات في الدنيا والآخرة: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [سُورَةُ الأَعْرَافِ :٩٦] .

فحصول التقوى مع الإيمان سببٌ للخيرات والبركات في المال في الأهل في الولد في الحياة في الرزق في الصحة في الأمور كلها.

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:[السبب الثالث: الصبر على عدوه، وأن لا يقاتله ولا يشكوه، ولا يحدث نفسه بأذاه أصلا].

السبب الثالث : الصبر على عدوِّه – والمراد بالعدو أيًّا كان ، سواء كان حاسداً أوعائنًا أو مصيبًا له بسحر أو نحو ذلك – الصبر على عدوه وأن لا يقاتله وأن لا يشكوه إلى الناس وأن لا يحدِّث نفسه بأذاه أصلاً ، فما نُصِر إنسان على حاسده وعدوه بمثل الصبر عليه ، وكلما زاد بغي الحاسد كان بغيه مع صبر المحسود

عليه جنداً وقوةً للمبغيِّ عليه يقاتل به الباغي نفسه وهو لا يشعر.

وهذا كلامٌ عظيم لو تأملناه ؛ فبغيُه يكون سهمًا يرميه من نفسه إلى نفسه ودليل ذلك قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ [سُورَةُ فَاطِرٍ :٤٣].

فيمضي الإنسان في حياته وفي عمله وفي طاعته وفي عبادته ويصبر على أذى عدوه ولا يشغَل نفسه به، ويقبِل على مصالحه الدينية والدنيوية كما يقول ابن القيم : ما انتصر إنسان على حاسده وعدوه بمثل هذا المقام العظيم مقام الصبر ، فإذا صبر المحسود ولم يستطِل الأمر نال حُسن العاقبة بإذن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: [**فما نصر على حاسده وعدوه بمثل الصبر عليه، والتوكل على الله.**

ولا يستطل تأخيره وبغيه، فإنه كلما بغى عليه كان بغيه جندا وقوة للمبغي عليه المحسود، يقاتل به الباغي نفسه، وهو لا يشعر.

فبغيه سهام يرميها من نفسه إلى نفسه، ولو رأى المبغي عليه ذلك لسره بغيه عليه، ولكن لضعف بصيرته لا يرى إلا صورة البغي، دون آخره ومآله][(١)] .

ثم عرج الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ على سبب آخر فقال:

[**السبب الرابع: التوكل على الله،** ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [سُورَةُ الطَّلَاقِ :٣].

والتوكل من أقوى الأسباب التي يدفع بها العبد ما لا يطيق من أذى الخلق وظلمهم وعدوانهم، وهو من أقوى الأسباب في ذلك، فإن الله حسبه؛ أي: كافيه، ومن كان الله كافيه وواقيه فلا مطمع فيه لعدوه].

---

(١) وفيه رسالة مهمة في هذا الباب: «الأمور المعينة على الصبر على أذى الخلق» لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ، تعليق شيخنا عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر حفظه الله.

السبب الرابع : التوكل على الله عَزَّوَجَلَّ؛ والتوكل هو ثقة القلب واعتماده على الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ مع بذل الأسباب المشروعة المأذون بها في كتاب الله وسنة نبيه صلوات الله وسلامه عليه .

فمن يتوكل على الله فهو حسبه ، والتوكل من أقوى الأسباب التي يدفع بها العبد ما لا يطيق من أذى الخلق وظلمهم وعدوانهم ، ومن كان الله كافيه الله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ [سُورَةُ الزُّمَرِ :٣٦] ، ويقول الله جَلَّوَعَلَا: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [سُورَةُ الطَّلَاقِ :٣]، فمن كان الله كافيه فلا مطمع فيه لعدو ، ولو توكل العبد على الله حق توكله وكادته السموات والأرض ومن فيهن لجعل له مخرجـاً من ذلك وكفاه ونصره ، وهذا المعنى دلت عليه نصوصٌ كثيرة منها قول النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا : «**وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ ، رُفِعَتْ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ** »[١] .

فإذا كان العبد متوكلاً على الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ معتمداً عليه..جاعلًا ثقته بالله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ كفاه الله ؛ ولو كان عند عدوه من العتاد والعدد والقوة والعدة ما لا يطاق: فالله يكفيه .

لما ذهب موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بقومه وخرجوا من مصر فارِّين بدينهم ولحِقهم فرعون ومعه من العدد والعدة والعتاد ما لا يطاق ووصل موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وقومه إلى البحر وأصبح البحر أمامهم.. التفتوا إلى الوراء فإذا بجيش عرمرم يقوده فرعون : عتاد وخيل وسلاح وشيء لا طاقة لهم به ، فاشتكوا هذه الحال وقالوا لموسى: ﴿إِنَّا

---

(١) رواه الترمذي (٢٥١٦)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٩٥٧).

لَمُدۡرَكُونَ ﴿٦١﴾﴾ [ﺳﻮﺭﺓ ﺍﻟﺸﻌﺮﺍﺀ]، يعني البحر أمامنا وفرعون وجنوده وراءنا ليس هناك طريق، كأنهم يقولون موتنا محقق وهلاكنا متيقَّن: فإلى أين المفر ؟

فقال موسى عليه السلام كلمة المتوكل على الله الواثق به: ﴿قَالَ كَلَّآۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ﴿٦٢﴾﴾ [ﺳﻮﺭﺓ ﺍﻟﺸﻌﺮﺍﺀ] بثقة وإيمان بالله عَزَّوَجَلَّ وتوكل على الله جَلَّجَلَالُهُ، فقال الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى: ﴿ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡبَحۡرَ﴾، فضرب موسى عليه السلام بعصاه البحر: ﴿فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرۡقٖ كَٱلطَّوۡدِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٦٣﴾﴾،أصبح كل فِرق من البحر مثل الجبل الشامخ - يا إخوان لا إله إلا الله !! - الماء أصبح جبلاً واقفًا، والأرض التي كان الماء عليها أصبحت يابسًا ليس فيها ماء، وذلك في لحظة واحدة.. والأرض التي كان عليها الماء في الحال تحولت إلى أرض يبس جافة ناشفة ليس فيها وحل وطين ولزوجة، والمياه واقفة مثل الجبال، ودخل موسى عليه السلام مع هذه الطرق هو وقومه حتى خرجوا من الجانب الآخر: ﴿كَلَّآۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ﴿٦٢﴾﴾، ووصل فرعون إلى الجانب الآخر وهو لا يزال في طلب موسى عليه السلام ومن معه فقرروا أن يدخلوا وراءه، فلما تكامل موسى عليه السلام وقومه خروجًا من البحر، وتكامل فرعون وقومه دخولاً في البحر أمر الله عَزَّوَجَلَّ الماء أن يعود كما كان؛ وانتهت هذه الجيوش كلها بأكملها برمَّتها بما فيهم قائدهم فرعون الذي كان يتعالى ويتغطرس ويقول: ﴿وَهَٰذِهِ ٱلۡأَنۡهَٰرُ تَجۡرِي مِن تَحۡتِيٓۖ﴾ [ﺳﻮﺭﺓ ﺍﻟﺰﺧﺮﻑ: ٥١]، ويقول ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴿٢٤﴾﴾ [ﺳﻮﺭﺓ ﺍﻟﻨﺎﺯﻋﺎﺕ]، أهلكه الله بالماء، مات غرقًا وأعلن إيمانًا لا ينفع: ﴿ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ [ﺳﻮﺭﺓ ﻳﻮﻧﺲ: ٩٠] ولكنه إيمانٌ لا ينفع.

فالشاهد أن التوكل على الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى منجاة للعبد مهما كانت الأحوال ومهما كانت الظروف: «عَنْ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَخْبَرَ أَنَّهُ غَزَا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قِبَلَ نَجْدٍ فَلَمَّا قَفَلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَفَلَ مَعَهُ فَأَدْرَكَتْهُمُ الْقَائِلَةُ فِي وَادٍ كَثِيرِ الْعِضَاهِ فَنَزَلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَفَرَّقَ النَّاسُ يَسْتَظِلُّونَ بِالشَّجَرِ فَنَزَلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَحْتَ سَمُرَةٍ

وَعَلَّقَ بِهَا سَيْفَهُ وَنِمْنَا نَوْمَةً فَإِذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدْعُونَا وَإِذَا عِنْدَهُ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: إِنَّ هَذَا اخْتَرَطَ عَلَيَّ سَيْفِي وَأَنَا نَائِمٌ فَاسْتَيْقَظْتُ وَهُوَ فِي يَدِهِ صَلْتًا فَقَالَ: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ فَقُلْتُ: اللهُ ثَلَاثًا، وَلَمْ يُعَاقِبْهُ وَجَلَسَ»[1].

وروى الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ في «مسنده»:[2] «قَاتَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مُحَارِبَ خَصَفَةَ بِنَخْلٍ فَرَأَوْا مِنَ الْمُسْلِمِينَ غِرَّةً فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ غَوْرَثُ بْنُ الْحَارِثِ حَتَّى قَامَ عَلَى رَأْسِ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِالسَّيْفِ فَقَالَ: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: فَسَقَطَ السَّيْفُ مِنْ يَدِهِ فَأَخَذَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ قَالَ: كُنْ كَخَيْرِ آخِذٍ...».

فالشاهد أن من توكل على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ كفاه الله وإن كادته السموات والأرض ومن فيهن ، لأن الأمور بيد الله ، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: [السبب الخامس: فراغ القلب من الاشتغال به والفكر فيه، وأن يقصد أن يمحوه من باله كلما خطر له، فلا يلتفت إليه ولا يخافه ولا يملأ قلبه بالفكر فيه، وهذا من أنفع الأدوية وأقوى الأسباب المعينة على اندفاع شره].

السبب الخامس : فراغ القلب من الانشغال به والفِكر فيه ؛ أن يُخْليَ قلبه وفكره من أن يشغل بالحاسد.

وكثير من الناس يزداد تعبه وعلّته ويتضاعف الأمر فيه بسبب أنه دائمًا ذهنه منشغل بحاسده أو بمن أصابه بالعين ، أو حتى أحيانًا من يتوهم أنه أصابه بعين أو بحسد ، فيمرض من جهة انشغال فكره بهذا الأمر ودوام تردد هذا الأمر في

(١) رواه البخاري (٢٩١٠)، ومسلم (٨٤٣).

(٢) برقم (١٤٩٢٩).

فكره وعقله .

فإذاً من الأسباب المهمة هنا فراغ القلب من الانشغال به والفكر فيه ، وأن يقصد أن يمحوه من باله كلما خطر له ؛ فلا يلتفت إليه ولا يخافه ولا يملأ قلبه بالفكر فيه .

يقول الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وهذا من أنفع الأدوية وأقوى الأسباب المعينة على اندفاع شره ».

ويضرب لذلك مثلاً توضيحياً يقول : [**فإنَّ هذا بمنزلة من يطلبه عدوه ليمسكه ويؤذيه**] مثل لو يمر إنسان في طريق ويكون في هذا الطريق بعض السفهاء أو بعض الفساق فيتعرضون له بشيء من الأذى إما بكلمة نابية أو بلفظة جارحة أو بشيء من هذا القبيل؛ إن وقف وتشاكس معهم والتفت إليهم ما الذي سيحدث ؟

تزيد الأمور وتتضاعف وهم قوم سفهاء لا يقف معهم الأذى عند حد ولا يقف السب عندهم عند حد ولا تقف بهم الرعونة عند حد ، فإن وقف معهم في مشادَّة أو في خصومة ضاع وقته فيما ليس من ورائه طائل إلا المزيد من الأذى و الضرر ، بينما إذا مرَّ من أمثال هؤلاء ولم يلقِ لهم بالا ومضى في طريقه استراح من شرهم، قال تعالى ﴿وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ١٩٩﴾ [سُورَةُ الأَعۡرَافِ].

وأحسن الناظم لما قال :

ولقد أمُرُّ على السفيه يسُبُّني	فأمُرُّ ثمة وأقولُ لا يَعْنيني

يعني أقول: لا يقصدني أنا ، وإنما يقصد غيري[1]، ويمشي لأنه إذا وقف والتفت

(١) وقد كان هذا من منهج النَّبي ﷺ في تعامله مع مخالفيه، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَلَا تَعْجَبُونَ كَيْفَ يَصْرِفُ اللهُ عَنِّي شَتْمَ قُرَيْشٍ وَلَعْنَهُمْ؟!

إليه وتجاذب معه تعِب وتلفت نفسه وانفلتت أعصابه وزاد همَّه ولم يحقق عاقبة مفيدة، فالإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ يشبِّه هذا بهذا يقول: [**فإن هذا بمنزلة من يطلبه عدوه ليمسكه ويؤذيه، فإذا لم يتعرض له ولا تماسك هو وإياه؛ بل انعزل عنه لم يقدر عليه، فإذا تماسكا وتعلَّق كلٌّ منهما بصاحبه حصل الشر، وهكذا الأرواح سواء**] .

فإذا الإنسان شغل روحه بالفكر في عدوه أو في حاسده وأصبح يجيلُ فكره بتكرار وباستمرار فيمن أصابه بحسد أو من أصابه بأذى لم يحصِّل عاقبةً حميدة بل تعبت نفسه وزاد سقمه وتضاعفت علَّته، فمن الخير له أن يعرِض عن هذا وأن لا يشغل باله به (١).

يقول الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: [فإذا تعلقت كل روح منهما بالأخرى عُدم القرار، ودام الشر حتى يهلك أحدهما، فإذا جبذ روحه منه، وصانها عن الفكر فيه والتعلق

يَشْتِمُونَ مُذَمَّمًا وَيَلْعَنُونَ مُذَمَّمًا وَأَنَا مُحَمَّدٌ » رواه البخاري (٣٥٣٣).

قال الإمام ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «كان الكفار من قريش من شدة كراهتهم في النبي ﷺ لا يسمونه باسمه الدال على المدح فيعدلون إلى ضده فيقولون: مذمم، وإذا ذكروه بسوء قالوا: فعل الله بمذمم، ومذمم ليس هو اسمه ولا يعرف به فكان الذي يقع منهم في ذلك مصروفا إلى غيره» «فتح الباري» (٦/ ٥٥٨).

(١) قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: « وقد ضربت لذلك مثلين فليكونا منك على بال:

المثل الأول: رجل خرج من بيته إلى الصلاة لا يريد غيرها فعرض له في طريقه شيطان من شياطين الإنس فألقى عليه كلاما يؤذيه فوقف ورد عليه وتماسكا فربما كان شيطان الإنس أقوى منه فقهره ومنعه عن الوصول إلى المسجد حتى فاتته الصلاة، وربما كان الرجل أقوى من شيطان الإنس ولكن اشتغل بمهاوشته عن الصف الأول وكمال إدراك الجماعة؛ فإن التفت إليه أطمعه في نفسه وربما فترت عزيمته فإن كان له معرفة وعلم زاد في السعي والجمز بقدر التفاته أو أكثر فإن أعرض عنه واشتغل بما هو بصدده وخاف فوت الصلاة أو الوقت **لم يبلغ عدوه منه ما شاء**.

المثل الثاني: الظبي أشد سعيا من الكلب ولكنه إذا أحس به التفت إليه فيضعف سعيه فيدركه الكلب فيأخذه...» «مدارج السالكين» (١/ ٢٢).

به، وأن لا يخطره بباله ، فإذا خطر بباله بادر إلى محو ذلك الخاطر والاشتغال بما هو أنفع له وأولى به، بقي الحاسد الباغي يأكل بعضه بعضا ، فإن الحسد كالنار إذا لم تجد ما تأكله أكل بعضها بعضا] .

فهذه طريقة يقول عنها الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ نافعة جداً: أن ينصرف الإنسان عنه وأن لا ينشغل به ، وأن يمضي في مصالح دينية ودنيوية، مستعيناً بربه متوكلاً عليه معرضاً عن شغل فكره بهذا الأمر.

وكم من أناس تضاعفت فيهم أمراض وأسقام بسبب شَغْل الفكر وكثرة إجالة الخاطر في مثل هذه الأمور.

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

[السبب السادس : الإقبال على الله والإخلاص له وجعْلُ محبته وترضِّيه والإنابة إليه في محل خواطر نفسه وأمانيها، تدب فيها دبيب تلك الخواطر شيئًا فشيئا، حتى يقهرها ويغمرها ويذهبها بالكلية] .

أي أن المبتلى بهذه الأشياء يحتاج من وسائل العلاج أن يعمُر قلبه بالإخلاص لله والمحبة والإقبال على الله وملأ القلب وعمارته بالإيمان بالله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ ، وأن يجعل هذه المعاني العظيمة تدب في القلب شيئًا فشيئًا حتى تعمر القلب فلا يبقى لتلك الأشياء في القلب متسع .

يقول : **[فتبقى خواطره وهواجسه وأمانيه كلها في محاب الرب، والتقرب إليه وتملقه وترضيه واستعطافه وذكره].**

قال تعالى عن عدوه إبليس أنه قال: ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [سُورَةُ صٓ] .

فالمخلِص ليس للشيطان عليه سبيل، المخلِص بمثابة من آوى إلى حصن حصين وحرزٍ مكين لا خوف على من تحصَّن به ولا ضيعة على من آوى إليه ولا مطمَع للعدو في الدنو منه ...[**فما أعظم سعادة من دخل هذا الحصن، وصار داخل اليَزَك، لقد آوى إلى حصن لا خوف على من تحصن به، ولا ضيعة على من آوى إليه، ولا مطمع للعدو في الدنو إليه منه**].

وهذا مطلب عظيم جداً لمعالجة هذا الأمر وغيره من الأمور ، والإخلاص أساس كل خير وسعادة وفلاح في الدنيا والآخرة.

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

[**السبب السابع: تجريد التوبة إلى الله من الذنوب التي سلطت عليه أعداءه، فإن الله تعالى يقول:** ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ٣٠﴾ [سُورَةُ الشُّورَىٰ].

تسلُّط العدو أيًّا كان حاسداً وعائناً أو غير ذلك من أسبابه الذنوب ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ٣٠﴾ [سُورَةُ الشُّورَىٰ].

إذاً من وسائل العلاج النافعة المفيدة أن يتوب الإنسان إلى الله عَزَّوَجَلَّ من ذنوبه التي سلطت عدوه عليه توبة صادقة إلى الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا﴾ [سُورَةُ التَّحْرِيمِ :٨] .

وقد قال العلماء: التوبة النصوح هي التي تجمع شروطاً ثلاثة : الندم على فعل الذنب، والإقلاع عنه تماماً، والعزم الأكيد على عدم العودة إليه، وإذا كان الذنب يتعلق بحقوق الآدميين يضاف إلى ذلك إعادة الحق إلى صاحبه أو طلب عفوه

ومسامحته[1] .

يقول الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ : **[فما سُلِّط على العبد من يؤذيه إلا بذنب يعلمه أو لا يعلمه ، وما لا يعلمه العبد من ذنوبه أضعاف ما يعلمه منها ، وما ينساه مما علمه وعمله أضعاف ما يذكره] .**

ولهذا يحتاج الإنسان أن يتوب توبة صادقة من كل ذنبٍ اقترفه[2]؛ ما علمه من ذنوبه وما لا يعلمه منها ، توبةً من جميع الذنوب التي كانت سبباً في تسليط الأعداء عليه .

ولهذا **يقول الإمام ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **[فما يحتاج العبد إلى الاستغفار منه مما لا يعلمه – أي من ذنوب نفسه – أضعاف أضعاف ما يعلمه، فما سُلِّط عليه مؤذٍ إلا بذنب ... ليس في الوجود شر إلا الذنوب وموجباتها فإذا عُوفي من الذنوب عُوفي من موجباتها ، فليس للعبد إذا بُغي عليه وأُوذيَ وتسلط عليه خصومه شيءٌ أنفع له من التوبة النصوح].**

فقد يكون تسلط العدو على الإنسان سبباً لعودته إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ كأنه يكون له بمثابة التنبيه والإيقاظ ، وكم من إنسان مضى في غفلة فتسلط عليه عدوٌّ فقال:

---

(١) «مدارج السالكين» (١/ ١٨٢).

(٢) قال شيخنا عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر حفظه الله: « ومن أدعية السجود كذلك ما رواه مسلم في «صحيحه» (٤٨٣) عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ فِي سُجُودِهِ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي كُلَّهُ، دِقَّهُ وَجِلَّهُ، أَوَّلَهُ وَآخِرَهُ، وَعَلانِيَتَهُ وَسِرَّهُ».

وقوله: «ذنبي كله» أي: ذنوبي جميعَها، فإنَّ المُفرد إذا أضيف يَعُمُّ، ثم إنَّ هذا التعميم والشمولَ في هذا الدعاء ليأتي طلب الغفران على جميع ذنوب العبد ما علمه منها وما لَم يعلمه، لا سيما والمقامُ مقام دعاء وتضرع وإظهار العبودية والافتقار، فناسب ذكرَ الأنواع التي يتوب العبد منها تفصيلاً؛ ولهذا قال: «دقَّه وجلَّه، أوَّلَه وآخرَه، وعلانيتَه وسرَّه» وهذا أبلغُ وأحسنُ من الإيجاز والاختصار »«فقه الأدعية والأذكار» (٣/ ١٤٩).

لـم يتسلط عليَّ هـذا إلا بذنوبي، فيكون تسلط العـدو عليه بابـًا له مباركـًا للتوبة إلى الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ ، وهـذا مـن الخيـر والتوفيـق لعبـد الله المؤمـن أن يكـون هـذا سـببـًا لعودتـه وتوبته وإنابتـه إلى الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

الشاهد أن هذا من الوسائل العظيمة النافعة للخلاص والسلامة من تلك الإصابة.

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

[السبب الثامن : الصدقة والإحسان ما أمكنه] ؛ و «صَّدَقَةُ السِرِّ تُطْفِـئُ غَضَبَ الـرَّبِّ»[1] كما جاء في الحديث.

وقد قال عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: **«دَاوُوا مَرْضَاكُمْ بِالصَّدَقَةِ»**[2] .

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٠١٨)، وقال الألباني: حسن لغيره، «صحيح الترغيب» (٨٨٨).
(٢) رواه الطبراني (١٠١٩٦)، والبيهقي (٦٨٣٢)، وقال الألباني: حسن لغيره، «صحيح الترغيب» (٧٤٤).

أثر سقاية الماء في مداواة المرضى بإذن الله:

من شواهد التَّجربة ما ذكره الحافظ المنذري في «الترغيب و الترهيب (١٤٢٦)»:

«عن علي بن الحسن بن شقيق قال: سمعت ابن المبارك وسأله رجلٌ، يا أبا عبد الرَّحمن قرحة خرجت في ركبتي منذ سبع سنين وقد عالجت بأنواع العلاج وسألتُ الأطبَّاء فلم أنتفع به.

قال: اذهب فانظر موضعًا يحتاج النَّاس الماءَ فاحفر هناك بئرًا فإنِّي أرجو أَنْ تنبع هناك عين ويمسك عنك الدَّم، ففعل الرُّجل فبرأ، رواه البيهقي.

وقال: وفي هذا المعنى حكاية شيخنا الحاكم أبي عبد الله رَحِمَهُ ٱللَّهُ فإنَّه قرح وجهه وعالجه بأنواع المعالجة فلم يذهب وبقي فيه قريبا من سنة، فسأل الأستاذ الإمام أبا عثمان الصابوني رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن يدعو له في مجلسه يوم الجمعة فدعا له وأكثر النَّاس التَّأمين فلمَّا كان يوم الجمعة الأخرى ألقت امرأة في المجلس رقعة بأنَّها عادت إلى بيتها واجتهدت في الدُّعاء للحاكم أبي عبد الله تلك اللَّيلة فرأت في منامها رسول الله ﷺ كأنَّه يقول لها: قولي لأبي عبد الله يوسِّعُ الماء على المسلمين.

فجئتُ بالرُّقعة إلى الحاكم فأمر بسقاية بنيت على باب داره وحين فرغوا من بنائها أمر بصب الماء فيها وطرح الجمد في الماء وأخذ النَّاس في الشرب فما مرَّ عليه أسبوع حتَّى ظهر الشِّفاء وزالت تلك القروح وعاد وجهه إلى أحسن ما كان وعاش بعد ذلك سنين».

فالصدقة فيها نفع عظيم وثمار كبيرة .

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: [فإن لذلك تأثيراً عجيباً في دفع البلاء ودفع العين وشر الحاسد ... فما تكاد العين والحسد والأذى يتسلط على محسنٍ متصدِّق ، وإن أصابه شيء من ذلك كان معاملاً فيه باللطف والمعونة والتأييد ، وكانت له فيه والعاقبة الحميدة - والصدقة والإحسان من شكر النعمة - ... فالشكر حارس النعمة من كل ما يكون سبباً لزوالها] .

يسمي العلماء الشكر الحافظ وأيضاً يسمونه الجالب ؛ لأنه يحفظ بإذن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ النِّعم الموجودة ويجلب النعم المفقودة ، فهو حافظٌ جالب ، يحفظ لك النعمة الموجودة عندك وأيضاً يجلب لك نعماً أخرى ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ ﴾ [سُورَةُ إِبْرَاهِيمَ][1] .

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

[السبب التاسع وهو من أصعب الأسباب على النفس وأشقها عليها ولا يوفق له إلا من عظم حظه من الله وهو إطفاء نار الحاسد والباغي والمؤذي بالإحسان إليه ؛ فكلما ازداد أذىً وشراً وبغياً وحسداً ازددتَ إليه إحساناً وله نصيحةً وعليه شفقةً].

من الذي يقوى على هذا الأمر ؟!

تأمل كلام الله عَزَّوَجَلَّ ﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ۚ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ [سُورَةُ فُصِّلَتْ].

من يقوى على هذا ؟! ﴿ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ

(١) «عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين» (ص٩٨)، و« تيسر الكريم الرحمن» (ص٨١).

﴿٣٥﴾ [سُورَةُ فُصِّلَتْ] .

وتأمل التطبيق العلمي لهذا الأمر؛ وتأمل حال النبي ﷺ الذي حكى عنه نبينا ﷺ - والحديث في «الصحيحين» - أنه ضربه قومه حتى أدمَوْه - يعني حتى سال الدم -فجعل يسلُتُ الدم عنه ويقول : «**اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون**»[١] .

الشاهد أن هذه أيضاً منزلة عظيمة جداً إذا وُفِّق لها العبد - الدفع بالتي هي أحسن - بالإحسان إليه إطفاء نار شره بالإحسان بالصدقة بالهدية بالكلمة الطيبة ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ فإنه بإذن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يُعان ويسلَم ويوقى بإذن الله.

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

[السبب العاشر: وهو الجامع لذلك كله، وعليه مدار هذه الأسباب، وهو تجريد التوحيد والترحل بالفكر في الأسباب إلى المسبب العزيز الحكيم.

والعلم بأن هذه الآلات بمنزلة حركات الرياح، وهي بيد محركها، وفاطرها وبارئها، ولا تضر ولا تنفع إلا بإذنه.

فهو الذي يحسن عبده بها، وهو الذي يصرفها عنه وحده لا أحد سواه].

السبب العاشر والأخير : تجريد التوحيد - للمعبود سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - والترحُّل بالفكر بالأسباب - يعني اشتغال العقل أو الفكر بالأسباب - إلى المسبِّب العزيز الحكيم ، والعلم بأن كل شيء لا يضر ولا ينفع إلا بإذن الله قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ﴾ [سُورَةُ يُونُسَ :١٠٧] .

---

(١) رواه البخاري (٣٤٧٧)، ومسلم (١٧٩٢).

فلا يشغل نفسه بالفكر بالأسباب وإجالة الأمر فيها ، وإنما يجرِّد التوحيد لله سبحانه وتعالى ، وقد مر معنا قول النبي ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما : «وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ »[1].

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله : [فإذا جرد العبد التوحيد فقد خرج من قلبه خوف ما سواه، وكان عدوه أهون عليه من أن يخافه مع الله، بل يُفرد الله بالمخافة ... فيرى أن إعماله فكره في أمر عدوه وخوفه منه واشتغاله به من نقص توحيده ، وإلا فلو جرَّد توحيده لكان له فيه شغلٌ شاغل، والله يتولى حفظه والدفع عنه ؛ فإن الله يدافع عن الذين آمنوا ، فإن كان مؤمنًا فالله يدافع عنه ولابد ، وبحسب إيمانه يكون دفاع الله عنه].

ولاحظ احتياج الإنسان إلى قوة الإيمان وقوة التوحيد وقوة الإخلاص لله تبارك وتعالى حتى ينال النصيب الوافر والحظ الأعظم من كفاية الله له وعونه.

قال : [وبحسب إيمانه يكون دفاع الله عنه ؛ فإن كمل إيمانه كان دفع الله عنه أتم دفع، وإن مزج، مُزج له .

وان كان مرة ومرة، فالله له مرة ومرة ، كما قال بعض السلف : «من أقبل على الله بكليَّته أقبل الله عليه جملة ، ومن أعرض عن الله بكليته أعرض الله عنه جملة ، ومن كان مرةً ومرة فالله له مرة ومرة»] .

يرجع الأمر إلى تجريد التوحيد وقوة الإيمان وقوة الإخلاص والالتجاء إلى الله عز وجل .

---

(١) رواه الترمذي (٢٥١٦)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٩٥٧).

ولهذا [**فالتوحيد حصن الله الأعظم الذي من دخله كان من الآمنين ، قال بعض السلف : «من خاف الله خافه كل شيء ، ومن لم يخف الله أخافه من كل شيء»**] يصبح خائفًا من كل شيء ، بينما إذا خاف الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ كل شيء يخافه لأن الله عَزَّوَجَلَّ يلقي في قلوب الناس مهابته وهيبته ، والأمر بيد الله سبحانه وتعالى.

الشاهد أن هذه أسباب عشرة عظيمة جداً يندفع بها كما ذكر الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ وقرَّر وبيَّن شر الحاسد والعائن والساحر ، وهي تحتاج من المؤمن الموفَّق أن يتدارس هذه الأمور العشرة مرات وكرات ويتذاكرها ويجاهد نفسه على تطبيقها والقيام بها ، وسيرى بإذن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ العواقب الحميدة والمآلات الطيبة والخير والبركة والعافية في دنياه وأخراه.

ونسأل الله عَزَّوَجَلَّ لنا أجمعين أن يصلح لنا شأننا كله ، وأن يكتب لنا العاقبة الحميدة ، وأن يهدينا سواء السبيل، وأن يصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأن يصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا ، وأن يصلح لنا آخرتنا التي فيها معادنا، وأن يجعل الحياة زيادةً لنا في كل خير ، والموت راحة لنا من كل شر ، وأن يغفر لنا ذنبنا كله دقه وجله أوله وآخره سره وعلنه ، ونسأله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أن يصلح ذات بيننا وأن يؤلف بين قلوبنا ، وأن يهدينا سبيل السلام ، وأن يخرجنا من الظلمات إلى النور ، وأن يبارك لنا في أسماعنا وأبصارنا وقواتنا وأزواجنا وذرياتنا وأموالنا وأن يجعلنا مباركين أينما كنا ، وأن لا يكلنا إلى أنفسنا طرفة عين ، وأن يصلح شأننا كله إنه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ سميع الدعاء وهو أهل الرجاء وهو حسبنا ونعم الوكيل .

والله أعلم وصلى الله وسلم على عبد الله ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .

❐❐❐❐❐❐❐❐❐

الأسئلة:

السؤال:

ما حكم من تعلّق عظمًا أو كأسًا أو ما سواهما لدفع العين والحاسد ؟

الجواب: أن النبي ﷺ قال : «**مَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا وُكِلَ إِلَيْهِ**»(١).

وقال النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**إِنَّ الرُّقَى وَالتَّمَائِمَ وَالتِّوَلَةَ شِرْكٌ**»(٢).

فتعليق هذه الأشياء سببٌ إلى أن يُوكل إليها، ومن وُكل إلى عظم أو كأس ما النتيجة التي سيحصّلها ؟

وما الغنيمة التي سينالها إذا وكل إلى عظم يعلقه على جسده ؟ «**مَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا وُكِلَ إِلَيْهِ**».

كذلك عَنْ عِمْرَانَ بْنِ الْحُصَيْنِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَى رَجُلاً فِي يَدِهِ حَلْقَةٌ مِنْ صُفْرٍ فَقَالَ: «**مَا هَذِهِ الْحَلْقَةُ؟** ».

قَالَ: هَذِهِ مِنَ الْوَاهِنَةِ.

قَالَ: «**انْزِعْهَا فَإِنَّهَا لاَ تَزِيدُكَ إِلاَّ وَهْنًا**»(٣).

فهذه الأشياء لا يحصل بسببها عافية أو سلامة أو وقاية من عين أو نحو ذلك بل إنها تزيد الإنسان وهنا على وهن وضعفًا إلى ضعف وعلة إلى علة، وتعليق الخيوط والحروز والعظام والصدف والحلقات من الصُّفُر أو النحاس أو الحديد

---

(١) رواه الترمذي (٢٠٧٢)، وقال الألباني في «صحيح الترغيب» (٣٤٥٦) : (حسن لغيره).

(٢) رواه أبو داود (٣٨٨٣)، وابن ماجه (٣٥٣٠)، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (٣٤٥٧)

(٣) رواه ابن ماجه (٣٥٣١)، وأحمد (٢٠٠٠)، وضعفه الألباني في «ضعيف الترغيب» (٢٠١٥).

أو التعاليق التي تعلَّق فهذه كلها أمور محرمة في دين الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ بل هي من الشرك ، هل هي من الشرك الأكبر أو من الشرك الأصغر؟

هذا يختلف باختلاف حال من علَّقها؛ إذا كان معلقـًا لها معتقداً أن فيها نفعـًا وضراً وعطاءً ومنعـًا فهذا شرك أكبر ناقل من ملة الإسلام، وإذا كان يعتقد أنها سبب فهذا من الشرك الأصغر لأنه وسيلة تُفضي بالإنسان إلى الشرك الأكبر.

الشاهد أن هذه التعاليق تعاليق محرمة وقد تنوعت عند الناس بصور كثيرة وأشكال مختلفة ؛ بعضهم يعلِّق على عنقه أو في سيارته تعليقة يُرسم عليها عين، بزعم العوام أن هذه العين ترد العين ، وبعضهم يضع في سيارته يداً مرسومـًا بداخلها عين ، واليد متحركة إذا مشى تتحرك العين كأنها تقول للعين لا تصيبيني يشير لها بعدم الإصابة كل هذه من خرافات العوام ومن جهلهم ومن ضياعهم، يتعلقون بهذه الأشياء التي لا تفيد ولا تنفع ولا يعلِّقون قلوبهم بمن بيده أزمة الأمور سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

السؤال:

هل القول بأن صاحب العين يُصلى عليه صلاة الميت لدفع عينه والشفاء منه ؟ هل هذا له أصل؟

الجواب: هذا ليس له أصل، وإنما العلاج مر معنا بتأصيل علمي وتقرير نافع في نقاطٍ عشرة عظيمة ذكرها العلامة ابن القيم رَحِمَهُٱللَّهُ.

السؤال:

ثم يقول أخونا في آخر سؤاله : وما هو الثابت في الشرع في هذا الباب ؟

الجواب: مر معنا كلام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذا الباب ، وإذا كان السؤال متعلق بالعين فإذا كان يعلم العائن من هو فإن الشرع يدل أيضًا على مشروعية الأخذ من مائه إذا اغتسل أو توضأ ، وأن يغتسل منه أو يتوضأ منه أو يُرش عليه منه فإن هذا الأسباب التي دل عليها الشرع الثابت عن رسول الله ﷺ[1].

السؤال:

هناك أناس يقولون أننا نتعامل مع الجن من المسلمين لفك السحر فهل هذا يجوز؟

الجواب: هذا العمل ليس من الأعمال المشروعة ، ولا يجوز للإنسان أن يتصل بالجن سواءً زعموا أنهم مسلمين أو لم يزعموا لأن هذا من باب الشر، ولو لم يكن في هذا الأمر إلا القاعدة الشرعية سد الذرائع المفضية إلى الباطل لكان ذلك وحده كافيًا[2].

---

(١) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: «كَانَ يُؤْمَرُ الْعَائِنُ فَيَتَوَضَّأُ ثُمَّ يَغْتَسِلُ مِنْهُ الْمَعِينُ»رواه أبو داود (٣٨٨٠)، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٣٨٨٢).

وعَنْ أَبِي أُمَامَةَ بْنِ سَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ قَالَ: مَرَّ عَامِرُ بْنُ رَبِيعَةَ بِسَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ وَهُوَ يَغْتَسِلُ فَقَالَ: لَمْ أَرَ كَالْيَوْمِ وَلاَ جِلْدَ مُخَبَّأَةٍ. فَمَا لَبِثَ أَنْ لُبِطَ بِهِ فَأُتِيَ بِهِ النَّبِيَّ ﷺ فَقِيلَ لَهُ: أَدْرِكْ سَهْلاً صَرِيعًا.

قَالَ: « مَنْ تَتَّهِمُونَ بِهِ ؟». قَالُوا: عَامِرَ بْنَ رَبِيعَةَ.

قَالَ: « **عَلاَمَ يَقْتُلُ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ؟ إِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ مِنْ أَخِيهِ مَا يُعْجِبُهُ فَلْيَدْعُ لَهُ بِالْبَرَكَةِ** »، ثُمَّ دَعَا بِمَاءٍ فَأَمَرَ عَامِرًا أَنْ يَتَوَضَّأَ فَيَغْسِلَ وَجْهَهُ وَيَدَيْهِ إِلَى الْمِرْفَقَيْنِ وَرُكْبَتَيْهِ وَدَاخِلَةَ إِزَارِهِ وَأَمَرَهُ أَنْ يَصُبَّ عَلَيْهِ» رواه ابن ماجه (٣٥٠٩)، وصححه الألباني في «صحيح ابن ماجه» (٢٨٢٨).

(٢) قال علماؤنا:« لا يجوز الاستعانة بالجن والغائبين؛ لأن هذا من الشرك بالله ﷻ؛ لأن الاستعانة عبادة لا

السؤال:

ما الراجح في القراءة على الماء وشربه للتخلص من العين والسحر؟

الجواب: القراءة في الماء وشربه لا بأس به جاء عن عدد من السلف هذا الأمر، والأَوْلى أن تكون القراءة والنفث على المصاب مباشرة، والأَوْلى أيضًا أن المصاب لا يسترقي أي: لا يطلب من يرقيه، وإنما الأكمل أن لا يذهب إلى من يرقيه، وإن ذهب هذا لا يؤثر إلا على كمال توكله، فتأثيره على كمال التوكل وهو خلاف الأَوْلى، والأولى به أن يكون في هذا الباب يرقي نفسه ويلجأ إلى الله ويُقبل على الله ويقوم بهذه الأمور العظيمة التي ذكرها الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

السؤال:

كلما أُقدِم على أمر ما أشعر أن النجاح لا يكون حليفي بسبب العين، اشتريت سيارة فعملت حادث ورُزقت مولود فمات؛ فأصبحت أشعر أن العين تطاردني؟

الجواب: أحيانًا الإنسان لا يكون مصابًا بعين ولكنه يستجلب لنفسه أوهامًا، ويكون فكره لتوارد خواطر وجود العين فيه متكررة في خاطره يذكر حادثةً أو حادثتين فيبني عليها أمره كله.

الآن هذا السائل نفسه لو ترك هاتين الحادثتين اشتريت سيارة فعملت حادث ورُزقت مولود فمات، دعك من هاتين الحادثتين وتفكر في أحوالك الأخرى

يجوز صرفها لغير الله لا من الجن ولا من الإنس ولا من الملائكة ولا غيرهم، إلا مع القادر الحي الحاضر من الإنس فيما يقدر عليه، كالاستعانة بالإنسان الحي القادر في الزراعة والبناء وقتال الأعداء.

أما الجن فحكم حاضرهم كغائبهم لا تجوز الاستعانة بهم في شيء من الأشياء؛ لقول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [سُورَةُ الفَاتِحَةِ]، وقول النبي ﷺ: «وإذا استعنت فاستعن بالله»، وبالله التوفيق» «فتاوى اللجنة الدائمة» (١/ ١٩٨).

تجد أنك في نعمة ، لو تفكرت في حالك بعيداً عن استحضار هاتين القصتين واستحضار أنك مصاب بعين أو توهم بأنك مصاب بعين ستجد أن حياتك وأيامك مليئة بالنجاح والتوفيق والسداد ، من النجاحات التي تحققت لك أنك موجود الآن جئت المسجد وحضرت المحاضرة ؛هذا نجاح وتوفيق من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وتيسير لك ، فلو تتفكر تجد أن حياتك مليئة بالنجاح ، فلا تأتي وتعُدّ حادثتين حصلت وتقول هذا دليل على أنني مصاب بعين وأن العين تلاحقني أينما ذهبت ، فبعض الناس يضخِّم بعض الأمور ويعظِّمها في نفسه فيُمرض نفسه بنفسه. فنصيحتي لك أن تبتعد عن هذه الهواجس والأفكار وأن تلتجئ إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وتحقق المعاني العظيمة التي مر معنا تقريرها في كلام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى .

السؤال:

كيف نحصِّن الصغير من العين والحسد والسحر؟

الجواب: تحصين الصغير بتعويذه ، إذا كان لا يستطيع الصغير أن يتعوذ يعوذه أبوه أو أمه، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُعَوِّذُ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ وَيَقُولُ: « **إِنَّ أَبَاكُمَا كَانَ يُعَوِّذُ بِهَا إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ ، أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّةِ مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ، وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لامَّةٍ**»(١) .

يعوذه بالمعوذتين، فالشاهد أن تعويذ الأبناء من الأمور المطلوبة ، وكذلك تعويد الأبناء على التعوذ والالتجاء والمحافظة على الأذكار أذكار الصباح والمساء وعند النوم .

(١) رواه البخاري (٣٣٧١).

السؤال:

انتشرت في الآونة الأخيرة قنوات السحر والشعوذة فما حكم مشاهدتها بقصد التسلية ؟

وهل من نصيحة لمن أُبتلي بمشاهدة هذه القنوات؟

الجواب: مشاهدة هذه القنوات حرام ، والنظر إليها إثم وباب شر على الإنسان ، ومن ينظر إلى هذه القنوات مخاطِر بدينه، وكم من إنسان أصيب في دينه بمقتل بسبب أمثال هذه المخاطرات، وقد قال السلف قديماً : «إن كنت مخاطراً بشيء فلا تخاطر بدينك»، خاطر بمالك بتجارتك أما الدين لا تخاطر به ، وكثير من الناس لا يُبالي بدينه يخاطر به مخاطرة عجيبة ، تجده يفتح القنوات الفضائية لا يغلق منها قناة ، ينظر إلى كل قناة أياً كانت ، ويدخل في المواقع التي في الانترنت ولا يبالي بأي موقع من هذه المواقع ؛ فهذه مخاطرة بالدين ، وكثير من الشباب دخل في هذه القنوات أو في تلك المواقع مع قلة علم وقلة فهم فدخلت عليه شبهات لم تأثر في أخلاقه فقط بل أثرت حتى في عقيدته ، ودخلت على بعض الشباب عقائد فاسدة ومذاهب منحرفة وشبهات من النصارى من اليهود من أصحاب العقائد المنحرفة كل ذلك بسبب المخاطرة بالدين ، قارن حال هؤلاء بحال السلف ؛ عن أيوب السختياني رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال : « دخل على محمد بن سيرين يوما رجل فقال : يا أبا بكر ، أقرأ عليك آية من كتاب الله لا أزيد على أن أقرأها ثم أخرج ؟

فوضع إصبعيه في أذنيه ثم قال : أحرج عليك إن كنت مسلما لما خرجت من بيتي، قال : فقال : يا أبا بكر، إني لا أزيد على أن أقرأ ثم أخرج ، قال : فقام بإزاره يشده عليه، وتهيأ للقيام، فأقبلنا على الرجل فقلنا : قد حرج عليك إلا خرجت ،

أفيحل لك أن تخرج رجلا من بيته، قال : فخرج ، فقلنا : يا أبا بكر ، ما عليك لو قرأ آية ثم خرج؟ قال : إني والله لو ظننت أن قلبي يثبت على ما هو عليه ما باليت أن يقرأ، ولكني خفت أن يلقي في قلبي شيئا أجهد أن أخرجه من قلبي فلا أستطيع »[١]، كم من الشبه الآن تتردد في نفوس الشباب بسبب النظر إلى القنوات أو بسبب النظر في المواقع ؟! شبهات كثيرة، بل أصبحتَ ترى في بعض الأسئلة التي تُطرح على أهل العلم كلها شبهات ، يقول: أنا يا شيخ محتار بين كذا وكذا ، وأنا حيرني الأمر الفلاني أو عندي شبهات ، وتجد بعضهم في نفسه أحاديث كثيرة ضعيفة ملأ فكره بها وشغل ذهنه بها ، والعلم النافع المؤصل لا يعرف عنه شيئا وليس عنده منه خبر !! وهذا كله بسبب المخاطرة بالدين.

فالشاهد أن هذه القنوات لا يجوز النظر إليها، ومن ينظر إليها فهو آثم ومخاطِر بدينه، ولا يجوز النظر إليها ولا حتى من باب التسلية أو تمضية الوقت؛ فإن هذا من تضييع الدين والوقوع فيما يسخط رب العالمين.

نسأل الله عَزَّوَجَلَّ للجميع التوفيق والحفظ والعون والسداد.

والله تعالى أعلم.

وصلى الله وسلم على عبد الله ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

□□□□□□□□□

(١) رواه ابن وضاح في «البدع والنهي عنها»(ص٥٣).



تم الصف والإخراج الفني

بمكتب لوصيف للتصميم والإشهار

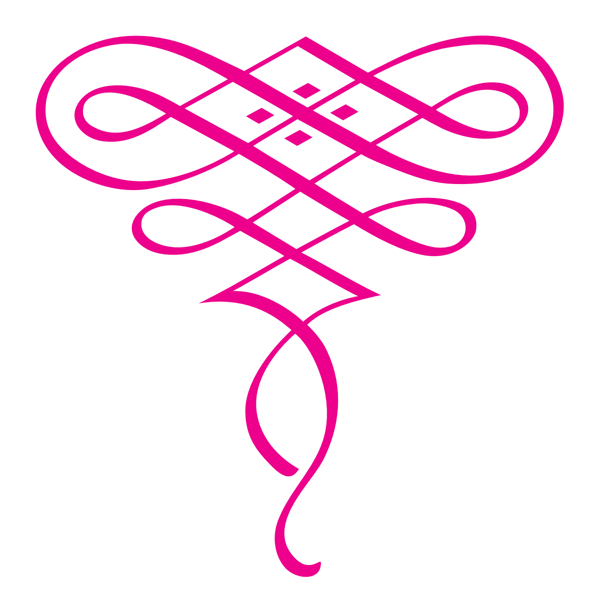
الزقم - ح.ع.ك - وادي سوف - الجزائر

00213 (0) 559 33 27 13

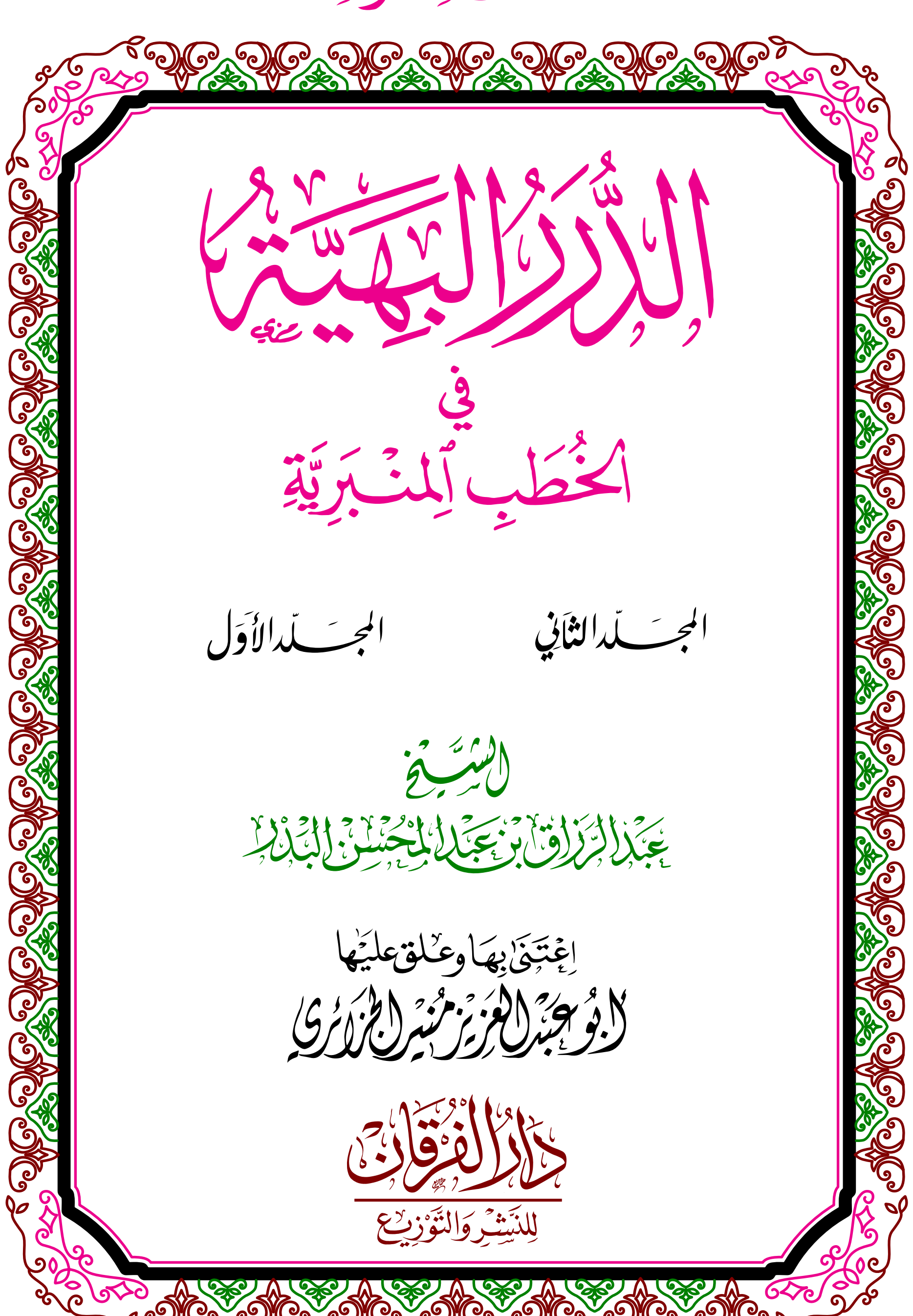
hajizgoum@yahoo.com



الفَهرس



صدر للمؤلف


الدرر البهية
في
الخطب المنبرية
المجلد الثاني
المجلد الأول
الشيخ
عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر
إعتنى بها وعلق عليها
أبو عبد العزيز منير الجزائري
دار الفرقان
للنشر والتوزيع



جمعه وأعده بحمد الله وتوفيقه
أبو عبد العزيز منير الجزائري

دار الفرقان
للنشر والتوزيع



- فَضْلُ طَلَبِ العِلْمِ وَآدَابُ طُلَّابِهِ.
- دَعْوَةُ النَّبِيِّينَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.
- سُؤَالٌ وَجَوَابٌ عَنْ حُكْمِ تَسْمِيَةِ المَنَاطِقِ بِأَسْمَاءِ الأَضْرِحَةِ وَالقِبَابِ.
- عِظَاتٌ وَعِبَرٌ مِنْ وَفَاةِ خَيْرِ البَشَرِ ﷺ.
- إِتْحَافُ الإِلْفِ بِتَفْسِيرِ آخِرِ آيَةٍ سُورَةِ الكَهْفِ.
- يَا حَامِلَ الجَوَّالِ المَسَاجِدُ لَهَا حُرْمَةٌ.
- كَيْفَ تَغُضُّ بَصَرَكَ.
- حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا.
- كَلِمَاتٌ فِي مُنَاسَبَاتٍ.
- مَنْهَجٌ يَوْمِيٌّ لِطَالِبِ العِلْمِ.
- قِصَّةُ إِسْلَامِ قِسِّيسٍ.
- عَشَرَةُ أَسْبَابٍ لِلْوِقَايَةِ مِنَ السِّحْرِ وَالعَيْنِ.


ISBN 978-9931-616-40-5
9 789931 616405

